# تطور المنهج في البحوث الأنثروبولوجية

## مثال: منهج دراسة الحالة


دكتور حسن الخولي
أستاذ علم الاجتماع
جامعة عين شمس






دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣




# تطور المنهج
# فى البحوث الانثروبولوجية

سلسلة علم الاجتماع المعاصر
الكتاب ٩٣

# تطور المنهج في البحوث الأنثروبولوجية

## منهج دراسة الحالة

دكتور حسين الخولي
كلية البنات ـ جامعة عين شمس

الطبعة الاولى

١٩٩٢





دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير ـ الأزاريطة
الإسكندرية

# إهـــداء

الى ابنى أحمـــد ، الذى أرجو أن يتحقق على يديه
الخير الكثير للزراعة فى مصر والعالم العربى

حســن الخولى

المحتـــــويات


بسم الله الرحمن الرحيم



تشهد العلوم الاجتماعية تقدما ونموا مضطردا بمرور الوقت ، وذلك على المستويين النظرى والمنهجى • ويأتى هذا التطور كثمرة لعوامل كثيرة ، منها زيادة وتراكم المعرفة التى تزخر بها الدراسات الواقعية الوفيرة ، التى يجريها المشتغلون بهذه العلوم على اختلاف تخصصاتهم ومجالات اهتمامهم • وغنى عن البيان ان التوسع فى اجراء الدراسات والبحوث الواقعية على أسس منهجية صحيحة ،وفى اطار رؤى نظرية واعية، هو سبيل الباحثين الى تعميق فهمهم للظواهر والمشكلات الاجتماعية المختلفة ، والتوصل الى صياغات نظرية دقيقة خاصة بها • ولا يمكن ان يتحقق هذا المستوى الدقيق من التنظير الا من خلال رصيد كبير من المقارنات والتحليلات والاستنتاجات التى يتوفر عليها الباحثون على ضوء استقرائهم للمعطيات ، والانتهاء من هذا كله الى أنساق نظرية مجردة • وتمثل هذه الأخيرة بدورها موجهات يسترشد بها الباحثون فى دراساتهم الواقعية • أى أن هناك دائما عملية تغذية استرجاعية مستمرة تجرى فى اطار العلاقات الوثيقة والتكاملية بين النظرية والبحث •

ويؤدى التعاون بين العلوم بعضها وبعض الى مزيد من التقدم العلمى أيضا.حيث تكتسب بعض العلوم من الوسائل والمفاهيم ما هو شائع ومتداول فى ميادين علوم أخرى ، ويستعين بها فى تطوير مفاهيمه وأساليبه الخاصة • وهناك أمثلة عديدة على ذلك.وتكفى هنا الاشارة الى الفوائد التى تحققها الأساليب الرياضية والاحصائية للعلوم الأخرى ، ومن بينها العلوم الاجتماعية • بل ان هناك أمثلة على التعاون بين بعض العلوم الاجتماعية وبعض العلوم الحيوية ، فمصطلح «النسق الايكولوجى» Eco System الذى استخدمه روبرت بارك Bark كأساس فكرى قامت عليه مدرسة شيكاغو

فى علم الاجتماع الحضرى ، هو مصطلح مستعار من علم البيولوجيا . ولا شك أن زيادة التقارب بين العلوم ، وزيادة الجهود التى تبذل فى سبيل ذلك، انما هى خطوات على طريق تقدم العلوم الاجتماعية نظريا ومنهجيا.

ولقد أدى التطور التكنولوجى فى مجال الحاسبات الآلية ووسائل تخزين المعلومات وتجهيزها ومعالجتها آليا، واستخراج علاقات الارتباط ، واختبارات الدلالة ، الى غير ذلك من العمليات الأخرى المعقدة ، كل هذا قد أدى الى تطور العلوم تطورا كبيرا من الناحية الاجرائية والمنهجية بصورة مباشرة . وقد أفادت العلوم الاجتماعية بطبيعة الحال من ذلك كله أيما فائدة ، حيث أن التسهيلات التكنولوجية المتطورة أصبحت متاحة للمشتغلين بهذه العلوم . وكان لذلك أبلغ الأثر فى تطوير استراتيجيات البحث العلمى الاجتماعى .

ويعتبر «تكميم المعلومات» Quantification ، أى اضفاء الطابع الكمى عليها ، سواء على مستوى جمع المادة ، أو على مستوى التحليلات والنتائج، من أبرز مظاهر تطوير استراتيجيات البحث الاجتماعى الحديث. ومن المعروف أن العلوم الاجتماعية تسعى منذ زمن بعيد الى بلوغ بعض ما بلغته العلوم الطبيعية من الضبط والاحكام والموضوعية التى تكسبها صفة «العلم» . ذلك أن «علمية» العلم تقدر بمدى قدرته على القياس والتنبؤ. ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال تطور أساليب وأدوات القياس ، والتكميم.

ومن اللافت للنظر أن ميادين الدراسة فى العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، قد أخذت تشهد فى السنوات الأخيرة جدلا حول الطابع الكمى والطابع الكيفى . ويبدو ذلك واضحا فى الكتابات والمؤلفات التى تنشر تباعا فى هذا المجال(١) . وتدل قراءة هذه المؤلفات

---

(١) انظر حول هذا الموضوع مزيدا من التفاصيل فى :

— Allen W. Johnson, **Quantification in Cultural Anthropology**. An Introduction to Research Design, Stanford Univ. Press, Stanford, California, 1978.
— Howard Schwartz and Jerry Jacobs; **Qualitative Sociology**. A Method to the Madness, The Free Press, N. Y., 1979.

على مبلغ من النضج والتطور قد أصابا طائفة من العلوم الاجتماعيـة التى امتدت الجسور بينها وبين بعضها البعض ، وأخذت تثرى بعضها بعضـا ، وتحقق لنفسها مزيدا من التطور النظـرى والمنهجى • ومن هذه العـلوم علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، وعلم النفس ، وعلم الاقتصاد •

وترجع أهمية تكميم المعلومات الى أن التكميم يحقق ميزات هامة ، كالصدق ، وامكانية القياس ، وامكانية عقد المقارنات ، وتحقيق المزيد من الضبط والاحـكام النظـرى theoritical precision ، والاستفادة من القوة الاحصائية[٢] • وذلك مع الأخذ فى الاعتبار انه يجب الا نستغرق تماما فى الاعتماد على الاحصائيات والبيانات الكمية • «فالاخبارى الجيد» الذى يلم بقدر كاف من المعلومات ، قد يكون هو المصدر الكفؤ الوحيد المتاح بالنسبة لنوع معين من المعلومات • وقد تكون الدلالات الاحصائية فى كثير من الأحيان غير معبرة عن الفروق الحقيقية بين الناس[٣] •

★●★

واذا استعرضنا التطور التاريخى للأنثروبولوجيا الثقافية مثلا، فلسوف نرى أن الميل الى التكميم لم يكن متبعا بين الاثنوجرافيين الرواد المبكرين • فقد كانوا متأثرين بالاعتقاد القـائل بأن وصف السلوك الثقافى يمكن أن يتم بغـير حاجة الى منظور نظـرى • وهذا يعنى انه لم تكن هناك أولويات مطروحة للمادة التى تحتاج الى مقاييس كمية ووصف بالجداول • ويمكن التحقق من ذلك بالنظر الى الكتـابات الاثنوجرافية ، حيث يلاحظ ندرة الجداول والبيانات الكمية فى تلك الكتابات • وجدير بالذكر أن الحاسبات الآلية ووسائل القياس لم تكن معروفة فى تلك الآونة ، وكان الأمر يتطلب وقتا طويلا للحساب اليدوى ، ومن ثم كان الباحثون ينصرفون عن التكميم •

ثم شرعت بوادر الاتجاه نحو الأخذ بالمادة الكمية فى الظهور عنـدما

---

2. Johnson, **Quantifican in Cultural Anthropology**, Op. Cit., Chap. three, pp. 42-47.
3. Ibid., p. 59 F.

اقترن البحث الثقافى المقارن بالأهداف والاجراءات العلمية. فلقد كان لويس مورجان Morgan وادوارد بيرنت تايلور Tylor يتميزان عن أقرانهما من علماء القرن التاسع عشر بالتزامهما الصارم باضافة خاتمة لكل دراسة وصفية تتناول مجتمعا من المجتمعات، بحيث تتضمن هذه الخاتمة نوعا من المقارنة بين هذا المجتمع وغيره من المجتمعات الأخرى . وكان تايلور بوجه خاص ميالا الى تدعيم بحثه حول الأنماط الثقافية بطائفة من البيانات العددية .

وفى عام ١٩١٥ نشر هوبهاوس Hobhouse وزميلاه دراسة فى اطار التحليل المقارن للأنماط الثقافية . وكان المتغير الرئيسى الذى تدور حوله هذه الدراسة هو «تطور أسلوب الانسان فى التحكم فى الطبيعة». وقد حاولوا ايجاد علاقات الارتباط بين تطور نظام الانتاج الاقتصادى وتطور نظام العدالة والادارة . وقاموا بترتيب القبائل على امتداد خط تطورى يبدأ بمرحلة الصيد الدنيا وينتهى بالمرحلة الثالثة للزراعة. وقد أنتهوا فى كشفهم للارتباط بين هذين المتغيرين الى أن نظام العدالة والادارة يتطور من الخاص الى العام كلما تقدم الانسان فى مراحل النمو والتطور، فاعلى درجة من خصوصية نظام العدالة نجدها فى مرحلة الصيد الدنيا ، بينما اعلى درجة من عمومية نظام العدالة نجدها فى مرحلة الزراعة الثالثة(٤) .

واستمرت الدراسات الثقافية المقارنة بعد ذلك ، واخذت تتراكم . وأخذ الباحثون يستعينون بكثير من الأساليب والتكنيكات الاحصائية المتنوعة فى اجراء مسوح للعناصر الثقافية فى كثير من الأماكن .

وتحقق الأنثروبولوجيا الثقافية تقدما فى مضمار تكميم المعلومات . فلقد أعد جورج ميردوك Murdock أطلسا اثنوجرافيا استغرق فى اعداده عدة سنوات . اذ تجمعت لديه ذخيرة هائلة من البيانات والمعلومات الثقافية عن ٨٦٢ مجتمعا . فقام بتصنيف هذه البيانات والمعلومات ، وتكويدها برموز معينة ، وادراجها فى ملفات خاصة طبقا للترتيب الأبجدى . كما استعان

---

4. L. Hobhouse, G. Wheeler, and M. Ginsberg; **The Material Culture and social institutions of the Simpler Peoples : An essay in Correlation**, Routledge and Kegan Paul, London, 1915.

بالكمبيوتر فيمعالجة هذه البيانات وتحليلها طبقا لبرنامج معد لهذا الغرض يتناول خمسين متغيرا تتراوح بين الاقتصاد المعيشى ، والزواج ، وتنظيم المجتمع ، وسمات المعتقدات والممارسات الدينية . وقد نشر هذا الأطس الاثنوجرافى ملخصا فى جزءين عام ١٩٦٧(٥) .

وقبل ذلك بسنوات كانت هناك أطالس للفولكلور فى ألمانيا،وسويسرا، ويوغسلافيا . كما شهدت مصر فى العقدين الأخيرين جهودا لاعداد أطلس مصرى للفولكلور ، وتم الانتهاء فعلا من المرحلة الأساسية فى هذاالمشروع(٦).

★●☆

ولقد تبلورت خلال العقدين الأخيرين أيضا بعض المداخل أو التوجيهات التى تحكم استراتيجية البحث الأنثروبولوجى ، وتتيح الفرصة للافادة من البيانات والمعلومات الكمية . ومن بين هذه التوجيهات أو المداخل ما يعرف بنسق المدخلات ــ والمخــرجات input - output . وجدير بالذكر أن هذا المصطلح يستخدم أصلا فى علم الاقتصاد ، وكذا فى الدراسات الايكولوجية. ويستخدمه الانثروبولوجيون حديثا كنوع من الاستجابة لحركة التطور المنهجى فى العلم.ويقوم هذا الاتجاه على تحليل ثلاثة عناصر هامة لدراسة الانسان ، هى : السكان ، والعمل ، والصحة .

وتعتمد دراسة العنصر الأول،أى السكان،على البيانات الديموجرافية وبيانات التعداد على مختلف المستويات . فالباحث الأنثروبولوجى عليه أن يتسلح بهذه البيانات عن المجتمع الذى يدرسه . حيث يقف من خلالها على

---

5. George Peter Murdock, Ethnographic Atlas : A Summary, Ethnology, 6, 1967 A, pp. 109-236.
— George Peter Murduck, Ethnographic Atlas, Univ. of Pittsburgh Press 1967 b.

(٦) اقرأ مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :
محمد الجوهرى،علم الفولكلور.الجزء الأول (الأسس النظرية والمنهجية)، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٤) ١٩٨١ ، الفصل الحادى عشر .
وتبذل فى الوقت الحاضر جهودا علمية فى مجال أطلس الفولكلور المصرى تحت اشراف الدكتور محمد الجوهرى بالتعاون مع الهيئة العامة لقصور الثقافة .

خصائص السكان وتوزيعاتهم طبقا للجنس ، والسن ، والتعليم ، والمهنة ، وغيرذلك من المتغيرات الاخرى • واذا لم تتوفر هذه البيانات على مستوى الوحدة التى يتناولها الباحث بالدراسة فان عليه أن يجرى مسحا للمجتمع المحلى لتحديد هذه الخصائص السكانية •

أما العنصر الثانى وهو العمل **Work** ، فانه يعرف تعريفا عاما على أنه «الجهد الانسانى» الذى يحفظ للانسان «الوجود» البيولوجى • وثمة صعوبات تتسم بها التحليلات الخاصة بالعمل والأنشطة وقياسها • ويفيد فى هذا المجال كثيرا القياس الذى يعتمد على استخدام الوقت **Time use** • لأن مقاييس استخدام الوقت تكون صالحة للمقارنة الثقافية • فالناس فى كل مكان فى العالم يستخدمون وقتهم ويوزعون الانشطة المختلفة التى يؤدونها على هذا الوقت تبعا لأولويات معينة تشمل الحاجات البيولوجية وغيرها من الحاجات التى يتطلبها الانسان •

وجدير بالذكر أن مقاييس استخدام الوقت قد استخدمت فى دراسات سابقة على أيدى أنثروبولوجيين •ومن أمثلة ذلك ما قام به الباحثان جونسون Johnson فى دراستهما التطبيقية على مجتمع محلى لهنود الماتشيجونجا Machiguenga فى بيرو بالأمازون(٧) • وقد حاولا فى هذه الدراسة قياس الجهد الانسانى الذى يقوم به أبناء هذا المجتمع المحلى•وقد عرضا للأنشطة التى يؤديها البالغون من الجنسين خلال النهار ، ومتوسط الوقت الذى يستغرق فى هذا الأداء ، كما يبدو فى الجدول رقم (١) •

غير أن تحليل بيانات استخدام الوقت وحدها لا تكفى بالضرورة لقياس «الجهد الانسانى» ، لأن الاعمال والأنشطة تختلف بعضها عن بعض فى كمية الطاقة المطلوبة أو اللازمة لأدائها •كما أن الأفراد يختلفون فيما بينهم فى معدلات الأداء • ومن ثم فان هناك مقياسا آخر يقترن بمقياس استخدام الوقت ، وهو مقياس **الطاقة** • أى عدد السعرات الحرارية التى

---

7. Orina R. Johnson and Allen Johnson, "Male/female relations and the organization of work in a Machiguenga Community", **American Ethnologist, 2 : 1975, pp. 634-648.**

جدول (١) يوضح متوسط توزيع الوقت خلال النهار بين البالغين في مجتمع تشيجونجا

| النشاط | الرجال (ن = ١٥) | | النساء (ن = ٢٠) | |
|---|---|---|---|---|
| | الوقت المستغرق بالدقائق | النسبة الى الـ ٢٤ ساعة | الوقت المستغرق بالدقائق | النسبة الى الـ ٢٤ ساعة |
| الأكل | ٧١ | ٤ر٩ ٪ | ٥٥ | ٣ر٨٪ |
| اعداد وتجهيز الطعام | ١٢ | ٠ر٨ | ١٤١ | ٩ر٨ |
| رعاية الطفل | ١ | ٠ر١ | ٦٩ | ٤ر٨ |
| التصنيع | ٨١ | ٥ر٦ | ١٢٤ | ٨ر٦ |
| أعمال الأخشاب والنجارة | ٥٢ | ٣ر٦ | ٥ | ٠ر٣ |
| صناعة الملابس القطنية | ١ | ٠ر١ | ١٠٥ | ٧ر٣ |
| أخـــرى | ٢٨ | ١ر٩ | ١٤ | ١ر٠ |
| احضار الأطعمة البرية | ١٢٢ | ٨ر٥ | ٥١ | ٣ر٥ |
| الجمـــع | ٢٢ | ١ر٥ | ١٩ | ١ر٣ |
| صيد الأسماك | ٤٥ | ٣ر١ | ١٨ | ١ر٢ |
| الصيد البرى | ٤٥ | ٣ر١ | — | — |
| أخـــرى | ١٠ | ٠ر٨ | ١٤ | ١ر٠ |
| العمل البستانى | ١٤٤ | ١٠ر٠ | ٥١ | ٣ر٥ |
| التنظيف، الحريق، الزراعة | ٢٩ | ٢ر٠ | ١ | ٠ر١ |
| ازالة الأعشاب الضارة | ٤٥ | ٣ز١ | ٢ | ٠ر١ |
| الحصاد | ٤٧ | ٣ر٣ | ٣٩ | ٢ر٧ |
| أخـــرى | ٢٣ | ١ر٦ | ٩ | ٠ر٦ |
| البطالة والراحة | ١٤١ | ٩ر٨ | ١٤٩ | ١٠ر٣ |
| النظافة الشخصية والعناية بالصحة | ٢٠ | ١ر٤ | ٣٥ | ٢ر٤ |
| الزيارات | ٦٢ | ٤ر٣ | ٤٥ | ٣ر١ |
| أخـــرى | ١٢٦ | ٨ر٨ | ٥٩ | ٤ر١ |
| الاجمـــالى | ٧٨٠ | ٥٤ر٢ ٪ | ٧٧٩ | ٥٣ر٩٪ |

المصدر : A. Johnson, Ibid., p. 90,

تحــرق نخلال أداء الأنشطة المختلفة ٠ وقد أجرى جونســون ومونتجومرى دراسة حول هذا الموضوع فى مجتمع الماتشيجونجا أيضــا ، كمــا يبــدو فى الجدول رقم (٢) ٠ وبذلك يصبح بالامكان قياس الجهد الانسانى من خلال المقياسين معا ٠ اى مقياس استخدام الوقت ومقياس الطاقة ٠

وأما العنصر الثــالث ، وهو الصحة ، فانه يقــع فى دائرة اهتمـــام الأنثروبولوجيين من حيث أنه يتصل بالعائد الذى ينتج عن الجهد الذى يقوم به الانسان ، أو ما يعرف «بالمخرجات» طالما أن الوقت والطاقة همــا من المتغيرات التى تعتبر «مدخلات» للجهد٠ويتناول الأنثروبولوجيون موضوع الصحة من خلال دراســة التغذية وعلاقتها بالوضــع الاجتماعى والمستوى الطبقى ، وعادات الطعام ، والأحوال المعيشية الخاصة بظــروف السكن ، والتلوث ، ٠٠ الخ ٠ هذا فضلا عن الاهتمام المباشر بالمرض من حيث ادراك الناس لأسبابه وكيفية الوقاية منه ، والمعالجين الذين يستعين بهم النـــاس فى العلاج ٠

وفى ضوء ما سبق ، فان الكتاب الذى بين أيدينا يتناول موضوع دراسة الحالة ، وهناك كتــابات سابقة تناولت هذا الموضوع فقدمت تعريفــا به ، وشرحت كيفية استخدامه ، ومزاياه وعيوبه(٩) ٠وعلى ذلك فسوف لا نخوض هنا كثيرا فى الحديث حول التعريف والمزايا والعيوب ، وانما سوف نتناول الموضوع فى ضوء الاستراتيجية الجديدة للبحث ٠

ويوحى الينا مصطلح «دراسة الحالة» عادة باننا بصدد دراسة حالة واحدة أى فرد واحد فقط ٠ ولكننا لو تاملنا الطريقة وكيفية أدائها لتبينا أن الجماعات والمؤسسات،بل المجتمعات المحلية يمكن أن تكون هى الأخرى موضوعا للدراسة بطريقة دراسة الحالة ، أو يمكن بعبارة أخرى أن تــكون «حالة للدراسة»(١٠) ٠ وعلى هذا الأساس يكون منهج دراسة الحالة صالحا

---

8. Johnson, **Quantification**. Op. Cit., p. 91.

(٩) انظر : محمــد الجوهرى وعبــد الله الخريجى ، **طرق البحث الاجتماعى** ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ط (٣) ، ١٩٨٢ ٠

(١٠) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٨ ٠

## جدول (٢)

### متوسط الانفاق اليومى للطاقة لدى البالغين فى مجتمع ماتشيجونجا

| النشــــاط | الرجال (ن = ١٥) | | | النساء (ن = ٢٠) | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | عدد السعرات الحرارية المحترقة فى الدقيقة | كمية الطاقة التى تنفق خلال النهار بالسعرات الحرارية | نسبة اجمالى الطاقة المنفقة فى الـ ٢٤ ساعة | عدد السعرات الحرارية المحترقة فى الدقيقة | كمية الطاقة التى تنفق خلال النهار بالسعرات | نسبة اجمالى الطاقة المنفقة فى الـ٢٤ساعة |
| الأكل | ١ر٩ | ١٣٥ | ٤ر٢ ٪ | ١ر٣ | ٧١ | ٣ر٧٪ |
| اعداد وتجهيز الطعام | ١ر٩ | ٢٢ | ٠ر٧ | ١ر٩ | ٢٦٨ | ١٣ر٩ |
| رعاية الطفل | ٢ر٢ | ٢ | — | ١ر٤ | ٩٦ | ٥ر٠ |
| التصنيع | ٣ر٧ | ٣٠٠ | ٩ر٤ | ١ر٧ | ٢١١ | ١١ر١ |
| احضار الأطعمة البرية | ٥ر٣ | ٦٤٥ | ٢٠ر١ | ٤ر٤ | ٢٢٧ | ١١ر٨ |
| الأعمال البستانية | ٥ | ٧٢٢ | ٢٢ر٥ | ٢ر٦ | ١٣٤ | ٧ر٠ |
| البطــالة والراحة | ١ر٣ | ١٨٤ | ٥ر٧ | ١ر٠ | ١٤٩ | ٧ر٧ |
| النظافة الشخصية والعناية بالصحة | ٢ر٤ | ٤٧ | ١ر٥ | ٢ر٥ | ٨٨ | ٤ر٦ |
| الزيارات | ١ر٣ | ٨١ | ٢ر٥ | ١ر٠ | ٤٥ | ٢ر٣ |
| أخـــرى | ٣ر٢ | ٤٠٤ | ١٢ر٦ | ١ر٨ | ١٠٧ | ٥ر٦ |
| الاجمـــالى | | ٢٥٤٢ | | | ١٣٩٦ | ٧٢ر٦٪ |

**المصــــدر :**

Edward Montgomery and Allen Johnson; Machiguena expenditure, Ecology of Food and Nutrition 6 : 1976, pp. 97-105.

لكى يفى باحتياجات الباحثين على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم. ذلك أنه منهج متعدد المستويات ، ويتفاوت فى الضيق والاتساع بحيث يمكن الاستعانة به فى دراسة «الحالة» طبقا للمستوى الذى تكون عليه .

وترتيبا على ذلك ، فان هذا المنهج يتفاوت أيضا فى درجة البساطة أو التعقيد .. بمعنى أن الدرجة التى يكون عليها من البساطة أو التعقيد تتناسب طرديا وايجابيا مع المستوى الذى تكون عليه «الحالة» من الضيق أو الاتساع . فدراسة حالة فرد تختلف بدرجة أو بأخرى عن دراسة وحدة معيشة تضم عددا من الأفراد يتفاعلون معا ويحيون حياة اجتماعية مشتركة . كما تختلف أيضا عن دراسة قرية ، أو مجتمع محلى حضرى ، أو مؤسسة صناعية .

والمقصود بالبساطة والتعقيد هنا يتعلق بالاجراءات المنهجية ، والتكنيكات والأدوات التى تستخدم فى جمع المادة الميدانية ، وما اذا كان الأمر يحتاج الى «فريق بحث» أم أن «حالة الدراسة» لا تحتمل ذلك ، وكيفية التعامل مع المادة الميدانية من حيث المعالجة الآلية الكمية أو تغليب الجانب الكيفى ، .. الخ . فدراسة حالة ضيقة النطاق (كالفرد مثلا) قد لا تستدعى القيام بكثير من الاجراءات التى لابد من اتباعها عند دراسة مجتمع محلى . ففى الحالة الثانية لابد من اجراء دراسات استطلاعية تمهيدية اذا كان المجتمع المحلى المطلوب دراسته يجب أن يمثل نمطا معينا من المجتمعات المحلية . فهذه الدراسات الاستطلاعية تكون لها أهميتها فى الاختيار . واذا كان المجتمع المحلى المختار للدراسة لا تتوفر عنه بيانات توضح خصائص السكان الموجودين به - كالتوزيع العمرى ، والنوعى ، والمهنى ، والتعليمى مثلا - فان الأمر يستدعى فى هذه الحالة اجراء مسح لهذا المجتمع المحلى يشمل العناصر والمعلومات المطلوب توفيرها . ولسنا بحاجة الى القول بأن أدوات ووسائل جمع المادة لابد أن تتعدد وتتنوع بحيث تشمل الأدلة (جمع دليل) ، وسجلات الملاحظة ، وكشوف البحث ، وأجهزة التسجيل الصوتى والفوتوغرافى . هذا الى جانب اجراء المقابلات ، والاستعانة بالاخباريين ، الى غير ذلك من الاعتبارات التى تراعى عند

دراسة مجتمع محلى(١١) ٠

ان ما أود أن أركز عليه هنا هو أن منهج دراسة الحالة قد تطور تبعا لتطـــور اســـتراتيجية البحث الانثروبولوجى ٠ فالمعـــروف أن البحث الانثروبولوجى قد ظل يعتمد على جهود الباحث الفرد حتى وقت قريب ٠ وبطبيعة الحال كان هذا أمرا مألوفا ومتسقا مع الفكرة القائلة بأن الدراسات الأنثروبولوجية دراســات ذات طابع بنائى ، بمعنى أنها تتناول الانســاق المختلفة التى يتكون منها المجتمع وتدرسها دراسة كلية فى علاقاتها مع بعضها البعض ٠ وفى الوقت نفسه يتوقع من الدراسة الأنثروبولوجية درجة من العمق ٠ وعلى هذا فان امكانيات الباحث الفرد لم تكن تسمح الا باختيار مجتمـــع محلى صغير ومحدود نسبيا ، مع ضرورة الاطالة فى المدى الزمنى للدراسة بقدر الامكان ٠ أما اذا كان الوقت لا يسمح ، فان الباحث لا يجد مفرا من اجتزاء الموضوع وتضييق نطاقه بقدر الامكان ٠

ولـــكن الأمر قد تغـــير فى الوقت الحـــاضر ٠ اذ اقدمت الدراســـات الأنثروبولوجية على اجراء دراسات حالة على نطاق كبـــير Large Scale لا تقتصر على مجتمع محلى واحد وانما تشمل عددا من المجتمعات المحلية التى تمثل أنماطا مختلفة ٠ ولم يعد الأمر يقتصر على باحث فرد ، وانما اصبح هناك فريق أنثروبولوجى للبحث يعد اعدادا خاصا لهذا الغرض ٠

وهكذا يمكن القول بأن الاستراتيجية الجديدة للبحث الأنثروبولوجى تضعنا أمام تطـــور جديد لدراسة الحـــالة ، وهو ما يمكن أن نطلق عليـــه «دراسة الحالة المركبة» أو «دراسة الحالة متعددة الأبعاد» Multi-dimension case-study

وتعدد الأبعاد هنا نقصد به ما يلى :

١ ـ تعدد مستويات التناول ، أى تعدد مستويات «الحالات» داخليا ٠ فنحن عندما نختار ثلاث قرى وثلاثة أحياء أو مناطق حضرية ، لكى ندرس

---

(١١) يمكن الوقوف على مزيد من التفاصيل حول منهـــج دراســـة المجتمع المحلى فى المرجع السابق نفسه ، ص ص ٢٠٣ ـ ٢٢٠ ٠

فى كل منها عددا من وحدات المعيشة التى تمثل انماطاط مختلفة من عمـالة المرأة ومشاركتها الاقتصـادية ، مثلا(١٢) ، فاننـا نكون هنا أمام عدد من مستويات دراسة الحالة هى مستوى الفرد فى داخل وحدة المعيشة ، ومستوى وحدة المعيشة ككل ، ومستوى مجموعة وحدات المعيشة التى تندرج فى اطار نمط معين ، ومستوى المجتمع المحلى ككل ، ومستوى المجتمعات المحلية الريفية الثلاث كممثل للبعد الريفى ، ومستوى المناطق الحضرية الثـلاث كممثل للبعد الحضرى ، ... الخ .

٢ ـ تعدد أبعاد المقارنة على النحو الموضح فى تعدد مستويات الحالات.

٣ ـ تحقيق المزج بين سمة العمق فى الدراسة الأنثروبولوجية من جهة، وبين سعة ورحابة مستوى التناول الذى تتسم به الدراسات المسحية .

٤ ـ امكانية الجمع بين الطابع الكيفى والطابع الكمى فى جمع المادة وتحليلها وعرضها .

وبعد،فان الكتاب الذى بين أيدينا يتناول الموضوع على امتداد سبعة فصول ، يتناول الأول منها نموذجا لدراسة الحالة على مستوى الفرد.وهو نموذج مستمد من الدراسات الفولكلورية فيما يتعلق بدراسة التراث الدينى الشفاهى . ويتناول الفصل الثانى البدايات المبكرة لدراسة وحدة المعيشة ، وذلك من خلال محاولة لوبلاى المبكرة لاستخدام منهج دراسةالحالة،وتطوير أوسكار لويس المتمثل فى دراسة الأسر الخمس.أما الفصلان الثالث والرابع، فانهما يقدمان نماذج لدراسات حالة متعمقة لمجموعة من وحدات المعيشة فى فى قريتين مصريتين ، احداهما بالدلتـا ، والأخرى بالصعيد ، وذلك فيما يتعلق بأنماط التفاعل الاجتماعى واتخاذ القرار الخاص بتنظيم الأسرة على المستوى العائلى . أما الفصل الخامس ، فانه يقـدم عددا من التحليـلات والاستنتاجات المستخلصة من الفصلين السابقين . ويقدم الفصـل السـادس

---

(١٢) على النحو المتبع فىدراسة أدوار المرأة بالفيوم والقاهرة،انظر: علياء شكرى وزملاؤها ، المرأة فى الريف والحضر ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ .

نموذجا لدراسة الحالة على مستوى القرية ، وهو نموذج للأسلوب التقليدى الذى يتبعه باحث فرد عندما يتناول مجتمعا محليا صغيرا بالدراسة الانثروبولوجية . أما الفصل السابع والأخير فانه يقدم تناولا لفريق البحث الميدانى الأنثروبولوجى ، كاطار جديد للبحث المتعمق ، ومنهج دراسة الحالة ، وذلك مع الاشارة الى الدراسة الأنثروبولوجية المتعمقة لعدد من القرى والأحياء الحضرية بواسطة هذا الفريق .

★●★

ولا يسع الباحث الا ان يتقدم بوافر الشكر الى كل من قدم له يد العون فى انجاز هذا العمل ، سواء بتسهيل الحصول على المادة الميدانية ، او بتقديم النصح والمشورة ، أو بالتأييد والمؤازرة . ويخص بالشكر الأستاذة الدكتورة علياء شكرى ، الأستاذة بكلية البنات بجامعة عين شمس وعميدة المعهد العالى للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون . فقد شرفته بالدعوة للعمل معها فى مشروع بحث أدوار المرأة والتغير الديموجرافى الذى أجرى فى اطار التعاون بين مركز بحوث التنمية والتخطيط التكنولوجى بجامعة القاهرة، ومنظمة العمل الدولية بجنيف ، واستغرق اجراؤه ثلاثة أعوام ونصف فيما بين عامى ٨١ و ١٩٨٤ ، وشمل ثلاث قرى وثلاثة أحياء حضرية بمحافظتى الفيوم والقاهرة،واستعان لأول مرة بفريق للبحث الأنثروبولوجى الميدانى، فكان هو البداية الرائدة لتطبيق الاطار الجديد للبحث الأنثروبولوجى المتعمق فى مصر والعالم العربى . كما يدين لها الباحث بالفضل فى متابعة انجاز العمل الذى بين أيدينا فى مختلف مراحله ، وتقديم النصح والمشورة، مما كان له أبلغ الأثر فى انجازه . كما يتقدم الباحث بوافر الشكر الى أستاذه الجليل الدكتور محمد الجوهرى نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون فرع الفيوم ، لما يقدمه من نصح ومشورة وتوجيه . فقد تفضل بتقديم الملاحظات القيمة التى كان لها أبلغ الأثر فى اتمام هذا العمل . ولن يتسع المجال هنا لذكر أسماء الكثيرين من الاخباريين الأصدقاء . الذين يدين لهم الباحث بفضل تسهيل الحصول على المادة الميدانية . فهذا شكر عام يوجهه اليهم جميعا ، ويرجو أن يعتبره كل واحد منهم شكرا موجها اليه شخصيا .

كما يرجو الباحث أن يحظى هذا العمل بقراءة نقدية من جانب أساتذته وزملائه ، وأن يحظى منهم بالملاحظات والتعليقات التى سوف يكون لها بالقطع أبلغ الأثر فى تحقيق المزيد من الفائدة ، التى يرجو أن يقدمها خدمة للبحث العلمى الاجتماعى بوجه عام،والبحث الأنثروبولوجى بوجه خاص ، ومن أجل تقدم وطننا العزيز . والله ولى التوفيق ؟

حسن الخولى

مصر الجديدة فى ٢٥ أغسطس ١٩٨٩

# الفصـــل الأول

## الفرد كحالة للدراســة المتعمقة

## ( نموذج لدراسـة التراث الدينى الشفاهى )

## مقـــــدمة :

يمكن أن يـكون الفـرد حالة للدراســة المتعمقة من جانب كثــير من المتخصصين ، كالطبيب المعالج ،والاخصائى النفسى،والاخصائى الاجتماعى، ودارس التراث الشعبى ، .. الخ . ويحــرص القــائم بالراسـة على هذا المستوى ، على أن يسبر أغوار الفرد المبحوث ، حتى يحصل منه على أكبر قدر من المعلومات التى تساعد على دراسة حالته ، سواء فيما يتعلق بتتبع تاريخه المرضى وحالته الصحية ،أو ظروف نشأته الاجتماعية فى محيط أسرى خاص ، أو أســلوب تربيته وشبكات علاقاته الاجتماعيــة ، وغير ذلك من العوامل والظروف التى تتضافر وتعمل على تكوين شخصيته على نحو سوى أو منحرف ، أو ما يحمله بين جنبيه من معتقدات شعبية ، وما تعيه ذاكرته من أساطير وحكايات وأمثال ، الى غير ذلك من عناصر التراث الشعبى .

وسوف نقدم فى هذا الفصل نموذجا لدراسة الحالة على مستوى الفرد. وهو نموذج مستمد من دراســة التراث الشعبى الشفاهى ، حيث يخضـع الاخبارى الفرد لدراسة متعمقة باعتباره من أهم المصادر المتاحة للحصــول على المادة المطلوبة(١) . وقبل الدخول فى تفاصيل هذا النموذج ، نقدم لمحة عن «أسلوب البحث المتعمق» (Depth Research) ،ثم ننتقل الىالتفاصيل.

### أولا ـ البحث المتعمق :

يقصد بالبحث المتعمق دراسة موضوع من الموضوعات دراسة مركزة . وهناك موضوعات كثيرة يمكن تناولها وفقا لهذا الأسلوب.والفرد هو أصغر وحدة يمكن دراستها عن طريقه . كما أن الجماعات الصغيرة هى موضوعات طبيعية للبحث المتعمق.وقد يمتد مثل هذا النوع من الدراسة ليشمل الأسرة، والجماعة العمرية أو المهنية ، والقرية . وفى هذه الحالة يتعين على الباحث أن يكون متمثلا لمنهج دراسة المجتمع المحلى ، الى جانب تمثله لمنهج دراسة الحالة . ويعتمد البحث المتعمق اعتمادا أساسيا على العمل الميدانى المركز.

ولذا فان من يتصدى له يتعين عليه أن يكون متمثلا لأصول الدراسة الميدانية وجوانبها الفنية،حتى يكون مسلحا بالدراية والخبرة التى تؤهله لاستخدامه على الوجه الأكمل(٢) . ويقتضى ذلك بطبيعة الحال أن يكون الباحث ماهرا فى اجراء المقابلات الفردية والجماعية ، واجراء الملاحظة بأنواعها ، بما فيها الملاحظة المشاركة ، واختيار الاخباريين الجيدين ، وأن يجيد استخدام الوسائل التكنولوجية المعاونة فى العمل الميدانى كأجهزة التسجيل الصوتى، والمرئى . فقد دلت الشواهد على أهمية هذه الوسائل فيما يتعلق بجمع وتسجيل أشكال التراث فى سياقاتها الطبيعية . فجهاز التسجيل الصوتى ، أو التسجيل الصوتى - المرئى (الفيديو) قادر على نقل الرموز اللغوية والموسيقية للموضوع ، الى جانب المضمون ، والشكل ، والبناء ، والطريقة، والريتم أو الايقاع .

وثمة بعض الاعتبارات المهمة التى تتصل بأسلوب البحث المتعمق ، بالاضافة الى ما سبق ، منها :

**١ - أن استخدام هذا الأسلوب يسمح بتحقيق الفروض ، وتعديلها ، واضافة فروض أخرى جديدة خلال العمل الميدانى .** ولهذا فان الأمر هنا يختلف عن المنهج السوسيولوجى فى جمع المادة . ويود كاتب هذه السطور أن يضرب مثلا على ذلك ، من خلال خبرة شخصية مر بها أثناء فترة عمله الميدانى لدراسة عناصر التراث الشعبى بمحافظة الدقهلية منذ ثلاثة عشر عاما . فقد كانت الوحدات العمرانية التى تمثل العينة المكانية للدراسة ، هى مجموعة القرى والمدن المختارة ضمن عينة الأماكن المحددة لأعمال أطلس الفولكلور بهذه المحافظة(٣) . وفى المرحلة النهائية للعمل الميدانى ، استرعى انتباه الباحث أن هناك قرية ضمن القرى المدروسة، تتميز باختلافات واضحة فى بعض عناصر التراث الشعبى الموجودة بها ، عن باقى الأماكن الأخرى المدروسة ، بما فيها الأماكن الريفية والحضرية . وقد تولد عندئذ فرض جديد ، وجد الباحث نفسه مدفوعا للتفكير فيه ، استجابة للموقف الجديد الذى أملاه سير وتطور العمل الميدانى . وهو أن البعد الايكولوجى يلعب دورا فى تشكيل طبيعة التراث الشعبى، بغض النظر عن البعد الريفى - الحضرى . فالقرية المتميزة باختلاف عناصر تراثها ، هى قرية صغيرة تقع

على بحيرة المنزلة ، ويعمل أهلها بصيد السمك الى جانب الزراعة ٠ وهو نمط اقتصادى مختلف عن نظيره الموجود فى الأماكن الأخرى المدروسة ٠ وكان على الباحث هنا أن يفترض وجود علاقة ما بين طبيعة البيئة والموقع الجغرافى ، وطبيعة النشاط الاقتصادى السائد ، وبين طبيعة وروتين الحياة اليومية ،وطبيعة عناصر التراث الشعبى التى يحملها الأهالى فىهذه القرية٠

وكان على الباحث أيضا أن يطور من خطته للعمل الميدانى بحيث يجد مجالا لاختبار هذا الفرض الجديد ٠ فعمل على توسيع النطاق المكانى للدراسة ، وذلك باضافة أماكن جديدة تصلح لتحقيق هذا الهدف ٠ فاختار عددا من الأماكن بمحافظة الفيوم ، ومن بينها قرية تقع على شاطىء بحيرة قارون ، ويعمل أهلها بصيد السمك الى جانب الزراعة أيضا ٠ أى أنها تمثل نمطا مشتركا مع قرية الدقهلية الواقعة على بحيرة المنزلة ، وذلك فيما يتعلق بخصائص البيئة والنشاط الاقتصادى٠واستمر فى دراسته لعناصر التراث وحاملى هذه العناصر بالأماكن الجديدة المضافة٠وكان يقظا وحريصا على تلمس اى اختلافات تظهر بين قريةالصيد والزراعة ــ «شكوك» ــ وبين غيرها من الأماكن الأخرى الممثلة للنمطين الريفى والحضرى ٠ وأكد العمل الميدانى وجود اختلافات بين هذه القرية والأماكن الأخرى ، على نحو يؤكد صحة الفرض العلمى الذى تولد ميدانيا ، وتم تحقيقه ميدانيا ، بهدف الوصول الى الحقيقة العلمية مهما كانت التضحيات(٤) ٠

٢ ــ أن البحث المتعمق يمكن استخدامه فى دراسة موضوعات مركبة ، أى تدخل فى عدد من أفرع المعرفة المختلفة (Inter disciplingary) ٠ ومن الأمثلة على ذلك ، الدراسة الانثروبولوجية المتعمقة للدين ، التى تتضمن الكثير من القضايا والمشكلات والمناهج المستخدمة فى علم الأديان المقارن ، وعلم الفولكلور ، والأنثروبولوجيا الثقافية ، والاجتماعية،وعلم الاجتماع٠ ومنها أيضا ، دراسة الطب الشعبى ، حيث تتفرع عناصره وتتداخل فى هذه العلوم ، كما تشمل طائفة من المعارف والمعتقدات الشعبية المتصلة بالسحر ، والأولياء ، والحيوان ، والنبات ، ٠٠٠ الخ ٠

٣ ــ أن هذا الأسلوب يتميز بالمرونة ، كما يتميز بالثراء والتعدد فى

طرقه ووسائله وأدواته للعمل الميدانى • فبالاضافة الى ما ذكرناه من قبل ، يهتم البحث المتعمق اهتماما خاصا بالتداعى الحر ، والافكار والاتجاهات، والتفسيرات والتاويلات التى يضيفها حملة التراث عـلى الامور والاشياء • وهذه جميعهـا مما لا يمكن التعـرف عليه بكفـاءة عن طريق الاسـتبيان السوسيولوجى التقليـدى ، حيث انها تبقى فى العـادة خارج نطـاق هذا الاستبيان • ومن المشكلات المحورية التى يتصدى لها البحث المتعمق،طرق ووسائل تناقل التراث • وحيث أن عملية التناقل تفترض سلفا وجود التبادل بين الأفراد،والمجتمعات المحلية،فان الافراد وجماعاتهم الاجتماعية يكونون مجالا للبحث المتعمق • وفى كل حالة ، يعتمد المنهج المستخدم على طبيعة المادة محل الدراسة • وعندما يتناول البحث المتعمق ، الثقافات غير الأمية، فانه يفيد،مثلا ، من مناهج علم النفس الاجتماعى،وطرق دراسة الجماعات الصغرى فى علم الاجتماع • أما المناهج التى يفيد منها عند تناوله للثقافات الامية ، فهى المناهج المستخدمة فى الانثروبولوجيا الثقافية ، والاجتماعية • وفى عالم اليوم ، تعقدت المجتمعات واتسمت بالتباين ، ولم تعد كما كانت فى الماضى مجتمعـات متجانسة ، ولذا فان البحث المتعمق يفيـد من هذه المناهج جميعا •

٤ ـ انه أسلوب ملائم للاستخدام بواسطة باحث فرد ، وكذا بواسطة فريق العمل الميدانى • اى أنه يناسب كافة مستويات البحث المتعمق عـلى اختلافها وتفاوتها من حيث الضيق أو الاتساع • ومن الطبيعى ، كمـا يرى بعض المشتغلين بجمع المادة الفولكلورية ودراستها ، أن فريقا من الدارسين الذين يستعينون بوسائل فنية مختلفة ، ويجرون ملاحظاتهم من عدة زوايا مختلفة ، هو الطريق الامثل للوقوف على دراسة كلية شـاملة للموضـوع المدروس ، على نحو يفوق امكانيـات الجامع أو البـاحث الفـرد • حيث لا يستطيع الفرد وحده ، فى حدود امكانياته الخاصة ، أن يحقق ما يقـدر على تحقيقه فريق من الباحثين(٥) •

٥ ـ أن أسـلوب البحث المتعمق يحظى باهتمـام خاص من جانب المشتغلين بدراسات الفولكلور ، والانثروبولوجيا الثقافية • ذلك ان الفـرد

يخضع للدراسة المتعمقة باعتباره حاملا للتراث . حيث ينصب الاهتمام على تاريخ حياته ، ونظرته للعالم ، وما يحمله من تراث . كما أن الباحث يستطيع أن يتعامل من خلاله مع رواة الحكايات الشعبية، وأن يحاول النفاذ الى أعماق الأفراد للوقوف على معتقداتهم الشعبية ، وعلى حالتهم النفسية المرتبطة بطبيعة تعاملهم مع ما يحملون من تراث(٦) .

ويفيد المشتغلون بالأنثروبولوجيا الثقافية من هذا الأسلوب ، وذلك فى دراساتهم الخاصة بقياس مدى تأثير الثقافة فى الشخصية . فمن المعروف أن «مدرسة الثقافة والشخصية» قد طورت منهجا يهدف الى قياس هذا التأثير . وهو منهج يجمع بين المدرستين السيكولوجية والثقافية(٧) . وغنى عن البيان، أن الفرد لا يمكنه ان يعيش الا فى بيئة اجتماعية وثقافية . فهذه البيئة هى التى تصوغ ملامح شخصيته ، وترسم اطار حياته ونظرته للعالم ، وتقديره للأمور . وهى التى توجه سلوكه ، وتتوقع منه أنماطا معينة للسلوك فى مختلف المواقف(٨) . ومن ثم فان الدراسة المتعمقة لنفرد يمكن أن تكشف عن كثير من خصائص البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ، وملامح ثقافتها ، ونمط الشخصية الشائع فيها .

ثانيا ـ الفرد كموضوع للبحث المتعمق :

أجرت الباحثة «بنتكاينين» Pentikainen دراسة حول موضوع «الفرد، والتراث ، والريبرتوار ، والنظرة للعالم» على أخبارية فى الثمانين من عمرها ، هى «مارينا تاكالو» Marina Takalo (١٨٩٠ ـ ١٩٧٠) ، وهى حاملة تراث تنتمى الى مقاطعة كاريليا Karelia الروسية(٩) . وهذه الدراسة هى دراسة أنثروبولوجية ـ دينية تختلف عن معظم الدراسات المبكرة التى أجريت حول الأفراد حاملى التراث ، من حيث أن هذه الدراسة قد شملت المجموع الكلى للتراث الحى والنشيط [الريبر توار repertoire] لدى فرد واحد . ولقد كانت السيدة تاكالو سيدة أمية . وهذا يعنى أن الاتصال الشفاهى بالنسبة لها كان هو العملية الوحيدة التى يتم بواسطتها تكوين المعلومات وتناقلها .

ولقد كانت المرحلة الأولى فى هذه الدراسة هى مرحلة المقابلات

الحرة» ٠ ففى خلال تلك المقابلات ، نقلت السيدة تاكالو جمعا من التراث، هو فى حقيقته متصل بما لديها من ريبرتوار (والمقصود بكلمة «ريبرتوار» ، المادة التى يختارها حامل التراث بشكل نشط ، من بين ما يحمله من تراث، بحيث يكون مسيطرا على هذه المادة ومتمكنا منها تماما) ٠ فلقد كانت تعرف مضمون المادة التى نقلتها ، ونوعها ، وتركيبها ، وبناءها ٠ كما كانت تستشعر البهجة اثناء ذكرها اياها ٠ ولقد نقلتها بطريقة عفوية ، وفورية ، كما لو انها تذكر موضوعا جديدا حديث الوقوع٠ان ثلاثين فى المائة من المادة التقليدية المعروفة لدى السيدة تاكالو ، متضمنة فيما ذكرته من ريبرتوار ٠ وسوف نتحدث عن العتبة التى يمر منها الريبرتوار عندما يتحول التراث من طبيعته الكامنة الى طبيعته النشطة ٠

وبعد الانتهاء من المقابلات الحرة ، بدأ اجراء عدد من «المقابلات الموجهة» ٠ وقد كان الاهتمام فى هذه المقابلات منصبا على القضايا المتصلة بنقد السياق ، ونقد مصدر المعلومات٠وقد تم اعداد دليل خاص للاستخدام فى هذا النمط من المقابلات ، اشتمل على العناصر التالية :

١ ـ مصدر المعلومة (ممن سمعت الحكاية ؟) ٠

٢ ـ عمر المعلومة (كم كان عمرك حينئذ ؟) ٠

٣ ـ الاستخدام (ماذا كان يجرى حينما قيلت لك هذه القصة ؟) ٠

٤ ـ سياق الموقف التعليمى (كيف قيلت القصة ؟ ، ومن الذى كان حاضرا ؟ ، وماذا فعل المستمعون ؟ ، ومن الذى فسر القصة ؟) ٠

٥ ـ الوظيفة (لماذا قص عليك هذه القصة ؟ ، وماذا كانت ظنون وأفكار المستمعين حول القصة ؟) ٠

٦ ـ المعنى (ماذا ترين فى القصة ؟ وهل تعتقدين فى صحتها ؟ وهل تحبينها ؟ وهل ثمة أناس آخرون يعتقدون فى صحتها ؟) ٠

٧ ـ تصنيف حامل التراث للأساليب والوسائل (ماذا تسمى هذه القصة ؟) ٠

٨ ـ الملاحظات المتصلة بترديد حامل التراث لعنصر من العناصر ، ووصفه له ، ٠٠ الخ ٠ (هل قص عليك أناس آخرون هذه القصة ؟ ، متى ؟ ومن أى الجوانب كانت القصة مختلفة ؟) ٠

٩ ـ عملية النقل (متى حكيتها أنت لأول مرة ؟ وفى أى موقف ؟ ومتى حكيتها للمرة الأخيرة ؟) ٠

ولقد كانت ذاكرة السيدة تاكالو دقيقة جدا ٠ فقد كانت قادرة على ذكر المصدر ، والموقف التعليمى فى ٩٢ فى المائة من الحالات ٠ أما عن الصدق فيما يتصل بنقد المصدر والسياق ، فقد روعى العمل على تحقيقه من خلال اعادة وتكرار المقابلات ٠

وفيما يتعلق بالدين لدى السيدة تاكالو ، فقد كان من الأهمية بمكان ملاحظة المعلومات التى أدلت بها ،والتى تتمثل فى رؤوس الموضوعات التالية :

١ ـ نظرة الشخص المتدين للحياة وللعالم ، وكيفية تكوينهما ٠

٢ ـ الخلفية الدينية الشخصية ، وتحقيقها فى شكل خبرة غيبية ، وتفسير هذه الخبرة ٠

٣ ـ السلوك الطقوسى (كما يبدو فى طقوس الأفراح ،وطقوس الأتراح أو الشدائد ،والطقوس الموسمية) ٠

٤ ـ الجماعات الدينية التى كانت السيدة تاكالو عضواً فيها ٠

٥ ـ التعليم الدينى (فى هذه الجماعات) ٠

٦ ـ الأدوار الدينية التى لعبتها تاكالو ٠

٧ ـ علاقة النظرة الفردية للعالم ، كما هى لدى السيدة تاكالو ، بالتراث الكلى فى موطنها ، اقليم «أولانكا» Oulanka بمقاطعة «فينا كاريليا» Viena Karelia

٨ ـ علاقة النظرات الدينية بالبيئة الايكولوجية وما يحدث فيها من تغيرات ٠

٩ ـ التغيرات التى تطرأ على الأفكار الدينية خلال الحياة الانسانية ٠

١٠ ـ تأثير الدين على الشخصية ٠

ومن يتناول التراث الشفاهى بالتحليل ، سوف يواجه بادىء ذى بدء بالمشكلات المتصلة بنقد المصدر ، وبالتحليلات الوظيفية لهذا التراث. وحتى قبل أن يضفى أحد على التراث صفة الدينية ، فان عليه بالضرورة أن يحدد وظيفة هذا التراث . ولقد تم الوقوف على الانواع المختلفة للتراث الدينى . وتقديم شرح لما يمكن قياسه عن طريق كل نوع منها . وبقدر ما يعنى السيدة تاكالو من تراث دينى واقعى ، فقد تحدثت عن حكايات القديسين ، والأساطير ، والذكريات memorats ، والخرافات ، والمعتقدات الشعبية .

وليس المعتقد الشعبى نوعا من الحكايات القصصية ، وانما هو تعبير فوق عادى Super normal عن الجزم والتوكيد بقضية تعميمية . كما يقال ، مثلا ، «بأن احدى الأرواح تسكن الغابة» . وأما الذكرى memorat فانها رواية مستمدة من الخبرة . هى وصف لخبرة فوق عادية اجتازها الراوى أو شخص ما وثيق الصلة به. وهى أكثر المصادر صدقا بالنسبة للدارس الذى يهتم بدراسة الدين. انها تمثل تراثا امبيريقيا ، وأكثر الطرق ضمانا للتحقق من صحتها والكشف عن درجة الثقة بها ، ينطلق من علم النفس الادراكى . ولو أخذنا فى حسباننا العوامل الادراكية النفسية ، والنفسية ـ الاجتماعية ، فقد نستطيع أن نقف على درجة الثقة فى الذكرى محل الدراسة ، من حيث وصفها للخبرة فوق العادية .

ومن قبيل المقارنة بين الذكرى والأسطورة Legend ، فان الأخيرة تعتبر من المصادر الثانوية بالنسبة للدارس . والمضمون هو أهم الجوانب فى تمييز ملامح الأسطورة . كما تتخذ الاسطورة شكلا نمطيا قوامه أن المضمون يتقولب فى قالب معين ، وأنه يصاغ وفقا لحبكة معينة . وقد نرى من خلال المقارنة ، أن تلك الصيغة يعاد ذكرها فى أشكال مختلفة لنفس الأسطورة . وغالبا ما يحدث ذلك بالنسبة لأساطير أخرى متنوعة تنتمى لنفس المجموعة . وثمة عدد كبير من الأساطير التى تتسم بالتعقيد البنائى ، والتى تدور حول صيغة معينة ، كنمط الحوار . ومما يطبع الأسطورة بالطابع النمطى أيضا ، أنها تتسم بوضوح الحبكة، وبالطابع غير الشخصى. ان التفصيلات النمطية التى توجد فى الذكرى ، والتى لا تعتبر ضرورية

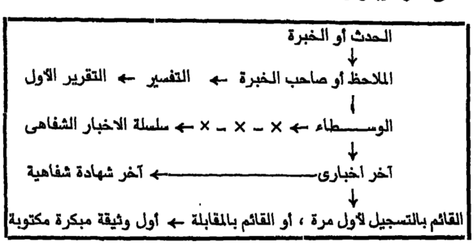
بالنسبة لحبكة الرواية ، ولكنهـا ضرورية بالنسـبة لوصف الخـبرة ، هذه التفصيلات لا توجد فى الاسطورة ، التى تظل حية اعتمادا على أهميتهـا القصصية .

والمعتقد الشعبى هو دائما قضية أو عبارة،او ذكرى،او تقرير مفصل عن خبرة فوق عادية . بينما الاسطورة هى وحدة قصصية اجمالية واضحة متقولبة فى قالب معين ، ومحبوكة بشكل ظاهر . كما ان المعتقـد الشعبى دائمـا هو تعميم لقـول دينى مأثور . ومن ثم فان جدارته بالثقـة يمكن اثباتها عن طريق التحليلات الدقيقة لمدى تكراره وتواتره . وينطبق الأمر نفسه أيضا على تحليلات الأساطير التى تشمل المقارنة ، ودراسة الشـكل ، والطريقة ، والبناء ، والمضمون ، لكى يتم فصل المادة النمطية المتقولبة ، عن المادة الفريدة التى تتسم بطابع الخبرة . ان الذكريات هى أكثرالمصادر صدقا بالنسبة لدارس التراث الدينى ، لأنها تتصل بالمواقف التى كان يتحقق خلالها التراث الدينى ، والتى بدأ منها يؤثر فى السلوك . وقد نتعلم أيضا من الذكريات شيئا عن السياقات الاجتماعية للمعتقـدات ، وعن الخبرات الدينية ، وعن خبرات المتدينين وتفسيراتهم ، وعن المجتمـع الذى يسهر على صيانة التراث .

وثمة نوع من الأساطير أو الحكايات الخرافية myths يتناول الأحداث المتصلة بنشأة الكون،وينظر اليها المجتمع المحلى بعين التقديس والتصديق. وهذا النـوع من الأسـاطير يحكى عادة بطريقة شفاهية ، الا أنه يمكن أن يدخل فى مجـال الفعل ، وذلك عنـدما يبـدو فى سياقاته الطقوسية . ان الأساطير تبرز على جميع مستويات التدين . فالانسان يستمد منها اجابات حول مشكلاته التى تتصل بعلل الأشياء وطبائعها . وهى تغذى الاتـجاهات والأحاسيس الدينية وتعززها . كما أنها تقدم نماذج من السلوك المعرفى ، وهى تنشىء الجماعات الدينية وتؤسسها ، وتشرح مثـل هذه الأمور على أنها الأصل فى تكوين العناصر الثقافية المختلفة . ولا توجد الأساطير فقط فى التراث الشفاهى والتراث المكتوب ، وانما هى موجودة أيضا فى مادة ما قبل التاريخ وفى الفن الدينى .

ولقد قامت مارينا تاكالو بتصنيف أشكال التراث التى تتسم بالطابع الروائى مستخدمة مفرداتها اللغوية الخاصة ، التى يبدو منها أنها واعية بما يتصل بالحكاية الشعبية («حكاية» ، «قصة لا حقيقة فيها» ، «شيء مسلى») . وحينما كانت تتحدث عن الأسطورة أو حكاية تتصل بالقديسيين legend («قصة تدور حول رجال مقدسون») . وعن الحكاية («قصة» ، «شائعة أو قول مسموع» hear say ، «واقعة») . وعن الذكرى («واقعة من الخبرة» ، واقعة وقعت حديثا أو منذ وقت قريب») . كما أنها كانت مدركة للمعنى ، والوظيفة ، والاستخدام بالنسبة لمختلف القصص ، فضلا عن المواقف التى تقال فيها . كما أنها قد اختارت التسمية الملائمة لكل شكل من هذه الأشكال ، من بين عدد من البدائل الممكنة . وهذا يعنى أنها فى كل حالة قد فاضلت بين معايير مختلفة تحكم المضمون ، والشكل ، والطريقة ، والتركيب ، والبناء .

ان عملية نقل التراث الدينى من الخبرة فوق العادية ، أو من الوقائع والأحداث ، الى مرحلة التوثيق ، أى التدوين فى الوثائق ، يمكن أن تتضح على نحو مايبدو فى الشكل التالى :




ويمكن أن يكون الوسطاء محلا للدراسة من زاوية السلوك الاجتماعى واللفظى . ويتناقل التراث الدينى أساسا خلال مروره بعملية الاخبار والتواتر من شخص الى آخر فى شكل سلسلة ، يكون أول حلقة فيها هو شاهد العيان الذى شهد الحدث ، أو الخبير صاحب الخبرة الدينية . ومن أهم الامور

عند دراسة الخبرة الدينية ، ضرورة الاهتمام بمرحلة التفسير ، أى الوقوف على العملية الفردية أو الاجتماعية التى تحدث خلالها الخبرة ،وتتخذ دلالة فوق عادية . وعندما يتلقى أحد الأشخاص خبرا عن الخبرة ، فانه قد ينقل بدوره ما تلقاه . وهنا تزداد سلسلة التناقل حلقة جديدة . وبطبيعة الحال، فان كل حلقة من حلقات السلسلة لها أهميتها . ولكن الاخبارى الأخير ، الذى يمثل آخر هذه الحلقات يكون له دوره الحاسم . ذلك انه يقع عليه واجب كتابة وتدوين الرسالة الشفاهية ، أو املائها على شخص آخر (يفضل أن يكون على دراية) .

والذكريات التى وردت على لسان مارينا تاكالو لها أهميتها من هذه الزاوية .لأن كل حالة منها يمكن أن تبين عدد الحلقات التى تؤلف السلسلة وتربط مارينا تاكالو بصاحب الخبرة . فلقد أوردت تاكالو ٥٨ ذكرى تقوم أساسا على خبراتها الشخصية .وهذا العدد من الذكريات يمثل ٤٥ فى المائة من مجموع عدد الذكريات التى أوردتها . كما أن هناك ٥٩ ذكرى من الدرجة الثانية ، كانت تاكالو فيها هى ثالث الرواة ، وهى تمثل ٤٦ فى المائة . كما كانت هناك أيضا ٨ ذكريات من الدرجة الثالثة ،تمثل ٧ فى المائة فقط . اما الذكريات «من الدرجة الرابعة ، فقد كانت أربع فقط ، تمثل اثنين فى المائة .

ويمكن أن نستخلص من هذا أن تراث الذكريات يجب أن يتجدد باستمرار . وفى المعتقد الشعبى الواقعى ، هناك دائما خبرات جديدة تغذى التراث الاعتقادى وتقويه . ومن الملاحظ على تراث تاكالو،وغيره من المادة التى تحويها الدراسات المتعمقة الأخرى ، أن هناك بانتظام حلقتين تفعان فى لب السلسلة التى تربط بين الشخص صاحب الخبرة بالكائن الغيبى وبين الراوى (كان نقول ان صاحب الخبرة هو الراوى الأول ، وتاكالو هى الراوى الرابع ) .كما أن شرح سياق الموقف الروائى الذى يتوحد فيه الراوى بالذكرى التى يرويها ، يعتبر من الأسس التى يقوم عليها التحقق من مدى صدق هذه الذكرى وجدارتها بالثقة . ومن المهم أن نلاحظ آيضا ، أن التفصيلات التى توجد فى الذكرى ، والتى تعتبر ضرورية بالنسبة لوصف

الخبرة ، ولكنها غير ضرورية من زاوية الحبكة الروائية ، هذه التفصيلات المبعثرة هى حلقات فى السلسلة ، الا أن أبعد هذه الحلقات تبدأ لحظة اكتساب الخبرة . ومن ثم فانه يمكن القول بان التوحد بالذكرى يتطلب تحليل كلا من الرواية وموقف الخبرة .

وهناك نقطة مهمة ، وهى ان هناك طرقا مختلفة لنقل المعلومات حول مظاهر الدين المتعددة . ولذا فان الأساطير أو الحكايات الخرافية ، والمعتقدات الشعبية ، وحكايات القديسين ، تتناول أساسا المظاهر المعرفية للدين ، كما ان الذكريات تتناول عناصره الوجدانية . وفى الوقت نفسه ، فان مستوى الارادية والترغيب يكشف عن نفسه علانية من خلال الطقوس ، والأوصاف الطقوسية للسلوك كما يبدو فى تقديم الأضحيات والقرابين ، والرقى والتعاويذ .وفى مقاطعة كاريليا الروسية ،حيث أمضت السيدة تاكالو الجزء الأول من حياتها ، كانت هناك فرق تشبه نظام الطوائف المغلقة ، تضم فىداخلها معتقدين من المسنين الذين ينتمون الى الكنيسة الأرثوذكسية ، فكانت معرفة تاكالو بهذه الفرق ، ومعاييرها ، وطقوسها ، وعضويتها ، .. الخ ، فريدة وتفصيلية .

*●*

وبعد ،فقد قدمنا فى الصفحات السابقة تعريفا بأسلوب البحث المتعمق ، وبعضا من ملامحه المنهجية ، ومجالات استخدامه . ثم قدمنا نموذجا لاستخدام هذا الأسلوب فى الدراسات التى تستقى مادتها من مصادر التراث الشفاهى . ويقوم هذا النموذج على دراسة اخبارى فرد ، اى اتخاذه حالة للدراسة المتعمقة . وجدير بالذكر أن ما يتميز به هذا الأسلوب من مرونة ، تجعل فيه متسعا من الامكانيات التى تلبى حاجة الباحثين على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم ، لاستخدامه بكفاءة فى دراسة مستويات مختلفة من الحالات ، التى تتجاوز نطاق الفرد ، لتشمل الجماعة ،ووحدة المعيشة ، والمجتمع المحلى ، والقرية ، والمدينة ، بل والمجتمع الاكبر . وهذا هو ما سوف نتناوله بشكل مفصل فى الفصول التالية .

## الحواشى والمراجع

( ١ ) انظر مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :

Juha Pentikainen, "**Religio - Anthropological; depth research**", in. Linda Dégh et al, eds.), **Folklore Today. A Festschrift for Richard M. Dorson**, Indiana University, Bloomington, 1976, pp. 403-414.

( ٢ ) انظر مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :

محمد الجوهرى ، **علم الفولكلور ، الجزء الأول ، الأسس النظرية والمنهجية** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٤) ، ص ص ٥٧٧ ـ ٦٤٥ .

( ٣ ) راجع ، المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤١ .

( ٤ ) اقرأ مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :

حسن الخولى ، **الريف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (١) ، ١٩٨٢ ، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٥٤ .

( ٥ ) J. Pentikainen, Op. Cit., p. 408.

( ٦ ) اقرأ مزيدا من التفاصيل حول الاتجاه النفسى ودراسة الطابع القومى فى:

محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ج (١) ، مرجع سابق ، ص ص ٥٣٩ ـ ٥٧٤ .

( ٧ ) يمكن الوقوف على مزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :

سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، مكتبة سعيد رأفت .

( ٨ ) اقرأ مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :

محمد الجوهرى ، المدخل الى علم الاجتماع ، دار المعارف ، ط (١) ١٩٨٠ .

( ٩ ) اقرأ مزيدا من التفاصيل حول هذه الدراسة فى :

Juha Pentikainen, Op. Cit., pp. 409-412.

# الفصل الثاني

## البدايات المبكرة لدراسة وحدة المعيشة

لا يخلو تاريخ الفكر الاجتماعى من اشارات هنا أو هناك تتعلق بحياة الأسرة وشئونها • غير أن الدراسة العلميــة المنظمة لوحدة المعيشة تعتبر حديثة نسبيا ، حيث ظهرت بوادرها فى النصف الثانى من القرن التاســع عشر • وسوف نقــدم هنا نموذجين للاستشهاد بهما على البدايات المبــكرة لدراسة وحدة المعيشة فى اطار منهج دراسة الحالة • يتمثل أولهما فى اسهام فريدريك لوبلاى Le Play ، ويتمثل الآخر فى اسهام أوسكار لويس Lewis

## أولا ــ لوبلاى والاستخدام المبكر لمنهج دراسة الحالة

لقد قدم لوبلاى (١٨٠٦ ــ ١٨٩٢) خدمة للعلوم الاجتماعية ، وخاصة فى مجال مناهج البحث فى هذه العلوم • فقد كان يعتمد فى دراساته عــلى الملاحظة الدقيقة الواعية للظواهر الاجتماعية • وقد تجلى هذا المسلك فى دراسته لميزانية الأسرة • فقد كان يرى أن الأسرة هى الوحدة الاجتماعيــة الأساسية • كما كان يرى أن ميزانية الأسرة هى التعبير الكمى عن حياتها ، كما أنها تعتبر أساسا للتحليل الكمى للوقائع الاجتماعية •

وكان لوبلاى يربط بين عناصر ثلاثة لها أهميتها من وجهة نظره فيما يتعلق بالدراسة السوسيولوجية • وهى الأسرة ، والعمل الذى تؤديه وتحقق من خلاله اشباع احتياجاتها المختلفة ، والمكان أو البيئة الجغرافيــة التى تؤثر فى طبيعة هذا العمل • وقد طور ، بناء على ملاحظاته الدقيقة العديدة ، مفهومى «السعادة» و «الشقاء» ، كبداية لنظرية عامة فى البناء الاجتماعى ، فهو يقول بأن السعادة فى كل مكان تتحقق باشباع حاجتين أساسيتين تفرضهما طبيعة الناس • تتمثل الأولى فى الخبز اليومى (أى الاحتياجات المادية) ، وتتمثل الثانية فى السنن الأساسية (وهى المسائل اللامادية) • وحينما يحقق البناء الاجتماعى القائم اشباعا لهاتين الحاجتين ، يسعد المجتمع • وحينما لا يتيح مثل هذا البناء ذلك الاشباع ، يشقى المجتمع ويقاسى •

وكان لوبلاى يتميز بحس منهجى واضح ، فحينما كان يختار أسرة

ليتخذها موضـوعا للملاحظة ، كان يبحث عن واحدة تقترب من متوسط الاقليم أو المنطقة٠اى أنه كان يراعى ضرورة أن تأتى الأسرة التى يختارها ممثلة للنمط السائد الذى يميز غالبية الأسر فى المنطقـة ٠ وكان يستعين فى ذلك بالسلطات الاجتماعية٠ولم يكن يعرف اللغة المحلية فى بعض الاحيان، ولكن معايشته للأسرة كانت تكسبه معرفة وفهما أساسيا بأسلوب حياتها ٠ ومن هنا يمكن القول بأن لوبلاى قد اعتمد على الملاحظة المشاركة فىدراسته المتعمقة للأسرة ٠ وقد كان على وعى بأن الملاحظـة المنظمة هى وحدها الخطوة الأولى على طريق البحث العلمى(١) ٠

## ثانيا ـ أوسكار لويس ودراسة الأسر الخمس

فى كتابه بعنوان : «خمس أسر ٠ دراسـات حالة مكسيكية فى ثقـافة الفقر»(٢)،حاول أوسكار لويس أن يقدم صورة دقيقة وموضوعية عن الحياة اليومية فى خمس أسر مكسيكية ، أربع منها من الأسر منخفضة الدخل٠وكان هدفه من ذلك هو المساهمة فى فهم ثقافة الفقر فى المكسيك المعاصرة ، وكذا فهم الفقراء على امتداد العالم ، حيث يوجد شىء ما مشترك بينهم ويمـيز الحياة فى الطبقات الفقيرة بوجه عام٠وقد دفع لويس الى انجاز هذا العمل احساسه بأن الأنثروبولوجيين تقع عليهم مسئولية جديدة فى العالم الحديث، وهى خدمة الجماهير الضخمة من الفلاحين وسكان المناطق الحضريةفىالبلدان المتخلفة ، التى تشكل ثمانين فى المائة من سكان العالم ٠

ويؤكد لويس على أهمية دور الأنثروبولوجيين فىدراسة أحوال الفقراء وثقافتهم ٠ وعلى الأنثروبولوجى الجيد ، الذى يستطيع القيام بهذا الدور، أن يعيش مع الفقراء ، وأن يتعلم لغتهم وعاداتهم،وأن يتوحد مع مشكلاتهم وطموحاتهم٠كما يتعين عليه بالضرورة أن يكون مدربا على أساليب الملاحظة بأنواعها وخاصة الملاحظة المشاركة ٠ واذا توفرت هذه السمات فى الباحث، فانه يكون جاهزا ومؤهلا للقيام بهذا العمل ، سواء فى بلده أو فى بلد آخر أجنبى ٠

### الملامح المنهجية فى دراسة الأسر الخمس :

تعتبر هذه الدراسة تجربة فى مجـال تصميم البحث الأنثروبولوجى

التى تواجه بها الأسرة أوضاعا جديدة كهذه ، انما تكون لها صلة بالمظاهر الخفية للديناميات النفسية لها.كما أنها تكشف عن الفروق بين الأفراد فيها.

**المدخل الرابع :**

ويتمثل هذا المدخل فى اجراء ملاحظات دقيقة وتفصيلية ليـوم نمطى فى حيـاة الأسرة . ولكى تضفى على هذا المدخل عمقا ومعنى يجب الجمع بينه وبين المداخل الثـلاثة الأخرى . وهذا هو ما فعله لويس فى دراسـته للأسر الخمس .

**٣ ـ أسلوب الملاحظة ليوم نمطى واحد :**

ان اختيار يوم كوحدة زمنية للدراسة ، هو حيلة شائعة بين الروائيين، ونادرا ما يستخدم من جانب الأنثروبولوجيين .وهو فى الحقيقة يقدم ميزات عدة للعلم مثلما يقدم للأدب . كما يقدم وسيطا ممتازا للجميع بين المظاهر العلمية والانسانية فى الأنثروبولوجيا .ان اليوم يحكم حياة الأسرة وينظمها بشكل عالمى . وهو وحدة زمنية صغيرة وكافية ،تسمح باجراء دراسة مركزة وغير مقطوعة ،عن طريق استخدام منهج الملاحظة المباشرة ، كما أنه يناسب بشـكل مثـالى اجراء المقارنات المنضبطة والمقننة . وهو يجعل بالامكان اجراء تحليلات كمية لأى مظهر من مظاهر حياة الأسرة . فمثلا ، يستطيع المرء أن يدرس كم من الوقت يستغرق فى اعداد الطعام فى الأسر المختلفة ، وكم من الوقت يستغرق فى المحادثة بين الزوج والزوجة ، أو بين الوالدين والأطفال ،وكم من الوقت يستغرق فى الضحك ، والى أى مدى يوجد حديث المائدة ، ونوع هذا الحديث ، .. الخ . كمـا يستطيع المرء أن يدرس من خلاله أيضا المزيد من المظاهر الكيفية لعلاقات التفاعل الداخلى فى الأسرة .

ودراسة الأيام الخمس ، على نحو ما يقدمها لويس هنا ، تتبع العلم الاجتماعى فى التزامها الرئيسى . وأى تشابه بين هذه الصور الوصفية للاسر وبين الرواية الأدبية هو تشابه عارض تماما . وبالطبع فقد تكون هنـاك صعوبة فى تصنيف هذه الصور الوصفية . فهى ليست روايات ادبيـة ، ولا انثروبولوجيا مألوفة تقليدية . ولو شئنا أن نختار لها مصطلحا أحسن ،فانه يمكن أن نطلق عليها « واقعيـة اثنوجرافيـة » Ethnographic realism

وهى تختلف عن «الواقعية الأدبية» Literary realism . فهـذه الأيام ليست تأليفا من الخيال ، وانما هى أيام حقيقية . والأفراد فيهـا ليسـوا أنماطا مبنية ، وانما هم أناس حقيقيون . وهذه الصور الوصفية للحيـاة المكسيكية المعاصرة هى وثائق تاريخية ، قد تكون مفيدة للمقارنات الثقافية فى الوقت الحاضر وفى المستقبل . كم من التناقضات كان يمكن تجنبها ، وكم من السـاعات الثمينة كان يمكن ادخارها فى البحث لو كان المؤرخون قد احتفظوا بسجلات تصف أياما عادية فى حياة أسر فى مصر القديمة ، وروما القديمة ، أو أوروبا الاقطاعية .

واختيـار يوم محدد للملاحظـة والتسجيل كان تعسفيا . فقـد جاء عشوائيا ، فيما عدا أن يكون هذا اليوم العشوائى مصادفا ليوم غير عادى يشهد أحداثا غير عادية ، كالميلاد أو التعميد ، أو الأفراح ، أو الجنازات . ولقد تم تسجيل المحـادثات التى دارت خلال أربعة أيام من الخمسـة عن طريق الاختزال بواسطة مساعد مدرب على ذلك . وفى حالتين كان المساعد قريبا للأسرة ، وفى الحالة الثالثة كان صديقا حميما لها منذ عدة سـنوات . ولقد كانت العلاقة بين لويس وبين الأسر طيبة بما فيه الكفاية فى كل الحالات حتى أن الروتين العادى للحياة الأسرية لم يتأثر بوجوده الا أقل القليل .

وعلى الرغم من عدم امكانية اتخاذ الاجراءات المعملية المقننة المنضبطة كما هو متبع فى دراسة الجماعات الصغيرة ، بما فى ذلك استخدام الوسائل القياسية ، فان دراسات الحـالة هذه تعطى نظـرة أشبه بصـورة الكاميرا للحـركات ، والمحادثات ، والتفاعل الذى يحـدث فى كل أسرة خلال يوم واحد . ويتحقق ذلك من خلال الاستغراق فى التفاصيل أثناء كتابة التقرير ، الى جانب التحفظ فى المناورة بالبيانات . وهكذا يمكن الكشف عن جوهر الحياة فى هذه الأسر .

ان المرء لا يمكنه ببساطة أن يدق أى باب لكى يجرى هذا النوع من دراسة الأسرة . فهو يتطلب درجة غير عادية من العـلاقات الودية ، والثقة المتبادلة بين الباحث وبين الأسرة . وعـلى الرغم من كون لويس باحثـا أجنبيا و «أمريكيا شماليا» ، فانه لم يقابل بعداوة ، ولم يواجه الا القليـل

من التحفظ من جانب هذه الأسرة ٠لقد قضى مئات الساعات معهم فى منازلهم ، يأكل معهم ، ويشاركهم احتفالاتهم ورقصاتهم ، ويستمع الى مآسيهم ، ويناقش معهم تواريخ حياتهم ٠ ولقد كانوا كرماء بوقتهم ، ومستجيبين طبيعيين مستسلمين لاختبارات رورشاخ ،والاختبارات الادراكية ،واختبارات اختلاف الدلالة اللفظية ، والمقابلات المركزة ٠ ولقد يسر من امكانية قيامه بدراسة هذه الأسر ، معرفته الوطيدة بها منذ سنوات عدة ، وتردده المستمر عليها خلال زياراته المتكررة للمكسيك ٠

**٤ ـ لمحة عامة عن المجتمع المكسيكى الحديث :**

تحدث لويس عن المجتمع المكسيكى لكى يعطى خلفية عامة عن المجتمع الأكبر الذى تنتمى اليه الأسر الخمس التى درسها ، وعلى الرغم من أن كل أسرة من تلك الأسر هى فى حد ذاتها عالم صغير فريد ، فان كلا منها ، باسلوبها الخاص ، تعكس بعضا من ثقافة المكسيك المتغيرة ٠ ومن ثم يجب أن تقرأ على نحو مغاير لخلفية التاريخ المكسيكى الحديث ٠

وينقسم التاريخ المكسيكى الحديث الى فترتين ، تتمثل الأولى فى الفترة من عام ١٩١٠ وحتى عام ١٩٤٠ ، وتتمثل الثانية فيما بعد عام ١٩٤٠ ٠ وقد شهد المجتمع المكسيكى تغيرات واضحة فى الفترة الثانية ،منها:

( أ ) ازدادت الهجرة الريفية ـ الحضرية ٠ وأصبحت الهجرة الى مدينة المكسيك تشكل ظاهرة ٠ ففى عام ١٩٤٠ كان عدد سكان هذه المدينة مليونا واحدا ونصف ، وارتفع فى عام ١٩٥٧ الى أربعة ملايين ٠

(ب) كان للثقافة الأمريكية الصناعية الحديثة (ثقافة الولايات المتحدة) ، تاثير كبير على تغير المجتمع والثقافة فى المكسيك ، وخاصة من خلال برامج التليفزيون والاعلانات الخاصة بالمواد الاستهلاكية ، والآلات ، ومنتجات التجميل وأدوات الماكياج ، وانتشار محلات «السوبر ماركت» التى تعتمد على الخدمة الذاتية ، ٠٠ الخ ٠ فقد أدى هذا الى انتشار نمط الأكل الأمريكى الشمالى ، مثل عادة أكل الديوك الرومية فى مناسبة الكريسماس وانتشارها بين أبناء الطبقة الوسطى ، التى اتسعت ونمت فى ظل التغير الحديث فى المجتمع المكسيكى ، ونمو التصنيع ، والتعليم ٠

(جـ) وعلى الرغم من زيادة الانتاج ، فان هناك أعراضا تشير الى جوانب سلبية . فرغم زيادة الثروة القومية والدخل القومى للمكسيك زيادة كبيرة ، لا توجد عدالة فى توزيع هذه الثروة . كما ازدادت الفوارق فى الدخول بين الفقراء والأغنياء حدة عن ذى قبل .

(د) ومن مظاهر الخلل أيضا ، أن زيادة الانتاج الزراعى فى الاثنى عشرة سنة الماضية (فيما قبل عام ١٩٥٩) قد تركزت فى منطقتين ريفيتين فقط ، فى الشمال والشمال الغربى ، حيث تطورت الزراعة التجارية الجديدة ، التى تنهض على المزارع الخاصة الكبيرة ، والرى والميكنة . أما الغالبية من المقاطعات الريفية فانها لاتزال تعمل فى حيازاتها الصغيرة ، وتنتج انتاجا معيشيا تقليديا يعتمد على الأساليب التقليدية المتخلفة. وهكذا أصبح التناقض بين الزراعة التقليدية والزراعة الحديثة أكثر حدة .

(هـ) ومن المعروف أن الاقتصاد المكسيكى لا يستطيع أن يوفر عملا لكل الشعب ، وأن هناك بطالة . ويؤدى هذا الوضع الى هجرة أعداد كبيرة الى الولايات المتحدة . فقد هاجر حوالى مليون ونصف مليون مكسيكى الى الولايات المتحدة للعمل كعمال زراعيين خلال الفترة من ١٩٤٢ وحتى عام ١٩٥٥ . هذا فيما عدا النازحين اليها كمهاجرين غير شرعيين . وعندما أغلقت الولايات المتحدة حدودها فى وجه النازحين، بدأت الأزمة فى الظهور بالمكسيك .

(و) ومع الزيادة السريعة فى السكان وفى الحضر . ازداد التزاحم فى المدن الكبرى وكثرت الأحياء المتخلفة وازداد الأمر سوءا . وبلغت الأزمة بمدينة المكسيك ذروتها فيما يتعلق بالاسكان . فعلى الرغم من مشروعات تجميل المدينة من أجل أن تكون جميلة فى أعين السائحين الأمريكيين القادمين من الولايات المتحدة ، فان هناك حوالى مليون من المكسيكيين يعيشون فى أحياء سكنية متخلفة تعرف بالـ Vecindades . وهى مناطق تعانى نقصا مزمنا فى المياه ، وفى الخدمات والمرافق ، وتسهيلات المعيشة .

## الأســـر الخمس

نقدم فيما يلى لمحة مختصرة عن كل من الأسر الخمس التى درسها

لويس • وهى لمحة تمثل يوما فى حياة كل أسرة ، مع الاشـارة الى بعض السمات المميزة للمجتمع المحلى الذى تعيش فيه•وذلك على النحو التالى :

**اليوم الأول ـ أسر ة مارتينيز Martinez :**

تعيش هذه الأسرة فى قرية مكسيكية باحد المرتفعـات ، أطلق عليهـا لويس قرية «أزتكا» Azteca وهى تقع على مسـافة ستين ميـلا جنوبى مدينـة المكسيك • وهى قرية تضم فلاحين ، وصناع حرفيين ، وأصحاب دكاكين • ويبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة • ويتحدث معظم سكانها اللغة الأسبانية واللغـة القديمة • وتمثـل ثقافة القرية مزيجـا من السـمات الثقافية التى تنتمى الى مرحلة ما قبل الفتح الأسبانى ، وفترة الاستعمار الأسبانى ، والثقـافة الحديثة • وتمضىالقرية فى تيـار الحيـاة الوطنية • فقد كانت فى قلب انتفاضة زاباتيستا Zapatista خلال الثورة•

وتضم هذه القرية مدرسة جديدة ، وطريق وخط اوتوبيس،وطواحين للغلال ، وأرض كوميونات ، وأراض خاصة ، وساحة على النمط المكسيكى بها كنيسة كاثوليكية ومبان حكومية،وأيضا بعض الارسالياتالبروتستانتية•

وعلى الرغم من هذه التغييرات الكثيرة ، فان الاقتصـاد الزراعى فى القرية لم يتغير الا قليلا جدا • كما ان زيادة السكان تشـكل ضغطـا على المصادر المحدودة من الأرض،مما يخلق مشكلة حادة • وقرية أزتكا كغيرها من ألاف القرى الكثيفة السكان التى تقع فى منطقة المرتفعـات الوسطى ، لم تسـهم فى التطور الحديث للزراعة التجـارية الآليـة فى الشمال ، أو فى المشروعات الضخمة التى تقوم على الوسائل الهيدروليكية والكهربائيـة فى أجزاء أخرى من الريف •

وأسرة مارتينيز ، مثلها كمثـل ٨٥٪ من القـرويين فى قرية أزتكا ، يعيشون على مستوى الكفاف • ويعكس «بيـدرو مارتينيز» رئيس الأسرة بعض القوى التى كانت تعمل فى الريف المكسيكى منذ الثورة المكسيكية ، فى الفترة من ١٩١٠ الى عام ١٩٢٠ ، ولقد انتقل من مجرد كونه أحد الأقنان الأميين ليصبح أحد القادة السياسيين فى قريته ، ومن مجرد متحدث باللغة الوطنية الهندية القديمة ، الى قارىء وكاتب باللغة الأسبانية • ومن شخص

اقليمى منعزل ، الى شخص معروف ومتفاعل مع الأحداث السياسية للدولة والمجتمع القومى . ومن المذهب الكاثوليكى الشعبى بما فيه من منهج لمعتقدات مرحلة ما قبل الفتح الأسبانى ، الى المذهب السبتى الأدفنتستى . ثم ارتد ثانية الى المذهب الكاثوليكى .

ولقد تزوج بيدرو وزوجته اسبيرانزا Esperanza فى الكنيسة فى عام ١٩١٠ ، وهو العام الذى تفجرت فيه الثورة المكسيكية . وظل زواجهما مستقرا ومتمشيا مع الخط التقليدى النمطى للقرية ، حيث تكون للذكر السيادة والسلطة . كما كانت زوجته مثالا للمرأة الخاضعة . والأبناء أيضا ، كانوا ينجزون أعمالهم الشاقة باحترام وطاعة ، على الرغم من أنهم عندما كبروا ، أخذوا يتغيروا كنوع من الاستجابة للمؤثرات الخارجية .

تتكون الأسرة من تسعة أشخاص هم :

١ ـ بيدرو مارتينيز ، ٥٩ عاما ، الأب

٢ ـ اسبيرانزا جارسيا ، حوالى ٥٤ عاما ، الأم

٣ ـ كونشيتا مارتينيز ، ٢٩ عاما ، الابنة الكبرى ، متزوجة وتعيش مع زوجها جوان .

٤ ـ فيليب مارتينيز ، ٢٣ عاما ، أكبر الأبناء

٥ ـ مارتن مارتينيز ، ٢٢ عاما ، الابن الثانى

٦ ـ ريكاردو مارتينيز ، ١٨ عاما ، الابن الثالث

٧ ـ ماشرينا مارتينيز ، ١٧ عاما ، الابنة الصغرى

٨ ـ موسى مارتينيز ، ١٣ عاما ، أصغر الأبناء

٩ ـ هيرمان مارتينيز ، ٧ سنوات ، الابن غير الشرعى لكونشيتا .

فى منتصف القرية ، يقع منزل أسرة بيدرو . وهو مكون من غرفة واحدة بلا نوافذ ، وملحق به مطبخ بدائى . وقد اشترى بيدرو هذا المنزل منذ ٤٣ عاما بخمسين بيزو وعلى امتداد الأعوام ، ظل بيدرو يقيم فى هذا المنزل الصغير ،ويزرع الأرض المهملة المجاورة له ببعض النباتات كالجوافة ، والأفوكادو ، والبن ، وغيرها ، للاعتماد عليها كغذاء للأسرة . ومنذ خمس

سنوات فقط قام هو وأبناؤه ببناء مطبخ جديد فى موقع يسمح بتسرب الدخان دون مضايقة من بالمنزل • وعلى الرغم من البساطة الشديدة التى يتميز بها منزل أسرة مارتينيز،فانه أحسن مكان عاش فيه مارتينيز وزوجتهاسبيرانزا•

فى الصباح الباكر من أحد أيام شهر يوليو،والظلام لايزال مسدلا على القرية ، نهضت اسبيرانزا من فراشها الخشن ، الذى تنام فيه مع زوجها • فتحت عينيها،ولفت رأسها وكتفيها بحرام قديم لتدرأ به عن نفسها قشعريرة برد الصباح • السكون مطبق ، ولا تسمع أصوات فى الشارع • مشت حافيـة القدمين عبر أرضية المنزل القذرة ، وتوجهت نحو وعاء المياه المصنوع من الفخار • غسلت وجهها بقليل من الماء البارد ، وجففته بطرف حرامها •

كشفت اسبيرانزا سطح الموقد ، ووجدت بقايا نار مشتعلة منذ الليلة الماضية ، فوضعت بعض قطع من الفحم عليها حتى توقد النار • ولم تشا أن تستعمل عودا من الثقـاب فى اشعالها ، حيث أن ثمن العـلبة منه يبلغ خمسة سنتات • وهذا يعتبر ترفا ولونا من ألوان الرفاهيـة والاسراف • عندئذ كانت الساعة الرابعة ، وهو موعد مبكر بنصف ساعة عما كانت تظن• وهكذا يمكن لابنتها ماشرينا أن تنـام فترة قصيرة أطول • ولقـد كان هذا الوقت هو الموعد السنوى الذى يقوم فيه الرجال بزراعة القمح ، وفيه تقوم النساء مبكرات لكى تجهزن لهم الطعام •

ينام جميع أفراد أسرة مارتينيز فى مكان واحد • ولكن الأب بيدرو يشعر بالحاجة الى الخصوصية ، فينقل فراشه الى المطبخ • وعندما دقت الساعة الخامسة ، أيقظت الأم ابنتها ، فقفزت الأخيرة من فراشها بسرعة وهى تغالب النعاس ، وارتدت رداء بسيطا من القطن ، وجلست مكان أمها لتكمل طحن القمح بالرحى•ملأت الأم اناء اعداد الشاى بالماء ووضعته على النار • وكانت ماشرينا ، ذات الشعر البنى ، المفروق من منتصف الرأس ، والمضفر فى ضفيرتين ، متجهمة وعلى وجههـا علامات الصرامة والجدة • ولكنها خلال ساعات النهار ، وعندما تكون بين أصدقائها واخوتها تنقشع سحابة العبوس من على وجههـا ، وكثـيرا ما تكشف عن ثغـر ينبىء عن طفـولة : فجسمها يبدو أصغر من سنها • أما الأم اسبيرانزا فهى قصـيرة

القوام ، مستديرة،ذات وجه صارم عبوس،ونادرا ما تبدو عليه الابتسامة.

وجاء الدور على الابن مارتن ، فاوقظته أمه ، اذ جاء دوره في جلب المياه للمنزل • فأستيقظ ، وارتدى صديريا من القطن ، وغسل وجهه بالماء البارد • وفي صمت حمل صفيحتين وخرج بهما من المنزل متجها الى الحنفية لملئهما بالماء والعودة بهما • ويكرر هذه العملية ثماني مرات حتى يمتلىء وعاء الماء بالمنزل •

وقبل أن ينتهي مارتن من مهمته ، استيقظ فيليب ، أكبر الأبناء وهو أكثر أفراد الأسرة تأنقا • فهو يستغرق وقتا طويلا في ارتداء ملابسه ، وقبل أن ينام يخلع ملابس الخروج ويعلقها على مسمار • وهو يحرص على تنظيف أسنانه بالفرشاة دون معجون • ويضع في جيبه مرآة صغيرة خاصة به لا يستعملها غيره•وقد ظهرت عليه هذه السمات منذ تعرفه على حبيبته، وهي أرملة تكبره في العمر بعدة اعوام • وفيليب أعور • فقد سقط ذات مرة وهو طفل من فوق احدى شجرات الخوخ ، فاصيبت عينه اليسرى بالعمى •

ويحاول الابن الأكبر فيليب أن يسيطر على اخوته وأخواته دائما ، ولكنه يفشل ، وخاصة مع مارتن الذي يتميز عنه بالقوة وطول القامة ، كما أنهما في عمر متقارب • وكثيرا ما يرفض مارتن طاعته أوالاستجابة لأوامره كأخ أكبر • ومن ثم فان فيليب يلوم والده دائما على أنه لا يسمح له باستخدام سلطاته •

تكون طعام الافطار من الشاى وفطائر الأذرة الصغيرة • وبعد تناولهم للطعام ، اصبح الرجال جاهزين لمغادرة المنزل في الخامسة والنصف ، خرجوا من المنزل في طريقهم الى الحقل ، والأبناء في الأمام ، وخلفهم بخطوتين يسير الأب بيدرو وكلبه • وخلال رحلة المسير ، التى تستغرق ساعتين حتى الوصول الى الحقل ، يلقي الأب على مسامع ابنائه عددا من النصائح والتوجيهات المتعلقة بالعمل • والأرض التى يقصدونها هي من أراضي الكوميونات التى يستطيع أى أحد أن يعمل بها ، حيث أنها مملوكة ملكية جماعية لسكان القرى الثماني الموجودة بالمنطقة • ولكي يستطيع بيدرو وأولاده أن يزرعوا قطعة من الأرض ، فان عليهم أن يبذلوا جهدا

شاقا فى تنظيفها من الحشائش البرية التى تنمو عليها بكثرة نتيجة لمواسم الامطار الغزيرة • وكثيرا ما يلجأ هو وأولاده الى تنظيف الارض على هذا النحو كل عامين أو ثلاثة أعوم ، حيث يقومون بحرق الحشائش وتطهير الارض منها • وعلى الرغم من الجهد المضنى الذى يبذلونه فى اعداد الارض وتهيئتها للزراعة ، فان الناتج منها من محصول الذرة والقمح لا يكاد يكفى احتياجات الأسرة سوى لأربعة شهور أو خمسة • ولكى تحصل الاسرة على احتياجاتها من الدخل الذى يكفيها طوال العام ، فانها تطرق سبلا أخرى متعددة لتوليد الدخل • فالابناء وخاصة فيليب وريكاردو ، **يزاولون العمل المأجور** • والاب يزاول بيع الفاكهة على نطاق محدود جدا ، أى كنوع من التجارة الصغيرة • كما يقوم بعمل الفحم النباتى من الاعواد الجافة بالغابة للاستهلاك المنزلى •

**الأسرة غارقة فى الديون** • وأقرب مرة اضطر الاب بيدرو للاقتراض فيها كانت عندما ذهب الى المستشفى لاجراء جراحة ،واقترض من الارملة ايزابيل ٣٠٠ بيزو حتى يتمكن من شراء الدواء • وهناك أمل لدى الاسرة فى أن يتعلم الابن الاصغر ، موسى ، وان يصبح مدرسا أو محاميا • فذلك سوف يكون بحق كسبا للاسرة • ولا ينسى الاب بيدرو ، كيف أن والده قد حرمه من مواصلة تعليمه ، وأخرجه بعد سنة واحدة من التحاقه بالمدرسة ، لكى يدفع به الى سوق العمل المأجور ، حتى يضيف دخلا يوميا يساهم فى اعاشة الأسرة ، **وكثيرا ما تضطر اسبيرانزا الى الاستدانة** لشراء لوازم المنزل واحتياجاته اليومية • وتقوم بسداد ديونها عن طريق بيع الديوك الرومية التى تربيها لهذا الغرض • وفى بعض الاحيان تضطر الى بيع احدها قبل أن ينضج بما فيه الكفاية ، عندما تكون مضطرة للوفاء بدين عليها لاحدى الدائنات •

والآن ، بدأت ماشرينا فى تنظيف المنزل ، فقامت بكنس الارضية القذرة ، ورتبت الفراش الذى ينام عليه اخوتها ، ولا يوجد بالمنزل أثاث يذكر • وحوائط الغرفة مكسوة بأوراق من صحف قديمة هنا وهناك،وبعضا من الصور واللوحات الدينية ، ونتائج للتقويم • كما أنها تبرز منها مسامير لتعليق الملابس •

ذهبت ماشرينا الى المطبخ وقامت بتنظيف الأطباق القليلة التى استعملت فى تناول طعام الافطار . وذلك بينما حاولت الأم اسبيرانزا أن تنال قسطا يسيرا من الراحة ، بعد أن أحست بالتعب والارهاق . فقد أخذت أعراض الشيخوخة تبدو عليها ، خاصة وأنها قد تعرضت للمرض فترة طويلة فى العام الماضى .

وفى الحادية عشرة ، نهضت الأم ، وغادرت المنزل متجهة الى ساحة القرية لشراء لوازم للمنزل . وكعادة النساء القرويات ، كانت مطأطئة الرأس ، لا ترفع بصرها للنظر الى الأمام بين حين وآخر الا لتكتشف معالم الطريق . وكانت حافية القدمين ، تسير تحت مياه المطر ، وتجتاز أكواما من الطين تارة ، وتجمعات من المياه تارة أخرى،وكانت مسرعة الخطى، كما كان الشارع خال الا من بعض الخنازير والدجاج . وبعد أن حصلت على اللوازم من الساحة ، اسرعت الخطى عائدة الى المنزل .

وتعلم اسبيرانزا أن زوجها حاد المزاج ، وأنه يعاملها هى واولادها بغلظة فى كثير من الأحيان . ولا تنسى أنه فى كثير من الأحيان يلقى على مسامعها كلمات نابية . فعندما تعرف الى امراة أرملة وأحضرها للاقامة معهم بالمنزل لمدة أسبوعين ، كانت اسبيرانزا تتأذى كثيرا من تعنيفه اياها ووصفها بالغباء ، كما كان يندب حظه العاثر الذى جعله يتزوج بها ، ويتمنى لو انه قد تزوج بامراة تستطيع أن تولد دخلا ، .. الخ . وكانت اسبيرانزا تصبر وتتحمل فى خضوع وانكسار حتى يجتاز الأزمة . أما الآن ، فان الأمور هادئة ولا يوجد ما يكدر الصفو فى حياة الأسرة .

وعلى هذا المنوال ، وعلى امتداد عشر الصفحات ، يستطرد أوسكار لويس فى سرد أدق تفاصيل حياة أسرة مارتينيز ، موضحا تاريخ حياتها ، وعلاقات أفرادها ببعضهم البعض ، وعلاقات الأسرة بالمجتمع المحلى وجماعات الجيرة . كما يتحدث عن تدين الأسرة ، واهتماماتها السياسية . هذا فضلا عن وصفه المفصل لتقسيم العمل بين أفرادها تبعا للنوع والسن ، والأوضاع الاقتصادية للأسرة . وكيف أن السيادة دائما للذكور ، بينما تتميز المرأة بالتبعية والخضوع ، وتحمل ألوان العنت والمشقة . وقد أبرز الوصف

المفصل لحياة هذه الأسرة ، كيف أن المرأة تبذل جهدا مضاعفا • وكيف أن الفقر يصبغ حياة الأسرة الفقيرة بصبغة خاصة ، ويرسم معالم حياتها وآمالها وتطلعاتها •

اليوم الثانى ـ أسرة جوميز Gomez :

تقطن أسرة جوميز أحد الأحيـاء المتخلفة بمدينة المكسيك • ويقـع منزلها فى مربع سكنى أشبه بأحيـاء الجيتو ، يطلق عليـه «كازا جراند» Casa Grande • وهو تجمع سكنى يضم سكانا فقراء ، كثير منهم نازحون من المناطق الريفية ، وأغلبهم يمارسـون التجارة الصغيرة • وبعض الحرف ، كالحلاقة ، والنجارة ، والعمل بالورش والمحلات كعمال • وهذه المنطقـة السكنية نموذج يوضح طبيعة الحياة فى قاع المدينة •

هذا الجيتو محاط بسور من الاسمنت ، وبه بوابتان تفتحان نهـارا وتغلقان طوال الليل • تقع احداهما فى جهة الشرق ، أما الأخرى فانها تقع فى جهة الغرب • ومن يذهب الى هذه المستعمرة خلال النهار يرى زحاما شـديدا من البشر والحيوانات ، حيث يعـج المكان بالنـاس ، والكلاب ، والخنـازير ، والدجاج ، والديكة الرومية • ويلوذ الأطفال بهـذا المكان للعب ، حيث أنه أكثر أمنا من الشوارع •

فى هذه المستعمرة يوجد مبنى سكنى يضم ١٥٧ شقة ذات غرفة واحدة• وسكانه قادمون من مختلف ولايات المكسيك • ومنهم من مضى على سكناه به عشرين عاما • وأغلبهم من الأقارب الذين تربطهم ببعضهم البعض صلات الدم أو النسب،وبالاضافة الى علاقات القرابة والنسب ، فان هناك احساسا قويا بالمجتمع المحلى يجمع أبنـاء المنطقة • فهم يشـعرون بالانتماء الى الجيتو ، وتربطهم به علاقات قوية مستمدة من اشتراكهم فى حياة مشتركة• فالعلاقات شبه أولية ، والشباب يشكلون جماعات أصـدقاء ، بل وبعض العصابات ، يرقصون معا ، ويتزوجون زواجا داخليا •

تتكون أسرة جوميز من ستة أفراد هم :

١ ـ أوجسطين جوميز ٤٢ عاما ، الأب

٢ ـ روزا هيرنانديز ٣٩ عاما ، زوجة أوجسطين

٣ ـ البرتو جوميز ٢٠ عاما ، اكبر الابناء
٤ ـ هيكتور جوميز ١٩ عاما ، الابن الثانى
٥ ـ ايستر جوميز ١٤ عاما ، الابنة الوحيدة
٦ ـ جونيتو جوميز ٦ سنوات ، الابن الأصغر

وفى الشقة رقم ٦٠ من المجمع السكنى ، تقيم اسرة جوميز . فالشقة مكونة من غرفة واحدة تنام فيها الأسرة جميعها . ومن يذهب لزيارتهم فى الصباح فانه يواجه بخليط يزكم الأنوف من روائح الأقدام غير المغسولة ، والزيوت المحترقة الناتجة عن آثار قلى الطعام ، وأنفاس هذا الحشد من البشر الذى يضيق به المكان .

فى الرابعة صباحا ، يدق جرس «المنبه» محدثا ضوضاء مزعجة . فيستيقظ الجميع بطبيعة الحال . غير أن الأب أوجسطين قد حان موعد «وردية» العمل بالنسبة له . فهو يعمل سائقا بأحد خطوط الأتوبيس ، منذ قدم هو وزوجته روزا الى المدينة منذ ١٧ عاما . ورغم أن جرس المنبه قد أوقظ الجميع ، فان أحدا لم ينهض من تحت الغطاء الا هو . ويحاول أن يجعل زوجته تنهض هى الأخرى لكى تعد له فنجانا من القهوة ليتناوله قبل خروجه ، ولكنها لا تغادر الفراش وتظل تزمجر بأصوات غاضبة ، فيقوم بنزع الغطاء ليجبرها على النهوض ، ولكنها لا تفعل وتصر على الاستمرار فى النوم بعد أن تعيد الغطاء عليها . وعندئذ يتمتم بعبارات تعبر عن حنقه وغضبه ، وحنينه الى حياة القرية ، حيث النساء يقدرن أزواجهن حق قدرهم ، ولا تجرؤ احداهن على معاملة زوجها بهذه الطريقة . يغادر أوجسطين المنزل وهو فى حالة تعب وضعف بسبب النوم غير المريح ، والجوع ، وتوتر الأعصاب . ويخرج متجها الى عمله ، ويظل هكذا فى حالة سيئة فترة من الوقت ، الى أن ينسى همومه بين زملائه من السائقين ، ووسط الزحام الذى يخترقه بسيارته فى شوارع المدينة .

ويعانى أوجسطين من اعتلال عام فى صحته . وذلك منذ أن أصيب بحروق شديدة فى حادث أوتوبيس منذ خمس سنوات . وقد جاء شفاؤه ببطء ، ولكنه لم يعد الى حالته السابقة ، والى ما كان عليه من قوة . وكثيرا ما يشعر

بالأسى لضعف حالته الصحية . غير أن أكثر ما يؤلمه نفسيا ، ويجعله يتمنى الموت ، هو ما ألم به من عجز جنسى على أثر تدهور حالته الصحية نتيجة الحادث . وفضلا عن ذلك ، فانه يكره عمله ، ويتمنى أن يجد عملا آخر غيره . فنظام المرور بالمدينة أدبح لا يتسامح مع المخطئين ، والسيارة التى يقودها أصبحت متهالكة وتحتاج الى كثير من قطع الغيار ، وتتوقف عن العمل أياما عديدة فى كل شهر ، مما يؤثر تاثيرا سلبيا على مورد دخله .

أما عن روزا ، فانها امرأة ذات ملامح قوية ، سمراء البشرة ، ذات شعر بنى غامق ، وتتسم بشىء من البدانة ، وتبدو أكبر من سنها الحقيقى. وهى قصيرة الرقبة ، وتوجد حلقه من السواد تحت كل من عينيها . ومن المشكلات الكبرى التى تواجهها ، انخفاض دخل أسرتها وقلة ما بيدها من نقود لتصريف شئون حياتها . وكثيرا ما تضطر للخروج الى العمل المأجور لكى تسد كثيرا من النقص فى هذا المجال . وقد تحملت عناء العمل عدة سنوات خلال الفترة التى كان فيها زوجها مريضا على أثر الحادث الذى تعرض له . ومن الأعمال التى تزاولها ، الخدمة فى المنازل . وقد وعدها ابناها الكبيران ألبرتو ، وهيكتور بأن يدفع كل منهما اليها مبلغا اضافيا من المال أسبوعيا ، كمساهمة منهما فى النفقات . فهما يمارسان أعمالا يتقاضون عنها أجورا يومية . ويستثنى من هذه المساهمة الابنة اينستر ، لأنها طالبة بالمدرسة ، والابن الأصغر جونيتو ، حيث لايزال صغيرا .

ولكى يوضح الاطار الاجتماعى الثقافى الذى تعيش فيه أسرة جوميز، فان لويس يقدم وصفا تفصيليا لسكان المجتمع السكنى الذى يقع به مسكن الأسرة . فيتحدث عن خصائصهم التعليمية ، ورموز المكانة التى يستخدمونها ، كاستخدام السكاكين والشوك فى تناول الطعام ، واقتناء بعض الأجهزة المنزلية ، كمواقد الغاز وأجهزة التليفزيون ، هذا بالاضافة الى ساعات المعصم .

ان أسرة جوميز أسرة قروية الأصل ، تنتمى الى قرية أزتكا ، وقد نزحت الى المدينة أملا فى تحسين مستواها المعيشى . وهاهى الآن تعيش فى قاع المدينة عيشة الفقراء المحرومين . ولقد مرت هذه الأسرة بالكثير من المواقف الصعبة ، وتعرضت لعوامل الانهيار التى تصاحب عملية التحضر .

وتمكنت من البقـاء والاستمرار على الرغم من الصراعات الداخليـة التى تميزها . فالأطفال يعملون ويساهمون فى دخل الأسرة . ولاتزال الروابط التى تربطها بالقرية قوية ومستمرة . كما أنها لاتزال تحتفظ بقيم القـرية وعاداتها ومعتقداتها رغم قضاء سبعة عشر عاما بالمدينة .

ولقد شهدت هذه الأسرة تغيرات حادة خلال الفترة الانتقالية ، فقـد استطاعت الأم روزا أن تنتزع زمام القيادة من يد الأب أوجسطين،وأصبحت هى الشخصية القوية المسيطرة . كمـا ازداد نصيب الأبنـاء من الحرية ، وازداد مستوى الطموح ارتفاعا ، وازداد وقت الفراغ ، وأصبحت هنـاك فرصة أكبر للتنوع والاختلاف ، كمـا أصبحت هناك فرصة أيضـا لتحديث الكثير من الممارسات .

★●★

**اليوم الثالث ـ أسرة جوتيريز Gutierrez :**

أسرة «جولليرمو جوتيريز» ، هى أفقر أسرة درسـها لويس . فهى تعيش فى أفقر حى بمدينة المكسيك .كما أنها من أكثر الأسر انخفاضا فى الدخل .

تقيم هذه الأسرة فى حجرة واحدة لا توجد بها نوافذ ، ولا يكاد يوجد بها موضع لقدم من شدة ما بها من زحام . والجميع ينامون معـا فى هذه الغرفة ، وهم :

١ ـ جولليرمو جوتيريز ٣٤ عاما الأب

٢ ـ جوليا روجاس ٤٦ عاما زوجة جولليرمو (زواج عرفى)

٣ ـ لولا ١٤ عاما

٤ ـ ماريا ١١ عاما

٥ ـ هيرمينو ٩ سنوات

(أبناء جولليرمو من زوجته أزميرالدا (زواج عرفى))

تعـانى هذه الأسرة من تدهور حالتها الصحية ، وظروف معيشتها الصعبة ، فالتغذية سيئة ، والبيئة السكنية رطبـة لا تصلها الشمس ، ولا تتوافر فيها المواصفات الصحية للمسكن الآدمى .

يعمل جولليرمو جوتيريز فى اصـلاح الدراجات ، حيث يجلس أمام

مسكنه ومعه أدوات العمل البسيطة ، وهى لا تزيد على «مفك» و «مفتاح» و «كماشة» .كما تعمل زوجته جوليا فى بيع الحلوى الرخيصة للأطفال أمام المنزل أيضا ، وهى نوع من الحلوى التى تصنعها بنفسها فى المنزل . وفى اسهاب شديد ، يعرض لويس لدقائق حياة هذه الأسرة ، وتفاعلها مع الجيران،وكيفية نضالها من أجل الحصول على الرزق.كما يبرز فى مواضع عديدة من حديثه عنها ، افتقاد هذا النمط من الأسر للخصوصية ، والتحرر فى السلوك واقامة العلاقات ، ..الخ . كما يتضح من وصفه الدقيق لظروف معيشتها ، مدى ما تشكله ثقافة المجتمع المحلى من ضغوط على أفرادها . فالأب جولليرمو لديه طموح ، ويحاول أن يتغلب على ظروف معيشته الصعبة ، ويطرق فى سبيل ذلك كافة السبل الممكنة . ومن الخطط التى وضعها لهذا الغرض مثلا ، أنه فكر فى مشروع مربح فى تصوره ، وهو أن يستدين مبلغا من المال ، ويشترى جهازا من أجهزة التليفزيون التى تعمل بالبطارية ، على أن يدفع مقدم ثمنه ثم يسدد الباقى بالتقسيط ، أى مبلغا فى كل شهر.ومن يريد من الجيران ان يشاهد البرامج فان عليه أن يدفع فى نظير ذلك أجرا محددا .ومن حصيلة هذا الأجر ــ كما يتصور ــ يمكنه أن يسدد قيمة القسط الشهرى،وأن يتبقى له مبلغا من المال يضاف الى دخل الأسرة. وقد اشترى الجهاز بالفعل . ولكن السخرية التى قوبل بها كانت مريرة . وكان تفسيره لذلك أنه نوع من الحسد والغيرة من جانب جيرانه . ومن قبيل حب الاستطلاع ، توافد الجيران ، بادىء الأمر لمشاهدة الجهاز العجيب ، ومشاهدة البرامج بحيث يدفع كل منهم «١٢ بيزو» فى كل مرة مشاهدة . غير أن المشروع قد أخفق فيما بعد ، حيث لم يعد هناك اقبال على المشاهدة نظرا لأنها مكلفة بالنسبة للأفراد الفقراء . وكان هذا الفشل ايذانا ببدء سلسلة من المشكلات التى تعرضت لها أسرة جوتيريز .

كما يلاحظ من حديث لويس عن ظروف معيشة هذه الأسرة أيضا ، شيوع نمط الأسرة التى تقوم على الزواج العرفى ، وكذا اشتراك بعض الذكور والاناث فى المعيشة معا دون زواج ، هذا فضلا عن انتشار ظاهرة الانفصال ، والهجر . فهذه السمات جميعا هى مما تتميز به ثقافة المجتمع المحلى المتخلف الفقير ، الذى تعيش فيه أسرة جوتيريز .

★●★

اليوم الرابع ـ أسرة سانخيز Sánchez :

أسرة عيسى سانخيز هى أسرة مركبة تجمع بين سمات الطبقة العاملة الفقيرة،والشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى.والأب عيسى هو عامل بأحد المطاعم منذ أن قطع علاقاته بقريته وهو فى السادسة عشرة ، بعد أن انفصل والده عن بيتأسرته،وتركه مشردا بلا مورد للرزق هو وأمه وأخوهالأصغر.

ذهب عيسى الى مدينة المكسيك ، وظل يلتحق ببعض الأعمال الشاقة، التى كان أصحابها يستنزفون قواه فى العمل المضنى طوال اليوم لقــاء أجر زهيد . ثم استقر به المقام أخيرا فى أحد المطاعم ، حيث عمل به مســاعدا للطباخ ، ثم صانعا للآيس كزيم .

لقد تزوج عيسى سانخيز باربع زوجات زواجا عرفيا . وقد أدى ذلك الى تعدد مسئولياته وزيادة أعبائه.وتتكون أسرة سانخيز على النحوالتالى:

١ ـ عيسى سانخيز ٤٨ عاما الأب ورئيس وحدة المعيشة .
٢ ـ لوبيتا ليناريس ٥٠ عاما أكبر زوجات عيسى (زواج عرفى)
٣ ـ ايزابيل ٣٥ عاما ابنة لوبيتا من زوجها الأول «جيان»
٤ ـ جابرييل زوج ايزابيل
٥ ـ كلوتايلد ٨أعوام
٦ ـ بانشــو ٦ سنوات
٧ ـ ماريا ٤ سنوات
٨ ـ أوليفيا ١٨ شهرا
(٥ ـ ٨: أطفال ايزابيل وجابرييل)
٩ ـ ايليدا ٣٣ عاما ابنة لوبيتا من جيان
١٠ ـ ادواردو زوج ايليدا
١١ ـ أنطونيا ٢٧ عاما ابنة عيسى من لوبيتا
٢ ـ فرانسيسكو زوج أنطونيا (زواج عرفى)
١٣ ـ كارميلا ٥ سنوات
١٤ ـ جوليو ١١ شهرا
(١٣ ـ ١٤: طفلا أنطونيا وفرانسيسكو)
١٥ ـ مالينا ١٨ عاما ابنة لوبيتا من عيسى
١٦ ـ الفير أخت لوبيتا

١٧ ــ دانييل ٩ سنوات ابن الفيرا
١٨ ــ ليئور الزوجة الأولى لعيسى (زواج عرفى) ــ توفيت
١٩ ــ مانويل ٣٠ عاما الابن الأكبر لعيسى من لينور
٢٠ ــ روبرتو ٢٨ عاما الابن الثانى لعيسى من لينور
٢١ ــ كونسيلو ٢٣ عاما الابنة الكبرى لعيسى من لينور
٢٢ ــ مارتا ٢١ عاما الابنة الصغرى لعيسى من لينور
٢٣ ــ دليلا ٢٦ عاما الزوجة الصغرى لعيسى (زواج عرفى)
٢٤ ــ الينا زوجة عيسى (زواج عرفى) ــ توفيت
٢٥ ــ أفيلينو خادم عيسى

يعول عيسى سانخيز ثلاثة بيوت تقع فى ثلاثة أماكن متباعدة بالمدينة. وبعد انتهائه من العمل ، يظل متجولا بالأتوبيس للتردد على هذه البيوت الثلاثة فى زيارات يومية . أما عن قصة عيسى وزوجاته الاربع ، فانها تتلخص فيما يلى :

١ ــ بعد قدومه بعام واحد الى مدينة المكسيك والتحاقه بمطعم جلوريا ، تزوج بزوجته الأولى . أنجب منها طفلان هما «مانويل» و (روبيرتو) . ولكنه تشكك فى سلوكها ، وظن أنها على علاقة برجال آخرين ، فانفصل عنها وتركها فترة من الوقت ، وتشكك فى نسب الطفلين اليه .

٢ ــ وخلال هذه الفترة تزوج بزوجته «لوبتيا» فانجب منها «أنطونيا» .

٣ ــ عاد مرة أخرى الى زوجته الأولى لينور وانجب منها طفلين آخرين هما «كونسيلو» و «مارتا» .

٤ ــ وبعد خمس سنوات على وفاة لينور ، تزوج عيسى بزوجة ثالثة هى «الينا» . فلم تنجب له أطفالا ، ولكنها كانت أما طيبة لأطفاله .

٥ ــ وعندما توفيت «الينا» أيضا ، قرر أن يربى أولاده بمساعدة زوجة رابعة ، فتزوج بزوجته الصغيرة المحببة «دليلا» زواجا عرفيا .

ومنذ قدومه الى المدينة ، يجتهد عيسى بكل ما أوتى من قوة ، فى أن ينمى دخله ويزيد موارده المالية ، فكان يقوم بتربية الدواجن والخنازير

وبيعها • ونظرا لأن مسكنه كان يتالف من غرفة واحدة فى كازاجراند ، فانه كان يربى حيواناته فى أى مكان من الأماكن الفضاء الخربة بالمدينة • وكان ذلك يكلفه الكثير من الجهد والمشقة،حيث كان يذهب فى الخامسة من مساء كل يوم بشكل منتظم ، لكى يطعمها وينظفهـا • حتى تحقق له الفـوز فى سحب اليانصيب ، فكسب ٢٥٠٠ بيزو • وعنـدئذ استطاع أن يبنى بيتـا جديدا به مكان متسع لتربية الحيوانات •

ويقع المنزل الجديد لأسرة عيسى سانخيز فى مستعمرة منشأة حديثا لم يمض على انشائها أكثر من خمس سنوات • وقد أنشئت فى حى الدورادو ، على الحدود الشمالية الغربية لمدينة المكسيك ، على أرض بركة مالحـة تم تجفيفها واستغلالها كمشروع سكنى • ومعظم منازل هذه المستعمرة مملوكة ملكية خاصة ، فيما عدا القليل منها • ولا توجد بالمنطقة مياه أو كهرباء أو شبكة للمجارى • ولا يوجد بها سوى كنيسة صغيرة لم يكتمل بناؤها بعد ، وعددا صغيرا من محال البقالة والخضروات والفاكهة • ويربطها بالمدينـة طريق غير ممهد • كما يخدمها خط أوتوبيس تسـير عليه بعض المركبـات القديمة المتهالكة • وتستغرق الرحلة بينها وبين المدينة ساعة •

وتقيم زوجته دليلا فى بيت مستقل بالمدينة ، كما تقيم ابنته «مارتا» مع زوجها فى مسكنه القديم ذو الحجرة الواحدة بكازاجراند •فقد رأى عيسى أن يترك لابنته هذا المسكن الذى بدأ به حياته فى المدينة ، وقضى به فترة من عمره،حيث أن زوجها لا يستطيع تدبير مسكن خاص مستقل • وهكذا يتردد عيسى على بيت «دليلا»،وبيت «مارتا»،وبيت الأسرة الكبير فى المستعمرة•

وأسرة عيسى سانخيز هى نموذج للأسرة المعقدة البنـاء • فهى تضـم أبناء وبنات لعيسى من زوجات مختلفات•وكل من الزوجات لها أطفال من زوج سابق • وقد ركز لويس على هذه النقطة فى وصفه للأسرة ، حيث أوضح ديناميات التفاعل بين أعضائها،والصراعات التى تنشب بين أنصاف الاخوة، والأخوات (أى غير الأشـقاء) ، وتلك التى تنشب بين الأبناء والبنات من جهـة ، وزوجات الأب من جهـة أخرى • هذا فضـلا عن شبكة العـلاقات الاجتماعية الداخلية المعقدة التى تشمل : العلاقات بين الاخوة والأخوات

الأشقاء بعضهم وبعض ، والعلاقات بين الاخوة والأخوات غير الأشقاء ، والعلاقات بين الأب وأبنائه ، وبين الأبناء وأمهاتهم ، وزوجات والدهم ، وبين الأب وزوجاته ، ... الخ .

وبرغم هذه التعقيدات،فان عيسى سانخيز رجل يتميز بميزات تجعله مختلفا عن أغلب الرجال فى الطبقة الدنيا المكسيكية ، نظرا لقوة احساسه بالمسئولية نحو زوجاته المختلفات وأطفالهن ، ونحو أبنائه . ومن ثم فان أسرة سانخيز هى من أكثر أسر الطبقة الدنيا استقرارا .

*●*

اليوم الخامس ـ أسرة كاسترو Castro :

أسرة ديفيد كاسترو هى واحدة من الأسر الغنية بمدينة المكسيك . ويطلق عليها أنها من «الأغنياء الجدد» التى حققت ثروة كبيرة بعد قيام الثورة . تتكون الأسرة من أحد عشر فردا هم :

١ ـ ديفيد كاسترو ٤٧ عاما ، الأب
٢ ـ ايزابيل ٣٤ عاما ، زوجة ديفيد (زواجا عرفيا)
٣ ـ رولاندو كاسترو ١٤ عاما ، الابن الأكبر
٤ ـ مانويل كاسترو ١٠ سنوات الابن الثانى
٥ ـ جوان كاسترو ٩ سنوات الابن الثالث
٦ ـ لورديس كاسترو ٦ سنوات الابنة الوحيدة
٧ ـ جوانا الطاهية
٨ ـ كونسبشن ابنة الطاهية
٩ ـ جوزفينا المسئولة عن غرف النوم
١٠ ـ أوفيميا المسئولة عن غسل وكى الملابس
١١ ـ الينا راميريز اخت ايزابيل

ديفيد كاسترو ، مليونير عصامى ، نشأ فى حى متخلف ، ولم يفقد كل سمات الطبقة الدنيا . ويتضح ذلك من علاقاته بزوجته ومديرة بيته ، ومع اللائى يعيش معهن فى حل من الزواج ، كما يتضح من استخدامه للعنف مع

زوجته وأطفاله • فهو يهجرهم بصورة دورية • ويحدد لزوجته نفقات البيت ويعطيها المصروف يوما بيوم • ويعاقبها بحرمانها من النقود •

وتنتمى الزوجة ايزابيل الى أسرة من الطبقةالوسطى ذاتالتطلعات• وقد تزوجت ديفيد طمعا فى ثروته ، وبقيت معه حتى الآن للسبب ذاته • وهى قليلة الحيلة ، مستسلمة اذ لا تدرى كيف يمكنها وحدها مساعدة أطفالها الأربعة • ونظرا لحاجتها الى حياة الترف ، فانها تفتقد القدرة على الاستقلال والاعتماد على النفس ، التى تتمتع بها نساء الطبقة الدنيا • فالمرأة الفقيرة تكون دائما جاهزة ومستعدة لاعالة نفسها وأطفالها عندما يتخلى عنها الزوج ويتركها دون انفاق لفترة طويلة ، أو عندما تكون فى حالة هجر •

وتتميز هذه الأسرة الغنية بالفشل فى تربية الابناء • فالأبناء فاسدون، مدللون ، تابعون ، وغير قادرين على تحمل المسئولية • والملاحظ أن هذه الأسرة شديدة الاعجاب بنمط الحياة فى الولايات المتحدة ، وتحاكى هذا النمط باستمرار•ويبدو هذا فى ظهورها بمظهر الطبقة الوسطى الأمريكية، ورفضها لبعض التراث المكسيكى والتقاليد المكسيكية ، كما يتضح فى الافراط فى اقتناء الأجهزة والآلات ، وغياب الاهتمامات الثقافية الحقيقية،وظهور أعراض التخمة الغذائية ، والأعراض العصبية الأخرى •

ولقد جمع ديفيد ثروته من التجارة ، فقد بدأ بتجارة الأسمنت • ويمتلك ثلاثة مخازن للتجارة فيه • كما أنه يمتلك عقارات وأملاكا أخرى • وتقيم أسرة كاسترو فى فيللا أنيقة ، تقع فى أرقى أحياء مدينة المكسيك ، وهو حى الطبقة الأرستقراطية والصفوة الغنية •



## ثالثا ـ مناقشة وتعقيب

اذا نظرنا الى الأسر الخمس نظرة مقارنة ، فسوف نقف على عدد من الملاحظات ، ويتبين لنا وجود بعض السمات المشتركة بينها فى ضوء الفروق الريفية ـ الحضرية • كما أن هذه السمات يمكن أن تعكس القيم

الثقافية على مستوى الطبقة ، وأيضا على المستوى القـومى ، ويمكن ان نوضح ذلك فيما يلى :

١ – أن **الزواج العرفى** يمثل ظاهرة فى المجتمـع المكسيكى الحضرى ، وخاصة فى الطبقة الدنيا • ففى ثلاث من الأسر الخمس التى درسها أوسكار لويس ، كان نمط الزواج فيها عرفيا • ومن اللافت للنظر ان احدى الأسر الغنية (وهى أسرة كاسترو) كانت احداها • وقد أشرنا فى موضع سابق الى أن رئيس هذه الأسرة الغنى لايزال يحتفظ بالكثير من سمات الطبقة الدنيا رغم ما أصابه من غنى • ومن اللافت للنظر ايضـا أن الأسرتين اللتين كان الزواج فيهما رسميا وشرعيا عن طريق الكنيسة والعـرس الكنسى ، فهمـا الأسرتان القرويتان اللتان تنتميان الى القرية •

وعلى الرغم من أن **الزواج العرفى** يشـكل حوالى ٢٠٪ من اجمـالى الزيجات على مستوى المجتمع المكسيكى (طبقا لتعداد عام ١٩٥٠) ، فان الأطفال فى مثل هذا الزواج يعتبرون غير شرعيين فى نظر الكنيسـة والقانون المدنى•ومع ذلك يكون هذا النمط من الزواج مقبولا من الناحية الاجتماعية فى كثير من المجتمعات المحلية فى الريف والحضر • أما بمعايير الطبقة الدنيا ومفاهيمها،فان الأطفال لا يكونون غير شرعيين الا اذا أنكر آباءهم بنوتهم وتخلوا عن اعالتهم وكفالتهم •

٢ – أن التأكيدات الثقافية المكسيكية على **سيادة الذكر**،وعبادة النزعة الماشيستية • أو قوة الذكورة،تنعكس فى ثلاث من الأسر الخمس التى درسها لويس ، حيث نجـد أن الزوج فى كل من هذه الأسر هوالشخصية المتسلطة والمسيطرة • كما أن جميع الأزواج ، فيما عدا السيد جوتيريز ، لهم علاقات زواجيـة اضافية ، ولهم أبناء غير شرعيين • كمـا أن ثلاثة منهم يعولون عشيقات • وفى ثلاث من الأسر المدروسة ، نجد أن الزوجة لها أطفـال من رجال آخرين ، وأنهن تزوجن زواجا عرفيا بعد أن هجرهن أزواجهن•كما يلاحظ أن اثنتين من البنات فى الأسر المدروسة هما من الأمهات المهجورات•

٣ – **أن الأم هى الملاذ دائما بالنسبة للأطفـال** فى حالة الانفصـال أو الهجر • وعندما تتعرض الأم لمثل هذه الظروف ، فانهـا تحتضن أطفالها

وتضطر للتكيف مع الموقف ، فتعمل لتعول نفسها وأطفالها • وغنى عن البيان أن كافةالشواهد تؤكد مدى تعلق الأبناء والبنات بالأمهات،وتوجههم نحوهن • كما أن علاقات الأطفال بأمهاتهم أقوى من علاقاتهم بآبائهم • وترتبط هذه النقطة بما يعرف بظاهرة «الأب الغائب» حيث يشب كثير من الأطفال وهم لا يعرفون آباءهم بسبب الانفصال والهجر •

٤ ــ أن الزوجة فى اثنتين من الأسر الخمس ، تحظى بقدر من القوة والتأثير والنفوذ • وهما أسرة جوميز ، وأسرة جوتيريز • وتتسم الزوجة فى هاتين الأسرتين بالقوة رغم ما تبديه من خضوع ظاهرى لزوجها•وقد يكون من بين العوامل التى حققت لكل منهما تلك الدرجة من القوة،أن الزوج فى احدى الأسرتين مصاب بالضعف الجنسى ، وهذا يضعف من موقفه كرجل• أما فى الأسرة الثانية ، فان الزوجة تعمل بصنع الحلوى وبيعها ، أى أنها تشارك زوجها فى اعالة الأسرة • ومن ثم فانها تستمد من هذه المشاركة الاقتصادية درجة من القوة •

٥ ــ أن قراءة التفاصيل المتعلقة بالأسر الخمس ، تدل على أن الفرص التعليمية المتاحة للأبناء أفضل منها بالنسبة للآباء والأمهات • وقد يرجع هذا الى ادراك لأهمية التعليم كسبيل للحراك الاجتماعى الصاعد،والتخلص من ظروف الفقر والحرمان •

٦ ــ أن قراءة التفاصيل التى أوردها أوسكار لويس فى هذه الدراسة المتعمقة للأسر الخمس ، تدل على تميزه المنهجى الواضح ، واتجاهه بالأنثروبولوجيا وجهة جديدة تخرجها من اطارها التقليدى • غير أن هناك ما يحملنا على القول بأن اهتمامه بجماهير الفقراء والفلاحين فى البلدان النامية ، لم يكن من أجل صالحهم هم كما يدعى ، وانما من أجل صالح البلدان الغنية ومصالحها • والدليل على ذلك قوله فى الصفحة الأولى من كتابه ، الذى يحمل بين دفتيه تفاصيل دراسته :

«لقد أكد هذا الكتاب فى نفسى أن الأنثروبولوجيين يؤدون وظيفة جديدة فى العالم الحديث : وهى أن يخدموا كطلاب ، وكتاب تقارير ، الجماهير الضخمة من الفلاحين وسكان المناطق الحضرية فى الدول المتخلفة،

التى تشكل ثمانين فى المائة من سكان العالم · ان ما يحدث للناس فى هذه البلدان يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على حياتنا · اننا نعلم القليل عنهم»(٣) ·

ومع افتراض حسن النية،أى أننا عندما نحسن الظن باوسكار لويس، فاننا يجب أن نتلقف طرف الخيط من بين كلماته هذه ، ونعمل نحن ابناء البلدان النامية ، المشتغلون فى ميادين العمل الانثروبولوجى ، على خدمة الجماهير الضخمة من الفلاحين وسكان المناطق الحضرية فى بلداننا · فتلك رسالتنا العلمية وواجبنا الوطنى ، ونحن بها أولى وأجدر ·

٧ ـ ويذهب لويس فى تحليله الأخير لملامح ثقافة الفقر ، الى أن هذه الثقافة تمثل قاسما مشتركا بين الفقراء فى كل مكان ، وأنها تنتقل من جيل الى جيل · أى أنها تورث ، ومن ثم فانها ستبقى موجودة ومستمرة · وتنطوى هذه النظرة فى رأينا على تكريس للفقر ، وتثبيط لهمم الفقراء وعزائمهم ، وبث لروح اليأس فى نفوسهم ، واخماد لأى جذوة للأمل ، أو محاولة للخلاص تلوح أمامهم فى الأفق · ان واقع الفقراء مفروض عليهم · وهو تجسيد للخلل والظلم الاجتماعى · والفقراء يحيون ثقافة الفقر رغما عنهم · انهم يعيشون واقعا اليما من صنع المجتمع الذى يعتبر مسئولا بحق عن مشكلة الفقر وتبعاتها ، مما يثقل كاهل الفقراء(٤) ·

## الحواشى والمراجـــع

(١) انظر : نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع • طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمود عوده وزملاؤه ، دار المعـارف ، القاهرة ، ط (٥) ، ١٩٧٨ ، ص ص ٨٢ ـ ٨٤ •

(٢) Oscar Lewis, **Five Families. Mexican case Studies in the Culture of Poverty**, Basic Books, N. Y., 1959.

(٣) Ibid., p. 1.

(٤) انظر مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :
محمد الجوهرى ، **دراسات فى الأنثروبولوجيا الحضرية**، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩١ •

# الفصل الثالث

## وحـدة المعيشة كحالة للدراســة المتعمقة فى اطار خصـوصية المجتمع المحلى

### ١ ـ نماذج من احدى قرى الدلتا

## مقـــــــدمة :

فى عام ١٩٨٣ ، شارك كاتب هذه السطور فى بحث ميـدانى متعمق حول عوامل وديناميات صياغة القرارات واتخاذ المواقف الخاصـة بتنظيم الأسرة فى بعض القرى المصرية(*)٠وتم اجراء هذا البحث فى قريتين احداهما بالدلتا ، والأخرى بالصعيد ، تحت اشراف الأستاذة الدكتورة علياء شكرى٠ وسوف نقدم فى هذا الفصل ، والفصلين التاليين،نماذج تمثل انماطا مختلفة لوحدات المعيشـة بهاتين القريتين ٠ كما نتنـاول هذه النمـاذج بالدراسـة التحليلية المقارنة فى ضوء عدد من المتغيرات ٠

وجدير بالذكر ، أن أسماء الأشخاص الواردة فى هذه النماذج هى أسـماء مستعارة ٠ واذا حدث تشابه بين بعضها وبين أشـخاص أو حالات مشابهة،فان ذلك يرجع الى الصدفة ٠ كما أننا قد رمزنا الى القرية الأولى بالرمز ( أ ) ، والى القرية الثانية بالرمز ( ب ) ٠

والقـرية الأولى ٠ التى تشمل النمـاذج التى سنتناولها هنـا ، هى واحدة من قرى الدلتا ، يبلغ تعدادها خمسة آلاف نسمة ٠ وتضم عددا من المؤسسات الحكوميـة العـاملة فى مجال الزراعة ، والتعليـم ، والصحة ، والشباب ، والدين ٠ ويتميز النشاط الاقتصادى فى هذه القرية بعـدد من مظاهر التحديث ٠ فقد أخذ النشاط الزراعى يتجه نحو المحاصيل النقدية غير التقليدية ، كمـا شهدت القرية توسعا فى المشروعات الاستثمارية التى عرفتها بعض القرى فى عصر الانفتاح ٠ ويمكن القول بان هذه القرية تمثل نموذجا للقرية الحديثة ، فهى منفتحة على العالم الخارجى ، حيث تقع على طريق مرصوف،يربطها بالمدينة،التى تقع على بعد بضعة كيلومترات، ولا تستغرق الرحلة بينها وبين المدينة سوى ربع الساعة ٠ والقـرية مزودة

---

(*) سبق تقديم تقرير مختصر حول هذا الموضوع الى جهاز السكان وتنظيم الأسرة بعنوان : «الدراسة الأنثروبولوجية المتعمقة لقـريتين من قرى مشروع السكان والتنمية» ، اشراف الأستاذة الدكتورة علياء شكرى ٠

بالكهرباء ، والمياه النقية ، ويشيع فيها استخدام الاجهزة المنزلية الحديثة وخاصة وسائل الاتصال ، كاجهزة التليفزيون • كما تصلها الصحف يوميا بانتظام •

**الحالات المختارة للدراسة المتعمقة بالقرية ( أ ) :**

وقع الاختيار على تسع أسر فى قرية ( أ ) ، لكى تجرى عليها دراسة متعمقة حول ديناميات تنظيم الأسرة ، وتمثل هذه الأسر التسع عددا من الانماط المختلفة وفقا لعدد من المحكات ، منها :

١ ـ الوضع الطبقى
٢ ـ التعليم
٣ ـ عمالة المرأة وعمالة الاطفال
٤ ـ الموقف من تنظيم الأسرة
٥ ـ حجم الأسرة (عدد الأطفال)
٦ ـ نمط الأسرة (ممتدة/نووية)
٧ ـ قوة المرأة (الزوجة) وقدرتها على اتخاذ القرارات،أو المشاركة فى اتخاذها •

ويمكن الوقوف على طبيعة الأسر المختارة طبقا لهذه المحكات بالنظر فى الجدول رقم (١) • غير أن النظرة المدققة فى هذا الجدول لا يمكن أن تسعف القارىء الا بفكرة عامة موجزة لا تلبث أن تثير لديه الرغبة فى معرفة المزيد من التفصيلات الحية المتعلقة بعناصر الموضوع ومتغيراته • ولهذا فان معالجتنا لهذا الفصل سوف تتضمن **تعريفا بكل أسرة من هذه الأسر** باعتبارها «حالة» تتجسد فيها بوضوح سمة مميزة ، أو علاقة دالة بين متغيرين أو أكثر ، مما يدخل فى تكوين الصورة المركبة • ثم بعد هذا التعريف بالحالات أو الأسر المدروسة ، نقدم عددا من التحليلات المستمدة من النظرة المقارنة لهذه الأسر ، بحيث أن مقارنتها بعضها ببعض قد تعزز من بعض العلاقات ، وقد تؤكد بعضها الآخر ، أو قد تثير الانتباه الى ضرورة العمل على متابعة البحث من أجل الوقوف على حقيقة معينة ، وهكذا • وجدير بالذكر أن التحليل على هذا النحو لابد وأن يراعى الطابع العام للقرية ، والسمات المميزة لها ، والتحولات التى أخذت تشهدها فى السنوات الأخيرة • وكذا علاقتها بالمناطق المجاورة ، وخاصة المدينة القريبة •

جدول (٣) ـ خصائص الأسر المختارة للدراسة المتعمقة فى قرية ( أ )

| رقم | الاسم | السن الحالي | سن الزواج | التعليم | المهنة/النشاط | الوضع الطبقى |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | زاهية السيد | ٣٠ | ١٦ | اعدادية | ربة بيت | مرتفع جدا |
| | أحمد عوض | ٣٥ | ٢١ | بكالوريوس زراعة | مفتش | |
| ٢ | حمدية على | ٢٧ | ١٦ | أمية | ربة بيت | مرتفع |
| | فتحى السيد | ٣١ | ٢١ | راسب اعدادية | عامل | |
| ٣ | هانم محمد | ٢٨ | ٢٢ | دبلوم صنايع | مدرسة | متوسط |
| | ابراهيم عبد العزيز | ٣٠ | ٢٥ | دبلوم صنايع | مدرس | |
| ٤ | خديجة عبد الله | ٣٤ | ١٥ ٢٥ | أمية | ربة بيت ـ تعمل بالحقل | متوسط |
| | كامل طه | ٣٠ | ٢٠ | يقرأ ويكتب | عامل | |
| ٥ | فكيهة مخيمر | ٣٠ | ١٨ | أمية | ربة بيت/ شغل أبرة | متوسط |
| | طلعت محمود | ٣٥ | ٢٠ | أمى | عامل بمدرسة | |
| ٦ | محاسن عبد المنعم | ٣٥ | ١٣ | أمية | ربة بيت | منخفض |
| | عبد الغفار عطية | ٤٠ | ١٨ | أمى | عربجى كارو | |
| ٧ | كاميليا رجب | ٤٢ | ١٥ | أمية | ربة بيت | منخفض |
| | كرم محمد | ٤٤ | ١٨ | أمى | عامل يومية | |
| ٨ | رقية مخلوق | ٣٧ | ١٥ | أمية | بياعة خضروات | منخفض جدا |
| | عبد السلام شديد | ٥٠ | ٣٠ | أمى | عامل زراعى | |
| ٩ | جميلة فهمى | ٣٦ | ١٤ ٢٢ | أمية | خادمة بالمنازل | منخفض جدا |
| | طاهر معروف | ٤٦ | ٣٢ | أمى | عامل زراعى | |

تابع جدول (٣)

| رقم | الموقف من تنظيم الأسرة | نمط الأسرة | نمط الاقامة | عدد الأطفال وعمالة الأطفال (ان وجت) (ذ) | (أ) | قوة الزوجة ومشاركتها فى القرار |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | لديها ٦ بنات وتريد ولدا | ممتدة | مستقل (شقة من فيلا) | — | ٦ | معدومة |
| ٢ | تم تركيب لولب لسوء صحتها | ممتدة | مشتركة نهارا مستقلة ليلا | ٣ | ١ | معدومة مضطهدة |
| ٣ | تم تركيب لولب رغم ارادة الزوج | ممتدة | مشتركة | ٢ | ٢ | قوية |
| ٤ | لا تمارس • تريد ولدا | ممتدة | مشتركة | للزوجة<br>للزوج | ٣<br>٢ | وتشارك |
| ٥ | تنوى تركيب لولب والزوج يوافق | ممتدة | مستقلة داخل بيت | ٢ | ١ | لديها قوة وتشارك |
| ٦ | اجرت عملية ربط مبايض | نووية | منفصلة | ٤ | ٢ | قوية وتشارك |
| ٧ | توقف الحمل طبيعيا لسوء صحتها وسنها | نووية + والدة الزوج | منفصلة | ٢ | ٢ | تشارك كثيرا |
| | | | | الابنة الكبرى تعمل بأجر يومى فى مزرعة دواجن | | |
| ٨ | الزوجة تمتنع عن معاشرة زوجها | نووية | مستقلة | ٢ | ٤ | قوية جدا |
| | | | | الابنة الكبرى تعمل خادمة لدى عائلة غنية بالقرية | | |
| ٩ | مؤيدة للتنظيم ولكنها لا تمارس • | نووية | مستقل (حجرة واحدة) | ٤ للزوج ١<br>٤ للزوجة ٢<br>الولد يعمل فى أجازة الصيف | | قوية وتشارك |

وسوف نتناول هذه الحالات على النحو التالى .

**١ ـ الحالة الأولى ـ أسرة أحمد عوض :**

انها واحدة من أغنى أسر القرية وارفعها تعليما بالنسبة للذكور ففى فيلا فارهة على شاطىء النيل مباشرة يقيم «الحاج عوض» (٦٣ سنة) مع زوجته ـ ابنــة عمه ـ «الحــاجة عواطف» ٠ وفى نفس الفيلا يقيم الابنان المتزوجان :

١ ـ أحمد عوض ، ٣٥ سنة ، حاصل على مؤهل جامعى ، ويعمــل بوزارة الزراعة٠مع زوجته «زاهية السيد» ابنة القرية المجاورة،والحاصلة على الشهادة الاعدادية ٠ وبناتهما الست : الأولى (١٣ سنة) ، الثانية (١٠ سنوات) ، الثالثة (٧ سنوات)،الرابعة (٥ سنوات)،الخامسة (٣سنوات) والسادسة (سنة واحدة) ٠ وتقيم هذه الأسرة فى أحد طوابق الفيلا ٠

٢ ـ محمد عوض ، ٣٠ سنة ، مؤهل جامعى ، موظف ، وزوجتــه الحاصلة على الثانوية العامة،وابنه (٣ سنوات) وتقيم أسرة محمد فىطابق آخر من الفيلا ٠

وقد أجريت الدراسة المتعمقة على أسرة الابن الأكبر «أحمد» وزوجته «زاهية» كاخبارية رئيسية :

ـ البنات الثلاث الأوليات تلميذات بالمدارس : فالكبرى بالسنة الأولى الاعدادية ٠ والثانية بالسنة الرابعة الابتدائية٠والثالثة بالسنة الأولى بنفس المدرسة ٠ أما الأخوات الثلاث الأخريات فانهن دون سن التعليم ٠

وأما عن الزوجة ـ الاخبارية الرئيسية ـ «زاهية» فانها ربة بيت من نمط النساء«المستخبيات»أى اللاتى لا يسمح لهن بمغادرة المنزل أو الخروج من الباب ٠ اذ لا يوجد هناك داع لخروجها فلديها الخدم الذين يلبون لهــا كافة الطلبات ٠

المستوى الاجتماعى الاقتصادى للأسرة مرتفع جدا كما ذكرنا ٠ فوالد الزوج يمتلك أرض زراعية وعقارات ٠ غاية القول أن المستوى المعيشى لهذه الأسرة مرتفع جدا بالنسبة للمستوى العام للحياة فى القرية٠وتدل على ذلك

مظـاهر الأبهـة والترف على نحو ما يبدو فى فخامة المسكن ، والسيارات الخاصة ، و ... الخ . هذا عدا الدخل من الوظائف الحكومية التى يشغلها الابنان . ولو أن هذا الدخل «الميرى» من الوظائف الحكومية لا يعول عليه كثيرا حيث يعتبر أمرا غير ذى بال بالنسبة للأسرة . وخير ما يوضح ذلك ، ما قالته الأم (أم أحمد) من أن «أيه اللى عايد علينا من شغل الولدين فى الوظائف غير تعبهم وشـقاهم ، هو احنـا محتاجين مهياتهم ؟ ، ياريتهم يبطلوا شغل الوظايف ده ويكونوا معانا يراعوا أحوالنا وأموالنا» .

وعلى الرغم من الاهتمام الزائد فى هذه العائلة بتعليم الأولاد الذكور فان البنات لا يحظين بنفس الدرجة من الاهتمام . فالبنات يجب أن يلازمن المنزل عند الزواج وأن يقمن بواجبات الزوجية والأمومة وتربية الأطفال . ومادام مصيرهن الى الزواج والبقاء فى المنزل فلا أهمية اذن للتعليم . وقد عبرت الاخبارية عن ذلك بوضوح حينما ذكرت أن زوجها والد البنات غير متحمس لتعليمهن وذهابهن الى المدرسـة ، ولولا متابعة الجد ـ أى والد الزوج ـ واهتمامه بارسالهن الى المدارس ، لما ذهبن اليها أصلا . فوالدهن غير مهتم بهذا (الموضوع) ولا يعيره التفاتا . ولئن كان الجد مهتما على هذا النحو ، فان اهتمامه هذا ربما يكون من باب النظر الى التعليم على انه من مقومات الأبهة والوجاهة الاجتماعية .

وأما عن العلاقات الاجتماعية بين الأسرة النووية والأسرة الممتدة فانها علاقات مودة واحترام وتعاون ودفء اجتماعى . وتكتنف هذه العـلاقات أغلب الأطراف من مختلف الأجيـال : فثمـة علاقات طيبـة بين الأبنـاء والوالدين ، وبين الأحفاد والجدين ، وبين الاخوة ببعضهم البعض ، وكذا بين «السلايف» وبعضهن البعض ، وبينهن والحماة والحمو ، .. الخ .

غير أن هناك نوعا من الغيرة بين «السلايف» فيما يتعلق بالانجاب ، فالاخبارية أم البنات الست تنظر بعين الغيرة الى سلفتها متمنية أن ترزق هى الأخرى بمولود ذكر . ومن اللافت للنظر أن الزوج ـ والد البنات ـ لا يفكر مطلقا فى مسالة تنظيم الأسرة ، ويصرف زوجته نهائيا عن التفكير فيها حتى تتحقق أمنيته بانجاب الولد . وغنى عن البيان أن هذا المولود الذكر المأمول

يمثل مطلبا هاما وملحا غاية الالحاح بالنسبة للزوج والزوجة • فهو الذى يحمل اسم والده واسم العائلة ، وهو الذى يبقى على البيت مفتوحا أو كما يقولون «ياخد حس البيت من بعد أبوه» • وفوق كل ذلك ، فان الولد هو الذى يحقق الحفاظ على ثروة أبيه وميراثه من أن ينتقل الى الاعمـام أو غيرهم من الاقارب ممن يحق لهـم شرعا نصيب فى الميراث ما لم يـكن للمتوفى ولد •

ولذا فان الأسرة يخيم عليها جو من الاحسـاس بالقلق والترقب على الرغم من كل مقومات الترف والرفاهية ورغد العيش • وسوف تظل الزوجة ـ أم البنات ـ تاركة نفسها للحمل والانجاب«وان شاء الله يوصل عددالبنات عشرين» ، المهم ان ربنا يجبر بخاطرها هى وجوزها وينولهم الى نفسهم فيه • فكل شىء بارادته هو سبحانه وتعالى ، يعطى لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، ويجعل من يشاء عقيما» • وهكذا كان تعليق الجد (والد الزوج) •

واذا كانت تلك هى النظرة للذكر ، فان النظرة للانثى تختلف عنها اختلافا كبيرا •فالمرأة فى هذه العائلة ينظر اليها كنوع من الممتلكات الخاصة ، أو كسلعة تشترى بالمال • فهى مسلوبة القوة ، لا يجوز لها أن تبدى رأيا فى أى موضوع حتى ولو كان مما يدخل عادة فى دائرة اهتمام النساءفى بيوتهن • وتضرب اخباريتنا مثـلا على ذلك : فقد كانوا فى الشـهر الماضى يجددون ديكورات شقتهم،فاقترحت على الزوج أن يطلب الى «المنقاش» طلاء غرفة النوم بلون معين ، فما كان من الزوج الا أن «اتعفرت ، وتضايق،واتنرفز، وشخط بسرعة وقال لى [أى لزوجته] : «انت أيه اللى يدخلك فى الحاجات دى ؟ هى الستات لهـا رأى فى الدهان ولا خلافه ؟!» • فالرجال فى هذه العائلة لا يتركون لنسائهم فرصة للمشاركة فى اتخاذ القرار ، ولا يطلبـون اليهن الرأى أو المشورة فى أمر من الأمور •

ويبـدو ذلك بوضوح أيضا اذا نظـرنا الى التاريخ التناسلى للزوجة «زاهية» •ففى خلال أربعة عشر عاما منذ بدء الحياةالزوجية حملت وأنجبت ست بنات ، بفاصل زمنى بين كل ولادة والتى تليها عامين فى المتوسط هى

فترة الرضاعة الطبيعية. وليس بخاف على أحد كيف أن صحة الأم وكفاءتها البدنية بوجه عام تتأثر تأثرا كبيرا من جراء تكرار الحمل والولادة . وحتى لو كانت هناك رغبة لدى الزوجة فى مصارحة زوجها بذلك ، فانها لا تجرؤ على الاقدام على هذه الخطوة، لأنها تعلم سلفا ألا طائل وراء هذه المحاولة. فما عليها الا أن تمتثل لأوامر الزوج دون مناقشة حتى ولو كان على حساب صحتها وحيويتها . وسوف يظل الأمر يمضى هـكذا ، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

*●*

٢ ـ الحالة الثانيه ـ أسرة السيد عبد الموجود :

هى أيضا أسرة (نووية) تعيش فى كنف الأسرة الممتدة . وهى مما يمكن تسميته «بالأسرة النووية المستقلة المعتمدة» ، أى المستقلة ليلا عندما يأوي الزوج وزوجته وأولاده الى منزل خاص يقع على مسافة كبيرة نسبيا من بيت العائلة، ثم عندما يطلع النهار يعودون مرة أخرى الى بيت العائلة حيث الطبخ والخبيز وتناول الطعام ، والحياة المشتركة بين أجيال العائلة المختلفة . ويمكن أن يعرف هذا النمط الجديد من الأسر «بالأسرة الممتدة المعدلة»: انها عائلة «السيد عبد الموجود» رب الأسرة الكبير رئيس العائلة. وكان يقيم مع زوجته وأبنائه وبناته فى منزل كبير (بالطوب الأخضر) يقع فى وسط القرية ؛ ولكن هذا البيت ضاق بهم عندما كبر حجم الأسرة وكبر الأولاد وأخذوا يستعدوا للزواج . عندئذ فكر الأب «السيد» فى بناء منزل جديد ، وأكمل فعلا بناء هذا المنزل منذ نحو عشر سنوات. والمنزل الجديد على شكل فيلا كبيرة فى مدخلها بوابة كبيرة ، وتضم هذه البوابة أيضا حديقة مزروعة بأشجار الفاكهة والورود على مساحة ثلاثة قراريط ، الى جانب مزرعة للدواجن تبعد عن المنزل بحوالى عشرة أمتار، ويوجد بجوار المزرعة مخزن لعلف الدواجن . والمنزل الجديد مكون من طابق واحد عبارة عن قسمين : أولهما على الواجهة ويتميز بالطابع الحضرى ويضم صالونا لاستقبال الضيوف . وثانيهما فى الخلف ويتسم بالطابع الريفى حيث يضم فرنا للخبيز ، وحظيرة كبيرة للمواشى ، .. الخ . والمنزل يضاء بالكهرباء، وبه طلمبة للمياه .

ويقيم فى هذا المنزل الجديد بصفة دائمة : رب الأسرة الكبير «السيد» (٥١ عاما ، فلاح من مواليد نفس القرية) ، وزوجته «بهية» (٤٩ عاما ، ربة بيت وتعمل بتجارة الطيور ، أمية كزوجها من مواليد نفس القرية أيضا ، وهى خماة قوية مسيطرة) ، وولدان لم يتزوجا بعد هما «ابراهيم» (١٨ عاما ، تحت الطلب للتجنيد ، فلاح ، متسرب من التعليم) ، و «صلاح» (١٥ عاما ، طالب بالسنة الثالثة الاعدادية) . بالاضافة الى الجدة الكبرى ـ والدة رب الأسرة الكبير وهى سيدة تبلغ من العمر ٧٥ عاما .

وأما عن باقى أعضاء الأسرة الممتدة من الأبناء والبنات المتزوجين والمتزوجات ، فهم :

١ ـ فتحى السيد : ٣٢ عاما ، راسب اعدادية ، عامل متزوج وله اربعة أطفال . وهو زوج الاخبارية الرئيسية «حمدية على» (٢٧ عاما ، أمية ، ربة بيت) .

٢ ـ صلاح السيد : ٢٨ عاما ، مسرح من الخدمة العسكرية ، فلاح ، يقرأ ويكتب ، متزوج وله ثلاثة أطفال .

٣ ـ فاطمة السيد : ٢٥ عاما ، متزوجة ولها ثلاثة أطفال ، أمية ، ربة بيت تقيم فى منزل زوجها بالقرية .

٤ ـ جليلة : ٢٠ عاما ، حاصلة على دبلوم التجارة الثانوية، متزوجة ولها طفلة ، ربة بيت ، مقيمة مع زوجها بمنزله فى القرية .

فالابنان المتزوجان «فتحى» و «صلاح» يقيمان مع زوجتيهما وأطفالهما بالبيت القديم حيث تقتصر هذه الاقامة على المبيت وقضاء الليل ، ثم يعودوا فى الصباح الى المنزل الجديد كما ذكرنا .

انها أسرة غنية أيضا ، تتميز بارتفاع المستوى الاقتصادى الاجتماعى، ويتحقق هذا الدخل من مصادر عديدة منها : أراض زراعية ، ومزرعة للدواجن ، ومرتب الابن فتحى من عمله الحكومى ، والربح الذى تحققه الأم من تجارة الطيور (ويبلغ فى المتوسط مائة جنيه شهريا ويمكن أن يزيد عن ذلك) .

لقد وقع اختيارنا على أسرة الابن «فتحى» لكى نتناولها بالدراسة المتعمقة • فدراسة هذه الأسرة النووية فى اطار ارتباطها الوثيق بالأسرة الممتدة يجعل بالامكان الوقوف على عدد من أشكال وصور العلاقات والتفاعلات التى يكون لها اتصا لبموضوع الخصوبة وتنظيم الأسرة على نحو أو آخر • من ذلك مثلا ، دور الوالدين فى تحديد نمط الزواج بالنسبة للابن ، وأثر ذلك على التوافق الزواجى فيما بعد ، وعلاقة زوجة الابن بوالدى زوجها ، ودور الوالدين فى حياة الأسرة النووية الذى يكشف عن مدى تحرر الاسرة النووية واستقلاليتها ومدى تبعيتها للاسرة الممتدة واعتمادها عليها • وديناميات اتخاذ القرارات فى الأسرة النووية تحت هذه الظروف وخاصة فيما يتعلق بتنظيم الأسرة •

«فتحى» هو الابن «البكرى» فى الأسرة الممتدة•وقوبل ميلاده بفرحة غامرة ، فقد جاء «على شوق وعطش» بعد طول انتظار اذ أن والدته تأخر حملها فيه قرابة خمس سنوات بعد الزواج • كانت سنوات ثقال مليئة بالتوتر ، وكان انهيار العلاقة الزوجية فى نهايتها قاب قوسين أو أدنى ، فما أقسى على الزوجين من أن تكون النظرة اليهما من جانب الأهل والاقارب والجيران نظرة اشفاق وتشكك فى خصوبتهما وقدرتهما على الانجاب • ولعل فرحة هذا المولود كانت مضاعفة ، فمرة لأنه «ولد» ، ومرة أخرى لأنه بمولده طوى سنوات من الاحساس بالذل والمرارة والتوتر عاشتها أسرة الوالدين عموما وهذان الوالدان بوجه خاص•نشأ «فتحى» نشأة «مدللة»، كانت سببا فى اخفاقه فى مواصلة التعليم • فقد حاول الحصول على الشهادة الاعدادية دون جدوى بعد تكرار رسوبه فى السنة الثالثة • وأخيرا انتهى به الأمر الى الخروج من المدرسة•يشغل الآن عملا حكوميا«عامل»كما ذكرنا• وفى نفس الوقت يباشر أعمال والده مع شقيقه «صلاح» • اذ أنهما يشرفان على الأرض الزراعية ومزرعة الدواجن ويقومان على شئونهما •

تزوج منذ اثنى عشر عاما بفتاة من القرية خطبها له والداه ، هى اخباريتنا «حمدية» • وفى خلال هذه السنوات أنجبا أربعة أطفال هم : «على» (١١ عاما ، تلميذ بالصف الخامس بمدرسة القرية الابتدائية) ، و «ثناء» (٩ سنوات ، تلميذة بالصف الثالث بنفس المدرسة) ، «سعد»

(٥ سنوات) ، و «السيد» (٣ سنوات) . ومن الملاحظ أن الفاصل الزمنى بين الاخوة هو عامين أى فترة الرضاعة الطبيعية ، فيما عدا الفاصل بين «ثناء» و «سعد» فقد بلغ أربع سنوات . ويرجع هذا الى أن الصحة العامة للاخبارية أخذت تضعف بشكل ملحوظ بعد الولادتين الأولى والثانية . وبعد انقضاء فترة الرضاعة الثانية ـ ومدتها عامان ـ ازدادت صحتها سوءا وأخذت تشعر بآلام ناتجة عن التهابات وقرح ذهبت بسببها الى طبيب أمراض النساء فأجرى لها عملية «كى» ونصحها هى وزوجها بتقليل الاتصال الجنسى . ولما كانت بطبيعتها تنفر من هذا الاتصال نفورا شديدا ، فقد ظلت قرابة ستة أشهر لا تجامع زوجها الا مرات معدودات.وكانت أثناء هذه المرات تستخدم وسائل موضعية لمنع الحمل مثل قطعة من«الشب»تارة ، أو «قرص اسبرين» تارة أخرى وهكذا . ويبدو أن الدافع وراء استخدامها لهذه المواد بقصد تحاشى حدوث الحمل هو الانتظار فترة من الوقت حتى تسترد صحتها . كان هذا يحدث دون علم الحماة وأيضا دون علم الزوج .

أخذت الخلافات تظهر بين الاخبارية وزوجها . ويوما بعد يوم تلوح فى الافق علامات وشواهد على عدم الوفاق بينهما . فهى تزداد ضعفا من الناحية البدنية ويبدو عليها النحول «والنحافة» ، فى الوقت الذى يبدو هو فى شرخ الصبا وريعان الشباب.أصبحت فيما يبدو لا ترضى مطالبه التى يتوسمها زوج فى مثل حيويته وشبابه . أدركت خطورة موقفها وازدياد الفجوة والتباعد بينها وبين زوجها ، وتوقعت منه اعراضا عنها ، وقد يصل الأمر فى النهاية الى حد الطلاق أو الاقدام من جانبه على الزواج بأخرى . هداها تفكيرها وتوجيه والدتها الى أن الأمر يحتم عليها ضرورة أن تترك نفسها للحمل والولادة ، فكثرة الأطفال تدعم مركزها المزعزع وتجعل هناك ضرورة لبقائها فىبيت الزوجية.وهكذا استأنفت مرة أخرى الحمل والولادة فانجبت «سعد» ، ثم بعده بعامين أنجبت «السيد» .

يبدو أن انجابها لهذين الطفلين الأخيرين لم يغير من الأمر شيئا ، بل زاده سوءا . فصحتها فى تدهور مستمر ، ونفور الزوج منها يزداد وضوحا، ورد الفعل من جانبها يرتد الى ذاتها فى شكل توترات نفسية وأحاسيس بالاضطهاد والظلم . والأمر على هذا النحو أصبح يمضى بسرعة فى غير

صالحها . وخاصة وأن النفور منها لم يعد فقط يظهر من جانب زوجها ، وانما أخذ يظهر أيضا من جانب حماها وحماتها . وأصبح هناك الآن من الشواهد ما يرجح أن ما كانت تخشى وقوعه قبيل انجابها طفليها الأخيرين هو أمر سوف يقع لا محالة .

فالزوج لا يمسك نفسه عن السخرية منها حتى أمام الضيوف ، ولا يضيره أن يوجه اليها من الاهانات ما لا يمكن أن يصدر عن زوج لديه بعض من حرص على استمرار الحياة الزوجية . لقد دار بينهما ذات مرة نقاش انتهى الى مشادة حامية،وقد شاء الزوج أن يقلل من شأنها أمام الحاضرين فوجه حديثه اليهم قائلا :

«... دا أنا لما جيت اتجوزها بعت فيها جاموسة .. والمثل بيقول : «راحت أم ضره ، وجات أم هره»(١) . إى أن مهرها لم يكلفه سوى ثمن جاموسة .بل ان الجاموسة - فى نظره - أكثر نفعا وقيمة منها،فالجاموسة ذات «ضره» أى ضرع يعطى ويدر لبنا ، أما هى فانها ذات «هره» أى لا يصدر عنها سوى الخبث أى فضلات الانسان . ثم استطرد قائلا :
استطرد قائلا :

«... والله العظيم ، اللى مصبرنى عليها انها شورة أبويا وأمى . الواحدة اللى زيها وتكون ممروضة كده ومسلوعة ومافيش فيها حيل لجواز ، حلال فيها الطلاق . دى حالتها بقت بلا،وحيلها مهدود ، و لايمكن عادت تنفع فى الجواز ، تشوف لها موتة أحسن» . عندئذ ارتسمت على وجه الزوجة علامات الخجل والأسى ، وردت عليه وهى تمصمص شفتيها قائلة بنبرة حزينة :

«صحيح ، ماكدبوش اللي قالوا : يا مامنة للرجال ، ياامآمنة للميه فى الغربال» .

وييدو أن الزوج قد جالت بخاطره فكرة فتذكر أطفاله،وواصل حديثه مخاطبا الحاضرين بقوله :

«أنا كنت فين والعيال دى فين ! انا ما شفتش يوم هنا فى جوازى ،

ومع كده طلعت منه بأربع عيـال كده فى الحـال · وكبرنا أوام ، وبقينـا أصحاب عيال ، واحنا لسه عيال!» ·

أى انه لم يهنأ فى حياته الزوجية ، وعلى الرغم من ذلك أنجب أربعة أطفال من زوجته فى فترة زمنية قصيرة ، وقد سـاعد ذلك على التعجيـل باظهاره على أنه قد كبر وتقدمت به السن ، بينما هو لايزال صغيرا ·

ولا يستطيع حماها أن يخففى نفوره منها ايضا · ففى معرض حديثه عن أولاده ذات مرة ، قال :

«··· شوف ، أنا عندى فتحى ابنى الكبير بالدنيا بحالها · لكن فيه عيب واحد هوحمدية مراته · دى واحدة كدا مش مفتحة ولا تفتح النفس زى النسوان الدايرة الحلوة اللى تفتح النفس وتفهم راجلها بالاشارة وتعرف هو يقصد ايه بالاشارة دى» ·

ويبدو أنه ــ اى والد الزوج ــ قد انتبه الى مسئوليته عن هذه الزيجة ، وأن ابنه فتحى لايزال يحتملها اكراما لخاطره وخاطر أمه · فعقد النيـة على أن يكافئه ــ تقديرا له على ذلك ــ **بأن يزوجه مرة أخرى** · ويتضـح ذلك بجلاء فى قول الأب ، مستطردا :

«··· القصد ، احنا دبسناه فى الجوازة دى · انما لازم أجوزه بنت حلال تكون حلوه ، وعفية ، من البنـات المدورين الملفوفين ، اللى يملوا عين الراجل» ·

وأما عن الحمـاة ، فانهـا هى الأخرى تعاملهـا بشىء من القسـوة والفظـاظة · ويمكن للملاحظ أن يقف على ذلك بسـهولة من خلال بعض المواقف · ففى ذات مرة ، نهرتها حماتها ، وطلبت اليها بلهجة حادة آمرة أن تذهب لشراء بعض لوازم البيت من عند البقال ، وهى أشياء صغيرة كان بوسع أى طفل من أطفال المنزل شراؤها ·

ومن اللافت للنظر هنا أن نساء هذه الأسرة (الممتدة ، والنووية) لسن من النمط «المستخبى» كنسـاء الأسرة السـابقة · وقد يرجع ذلك الى أن الأسرة الأولى ــ شأنها فى هذا شأن بعض الأسر الريفية الغنيـة ذات المكانة

الاجتماعية العالية فى المجتمع المحلى ـ ترى أن حجب النســاء يعتــبر من مقومات المكانة ، ومن الضرورات التى تتناسب مع التقاليد التى تتمسك بها العائلات العريقة ، وخاصة اذا كان من بين أعضــائها من هم من المتعلمين الذين يشغلون وظائف حكومية مرموقة،أو يحتلون مكانة أجتماعية متميزة فى القرية • فحجب النساء وعدم السماح لهن بالخروج من المنزل يعتبر فى نظر القرويين علامة من علامات تحضر العائلة وارتفاع مكانتها ، وفى نفس الوقت تكريم النساء (ولو من حيث الشكل) •

صحيح ان النظرة للمراة فى كلتا الحالتين (اى فى هذه الأسرة،وأيضا فى الأسرة السابقة) من جانب الرجال ، تمضى فى اتجاه واحد وهو التقليل من شان المرأة والاستهانة بها • غير أن الأمر يبدو مختلفا فى الحالتين فيما يتعلق بعمالة المراة وأنشطتها • ففى الأسرة الأولى ، هناك قناعة بان دور المرأة يقتصر على أداء المهــام التى تفرضهــا عليهــا واجباتها داخل المنزل فحسب • أما فى الأسرة الثانية فان ادوار المرأة تميل الى الامتــداد خارج المنزل بل وحتى خارج القرية : فالحماة تعمل بتجارة الطيور كما ذكرنا ، وتتردد كثيرا على المدينة فى اطار هذا النشاط • وزوجتا الابنان تســاعدان احيانا فى أداء بعض الاعمــال الخفيفة بمزرعــة الدواجن المملوكة للأسرة والمجاورة للمنزل الجديد • كما أنهما تذرعان شوارع القرية جيئة وذهابا • وقد ذكرنا من قبل أنهما تقطعان مع أطفالهما رحلة انتقال يومية منتظمــة بين المنزلين القديم والجديد •

هنــاك اذن فرق بين الأسرتين فى مدى مشــاركة المرأة ومساهمتها فى أعمال غير منزلية ، واقتصادية • وفى القيود المفروضة على تحرك النســاء وانتقالهن خارج المنزل • فحيث يميل الوضع الطبقى الى الانخفاض،تبدو مشاركة المرأة ومساهمتها فى انشطة اقتصادية خارج المنزل ، كما تخف حدة القيود المفروضة على تحركها وانتقالها خارج المنزل •

ونعود مرة أخرى فنتابع الحديث عن اخباريتنا «حمدية»•ان العلاقة بينها وبين سلفتها (زوجة صلاح شقيق زوجها) هى علاقة مودة وتعــاون • فقد أنجبت هذه السلفة ولدين•ومن ثم لا يوجد بينهما ـ اى بين الاخبارية

وسلفتها – ما يدعو للغيرة أو التنافس والصراع . انهما تتعاونان سويا فى عمل المنزل ، ويزداد هذا التعاون عندما تكون احداهما فى حالة حمل أو ولادة أو مرض . فكلتاهما تشعران أنهما لابد ان تتعاونا وان تستعينا بهذا التعاون على الشقاء وعلى سيطرة الحماة وسطوتها وقوتها ، وعلى مطالب الرجال والأطفال فى الأسرة . ان كل واحدة منهما ترى فى الأخرى صديقتها التى تشكو اليها ضعفها وتشاركها همومها ومصيرها وقدرها . وقد عبرت الاخبارية عن ذلك بقولها :

«... احنا المساكين فى العيلة دى [أى هى وسلفتها] لازم نكون قلبنا على قلب بعض ، وتكون الواحدة فينا صدر حنون للتانية . ولا يعنى ها نبقى احنا والزمن ؟!» .

وقد تتبادر الى ذهن القارىء بعض التساؤلات حول سلفة الاخبارية ، من حيث حالتها الصحية، وتوافقها مع زوجها، وعلاقاتها بحماها وحماتها، .. الخ . ان الأمور بالنسبة لهذه السلفة تبدو عادية . غير أن اخباريتنا وسلفتها كلتاهما ضعيفة ولا تتمتع بأى قدر من القوة والقدرة على المشاركة فى صنع القرار او التحكم فى الآخرين والتأثير فيهم . فالحماة لا تدع لأى منهما مجالا للاحتفاظ بشىء من ذلك . انها وحدها هى صاحبة القرار ، وهى المتحكمة فى أمور الدخل والانفاق وتوزيع بنود الميزانية واولوياتها . وعلى محك القوة الاجتماعية يمكن القول بان الاخبارية وسلفتها لا تختلفان عن اى طفل فى المنزل . فهما لا حول لهما ولا قوة أمام قوة الحماة . ولكن قد يتبادر الى ذهن القارىء أيضا تساؤل عن مقومات القوة التى تتمتع بها الحماة ، ومصادر هذه القوة .

انها – أى الحماة – فيما يبدو تدرك أهمية النشاط الذى تقوم به فى مجال تجارة الطيور ، وكيف أن الربح الذى تحققه من ذلك يمثل مساهمة لا بأس بها فى دخل الأسرة. ومن جهة أخرى ، فانها تمارس قوتها ونفوذها على ابنيها «فتحى» و «صلاح» . فالابنان لا يتحملان مسئولية اعالة زوجتيهما وأطفالهما أو كفالتهم . فهذا أمر تضطلع به الأم (الحماة) والأب . فالجميع يأكلون ويشربون ويكتسون وتلبى لهم كافة الاحتياجات

فى منزل العائلة الجديد ، بمعرفة الأم وتحت اشرافها . حتى أن الابن الأكبر «فتحى» زوج الاخبارية لا يجد غضاضة فى القول بأنه «يصرف مرتبه الشهرى كله على نفسه هو خارج البيت»، وأنه ينفقه على «مزاجه الخاص». وقد أكد والده ذلك فى معرض حديث قال فيه :

«... ولادى الرجالة مدلعين . دول بيسيبوا أولادهم ونسوانهم عندنا هنا فى البيت طول النهار ، وما بيروحوش بيتهم الا بالليل علشان النوم وبس . أكلهم وشربهم وطلباتهم كلها عندى ، ومافيش حد فيهم بيغرم مليم احمر . ولو واحد فيهم طلب جنيه امطى له جنيهين ، خصوصا فتحى ابنى».

★●★

يتبقى القول ، فى نهاية الحديث عن هذه الأسرة ، أن اخباريتنا «حمدية» ممن يستخدمون وسائل تنظيم الأسرة . فقد تأكد لها الا مفر من ايقاف الحمل والولادة حفاظا على صحتها التى لم تعد تقو على احتمال متاعب الحمل والطلق والولادة والرضاعة . اتفقت مع زوجها على الذهاب الى الطبيب فى بنها لتركيب لولب نحاسى . وقد نصحها الطبيب بمتابعة الفحص الطبى مرة فى كل عام ، وتغيير اللولب أى استبداله بآخر جديد .

★●★

**٣ ـ الحالة الثالثة ـ أسرة ابراهيم عبد العزيز :**

هى أسرة نووية تعيش مع والدى الزوج فقط . فقد انفصل باقى الأبناء عن الوالدين وكونوا أسرا جديدة نووية مستقلة ، ولم يبق سوى الابن «ابراهيم عبد العزيز» وزوجته وأطفاله مع الوالد «عبد العزيز» (٧٠ سنة ، فلاح ، أمى ، من مواليد القرية) والوالدة (٦٠ سنة ، أمية ، ربة بيت ، من مواليد نفس القرية) .

والأسرة التى نتناولها بالدراسة المتعمقة هنا هى أسرة الابن ابراهيم عبد العزيز : ٣٠ سنة ، مدرس ، حاصل على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية . ويزاول فى وقت فراغه عملا اضافيا .

أما عن أفراد أسرته فانهم :

السيدة/هانم محمد على : زوجة ، ٢٨ سنة ، مدرسة بمدرسة القرية

الابتدائية ، حاصلة على دبلوم المدارس الثانوية ، كما أنها الى جانب ذلك ربة بيت ، وأم لأربعة أطفال هم :

١ ـ شريف : ٥ سنوات (من مواليد ١٩٧٨) ، تلميذ مستمع بمدرسة القرية الابتدائية تمهيدا لالتحاقه رسميا بالمدرسة ابتداء من العام الدراسى القادم ١٩٨٤/٨٣ ٠

٢ ـ خالد : ٤ سنوات (من مواليد ١٩٧٩) ٠

٣ ـ منى : سنتين (من مواليد ١٩٨١) ٠

٤ ـ غادة : سنة واحدة (من مواليد ١٩٨٢) ٠

تنتمى هذه الأسرة الى الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى ٠ وتعتمد فى دخلها على المرتب الشهرى للزوج والزوجة من عملهما الحكومى أساسا ، بالاضافة الى الدخل الاضافى الذى يحققه الزوج من تحصين الدواجن ، وهو دخل غير ثابت ويميل الى الزيادة حينا والنقصان حينا آخر تبعا للظروف ٠ ويمكن القول ان متوسط الدخل الشهرى لهذه الأسرة من تلك المصادر كلها يتراوح بين تسعين جنيها ومائة وعشرين ٠

تقيم الأسرة النووية هذه فى حجرتين من منزل والد الزوج الذى يقع على الجسر بمدخل القرية ٠ وهو بيت مبنى بالطوب الاحمر ، ومضاء بالكهرباء ، وتوجد أمامه طلمبة للمياه ٠ والمنزل مكون من طابق واحد يتكون من خمس حجرات عدا المرافق الأخرى ٠

ان اخباريتنا فى هذه الأسرة تمثل نمط الزوجة التى تتمتع بدرجة من الادارة والاعتداد بالنفس والقدرة على اتخاذ القرارات ٠ سيما وأن هذه القرارات تتعارض فى بعض الاحيان تعارضا شديدا مع رغبة الزوج والحماة ٠ ولعل أبعاد هذه السمة تتضح بالرجوع قليلا الى الوراء للتعرف على بعض ملامح تنشئة هذه الاخبارية ، وخاصة فى الحلقة الأخيرة ٠ فلقد التحقت بالمدرسة الثانوية الصناعية بالمدينة بعد حصولها على الشهادة الاعدادية ٠ وكانت هى «البنت» الوحيدة بهذه المدرسة ٠ ولم يؤثر وضعها كبنت وحيدة بالمدرسة وسط مئات من الطلبة الذكور ، لم يؤثر على رغبتها فى التعلم

والحصول على شهادة الدبلوم بتفوق ٠ بل زادها ذلك أصرارا على التحدى واثبات الجدارة ٠ وحصلت على الدبلوم بمجموع نسبته ٧٨٪ ٠ كانت لديها الرغبة فى اكمال التعليم والالتحاق بكلية الفنون الجميلة،خاصة وأنها خلال المرحلة الثانوية كانت ملتحقة «بقسم الزخرفة»٠ولكنها فى ذلك الوقت كانت مخطوبة (الى زوجها الآن) ٠ فعارض خطيبها هذه الرغبة بشدة،واستطاع أن يقنعها بالعدول عن هذه الرغبة حتى يستطيعا اتمام الزواج ٠

وتم الزواج بعد حصولها على الدبلوم ٠ ولكن زوجها حاول أن يثنيها عن فكرة العمل ، ايمانا منه بان الزوجة يجب عليها أن تتفرغ لواجباتها المنزلية وواجباتها كأم ٠ ولكنها رفضت ، **وأصرت على الرفض** ٠ وحدثت بينهما على أثر ذلك خصومة دامت شهرا وكادت تؤدى الى انهيار العلاقة الزوجية ٠ ولكن الزوج لم يستطع ـ آزاء اصرار زوجته وتمسكها بقرارها ـ **الا النزول على رغبتها** ، والاقتناع بضرورة عدم حرمانها من هذا الحق ٠

والاخبارية من أشد المقتنعين بفكرة تنظيم الأسرة٠وهى الآن **قد ركبت لولبا لمنع الحمل** ٠ ومنذ بداية الزواج كانت عاقدة عزمها على الاكتفاء بطفلين اثنين فقط ، حتى يمكنها التوفيق بين رعايتهما وتربيتهما والعناية بهما وتعليمهما ، وبين أدائها لعملها بالتدريس ٠ فهى تعشق هذا العمل وتحرص على تكييف ظروفها الأسرية وفقا لمقتضياته ٠ وكانت تجد معارضة شديدة واستهجانا من جانب زوجها وحماتها عندما كانت ـ الاخبارية ـ تعلن عن عزمها هذا فى وجود أى منهما ٠ فالزوج لا يقتنع بفكرة تنظيم الأسرة ، والحماة كانت تلفت نظرها دائما الى **فكرة الموت** ٠ اذ أن هذه الحماة أنجبت سبعة أطفال : اربعة من الذكور ، وثلاث من الاناث ، ولكن ماتوا جميعا ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى ابنها «ابراهيم» زوج الاخبارية ٠ ولذا فان الحماة فى هذه الأسرة من أشد المعارضين لفكرة تنظيم الأسرة ٠ ولا تترك بابا الا طرقته حتى تزيد من معارضة ابنها أيضا ٠

ولعل موقف الحماة هنا فى هذه الأسرة أن يلقى بعض الضوء على دور «الحماة» بشكل عام فى مجال ديناميات تنظيم الأسرة٠هذه السيدة فى الستين من عمرها كما ذكرنا ٠ ولها مع وفيات الأطفال تجارب مريرة ٠ ففى وقتها

كانت معدلات وفيات الأطفال مرتفعة . ربما لعدم تقدم أساليب وخدمات الرعاية الصحية ورعاية الأمومة والطفولة بنفس الدرجة التى نعرفهـا فى الوقت الحاضر ، الى جانب انخفاض مستوى الوعى الصحى حينـذاك ، .. الخ . ولكن هذه السيدة المسنة ، الأمية ، لا تستطيع أن تنسى بسهولة مرارة تجارب قاسية عاشتها لم تزل آثارها ربمـا محفـورة فى فؤادها ووجدانها حتى الآن . على الرغم من اختلاف الأوضاع فى الوقت الحاضر عنها فيما مضى . فمثل هذه الحماة تريد أن تملى على زوجة ابنها قناعة قديمة تقليدية ، لم يعد لها مبرر فى الوقت الحاضر ، وهى فكرة «الأطفال الاحتياطى» ، أى انجاب المزيد من الأطفال تحوطا من الموت .

ثم نعود مرة أخرى لمتابعة الحديث حول الاخبارية . لقد شرعت فعلا فى تعاطى **«حبوب منع الحمل»** بعد انجاب الطفلين الأولين.ولكنها **أخطأت اتبـاع القواعد السليمة لاستخدامها** ، حيث كانت تنسى فى بعض الأحيـان تناول «الحبة» . وقد نتج عن ذلك حدوث حمل فانجبت «منى» الطفـلة الثالثة . ثم تكرر نفس الخطأ مرة أخرى فحدث حمل كانت نتيجته ولادة الاخبارية لطفلتها الرابعة «غادة» . عندئذ رأت أنه لابد أمامها من اللجوء الى الطبيب بمدينة بنها وجعلته «يركب» لها اللولب.ومن الجدير بالذكر، أن اقدام الاخبارية على هذه الخطوة كان ثمرة قرار اتخذته هى بمفردها ، وأتمت تنفيذه فعلا على الرغم من المعارضة الشديدة لذلك من جانب الزوج والحماة .

الاخبارية تشارك مشاركة فعالة فى اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة . بل انها تنفرد فى كثير من الأحيان باتخاذ القرار وتنفيذه . من ذلك مثلا ما يتصل بشئون الأطفال فيما يتعلق بالعلاج والعرض على الطبيب ، وشراء الملابس والأحذية ، .. الخ . كما أنها أيضا هى المسئولة عن توجيه بنود الانفاق . فما على الزوج الا أن يسلمها مرتبـه أول كل شـهر ، فتضمه الى مرتبهـا ، ثم تتولى هى بعد ذلك عملية الانفاق طبقـا للبنود والأولويات الموضوعة .

هناك فرق ناصع الوضوح بين الاخبارية فى هذه الأسرة ، والاخباريات

فى الأسرتين السابقتين من حيث القــوة والقــدرة على المشاركة فى اتخــاذ القــرارات ، وعلاقة ذلك بالسلوك الانجــابى . ففى الأسرة الأولى نجــد الاخبارية عاجزة عن اتخاذ قرار بوقف الحمل بعد حمل وولادة تكررا ست مرات ، وهى لاتزال مسترسلة فى الحمل والانجاب تنفيذا لأوامر الزوج . وفى الأسرة الثانية نجد الاخبارية قد ركبت اللولب النحــاسى ليس بمحض ارادتها وانما بقرار من الزوج . اما فى الأسرة الثالثة التى بين ايدينا ، فان الأمر جد مختلف،اذ ان الاخبارية قد اتخذت بمفردها قرار تركيب اللولب، ونفذت هذا القرار ضد ارادة الزوج والحماة .

وهنا يتبادر الى الذهن تساؤل هام:ما الذى جعل الاخبارية فى الأسرة الثالثة تنجح فى اتخاذ القرار وتنفيذه على هذا النحو ؟ أو بمعنى آخر ، ما هو مصدر القوة التى تتمتع بها والتى مكنتها من اتخاذ وتنفيذ القرار ؟.

هناك بطبيعة الحال مصادر عديدة لاكتساب القوة لدى المرأة . فهناك قوة تستمدها من الرجل (كالانجاب ، أو القــوة التى تكتسبها الزوجة من وجود طفل.أو القوة التى تستمدها من مكانة الوالد ، أو الزوج، ..الخ) . وهناك قوة تحققها المرأة بنفسها عن طريق مشاركتها فى الأنشطة الانتاجية(٢).

ان الاجابة على هذا التســاؤل يمكن أن تتضــح جزئيا لو نظرنا الى الحماة فى الأسرة الثانية ، والاخبارية فى أسرتنا هذه . كلتاهما تتسم بالقوة والقدرة على اتخاذ القرارات وتوجيه الأمور فى الأسرة . وكلتاهما أيضــا تمارس نشاطا انتاجيا يدر عائدا تساهم به بنصيب فى اجمالى دخل الأسرة. نستخلص من ذلك أن شواهدنا الميدانية تؤكد صدق هذه العلاقة الايجابيــة بين اكتساب المرأة للقوة والقدرة على المشاركة فى اتخاذ القــرارات ، وبين اشتراك المرأة ومساهماتها فى الأنشطة الاقتصادية والأنشطة الانتاجية .

وفضــلا عن ذلك ، فان تأثير عامل التعليــم يبــدو واضحــا فى حالة «المدرسة» اخباريتنا فى الأسرة الثالثة . اذ أن هذا العامل كان فيما يبــدو عنصرا هاما ومقوما من مقومات صمودها ونجاحها فى معركة التحدى عندما تأزم الموقف بسبب خروجها الى ميدان العمل . وأيضا كلما اجتازت موقفا من مواقف المواجهة مع الحماة والزوج،وخير مثال على ذلك اتخاذها قرار تركيب اللولب وتنفيذها لهذا القرار ضد ارادتهما .

والى جانب التعليم ، فهناك عوامل شخصية اخرى تدعم وضع الاخبارية . منها ، النضج الشخصى وسعة الادراك والعقلانية وحسن تقدير الأمور . ولعل هذه السمات قد توفرت لها نظرا لتاخرها فى الزواج نسبيا . اذ انها تزوجت وهى فى الثانية والعشرين من عمرها . وبذلك تكون الاخبارية هى الوحيدة التى تزوجت فى هذه السن ، على خلاف باقى الاخباريات اللائى تزوجن فى سن مبكرة ، كما يتضح من الجدول رقم (١) ، وأيضا على خلاف النمط الشائع لسن زواج الاناث فى القرية ،الذى لا يتجاوز السادسة عشرة فى الغالب أو الثامنة عشرة على أكثر تقدير . فتعليم الاخبارية وحصولها على الدبلوم أخر نسبيا من زواجها . وقد ترتب على ذلك فيما يبدو انها قد اكتسبت مزيدا من النضج بالمعنى السابق . ولعل ما يؤكد ذلك ، هو الدافع وراء تركيبها اللولب كاستجابة لفكرة تنظيم الأسرة . فعندما طلبنا اليها أن توضح الأسباب التى دفعتها الى الاقدام على ذلك باصرار وعزم ، قالت :

«... احنا رسالتنا فى الحياة [تقصد هى وزوجها] اننا نعلم أولادنا اعلى تعليم ، ونمشى معاهم المشوار كله لحد ما يوصلوا بر الأمان . والمشوار طويل وعاوز مجهود . علشان كده لازم يكون عندنا المقدرة للصرف عليهم فى الأكل واللبس والعلاج والمدارس وكل شىء . ولما يكون عددهم قليل احسن ، علشان نقدر نوفى بطلباتهم الكتيرة ..» .

لو تأملنا ما قالته الاخبارية لأمكن لنا الوقوف على أن التعليم يعتبر قضية اساسية فى حياة هذه الأسرة . فهو «رسالتها فى الحياة» ، وهو سبيلها الى ضمان «الأمان» فى المستقبل بالنسبة للأطفال . ولعل ذلك يطرح بعض التساؤلات فيما يتعلق بالوضع الطبقى ، وعمالة الأطفال ، والحراك الاجتماعى ، وصلتها جميعا بالتعليم .

لقد ذكرنا فيما سبق أن الأسرة تنتمى الى الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى . فالاخبارية ابنة «موظف بسيط» ، والزوج ابن رجل فلاح يمتلك ثلاثة افدنة . وان المصدر الأساسى لدخل الزوج والزوجة هو راتبهما الشهرى من عملهما الحكومى . لا توجد اذن غير «الوظيفة» التى يشغلها الزوج

والزوجة كتتويج لحصولهما على «المؤهل الدراسى» ، نقول لا توجد مصادر أخرى ثابتة للدخل هذا يعنى أن نوعا من الحراك الاجتماعى أصاب الزوجين • اذ أنهما من خلال الوظيفة الحكومية يمكن أن يحققا تميزا اجتماعيا واقتصاديا لم يكن يتيسر لهما بلوغه دون أن يتعلما ويحصلا على «الشهادة» ثم على «الوظيفة» • ومن ثم فانهما ينظران الى التعليم كرسالة لهما فى الحياة بالنسبة لأولادهما حتى يصلا بهم الى بر الأمان • الأمان من كل ما هو مخيف ، كالفقر •

واذا كان الوالدان يجعلان تعليم أولادهما ــ حتى أعلى مستوى ــ هو رسالتهما فى الحياة ، فانهما بذلك لا ينظران اليهم كمشروع اقتصادى يستثمرانه فى وقت مبكر • أى أنهما لا يعتمدان عليهم كمصدر للدخل عن طريق الزج بهم فى سوق عمالة الأطفال • ومادام الأطفال سيكونون بمنأى عن هذه السوق ، فانهم سيكونون بالتالى عنصر سلب اقتصادى من موارد الأسرة ودخلها ، أى سيكونون وجها من أوجه الانفاق • ولذا فان الاقلال منهم يعتبر من الشروط الهامة التى يتعين على الزوجين الأخذ بها حتى يتمكنا من أداء رسالتهما على أحسن وجه • ولعلنا لو قرأنا مرة ثانية كلام الاخبارية أن نجده قد عبر عن ذلك كله أبلغ تعبير • وسوف نعود لمتابعة النقاش حول هذه النقطة فى مواضع تالية •

*●*

٤ ــ الحالة الرابعة ــ أسرة طه محمود :

هى أسرة قروية ممتدة ، تمارس فيها النساء أعمال الحقل والزراعة الى جانب الأعمال المنزلية ، بينما الرجال ــ فيما عدا الجد ــ يمارسون أعمالا أخرى غير الزراعة • انها أسرة «طه محمود» التى تضم عشرة أفراد يمثلون أجيالا ثلاثة كما يلى :

١ ــ **طه محمود** : الجد ، ٦٣ سنة ، فلاح يمتلك فدانين ، أمى، أرمل توفيت زوجته منذ خمس سنوات ، من مواليد القرية •

٢ ــ **كامل طه** : الابن الأكبر ، ٣٠ سنة ، عامل خدمات، يقرأ ويكتب، متزوج وأب لطفلتين •

٣ ـ خديجة عبد الله : زوجة الابن الأكبر (كامل) (واخباريتنا فى هذه الأسرة) ، ٣٠ سنة ، أمية ، ربة بيت وتعمل فى حقـل الأسرة ، سبق لهـا الزواج والطلاق قبل الاقتران بزوجها الحالى ، هى أم لثلاث بنات : واحدة من زواجها الأول ، واثنتان من زوجها الحالى ، هما :

٤ ـ آمال كامل : حفيـدة ، ١٠ سنوا ت، متسربة من الصف الثالث الابتدائى ، من مواليد عام ١٩٧٣ ٠

٥ ـ كريمة كامل : حفيدة ، ٣ سنوات (١٩٨٠) ٠

٦ ـ على طه محمود : الابن الثـانى ، ٢٣ سـنة ، عامل خدمات ، أمى ، متزوج وأب لطفل وطفلة ٠

٧ ـ زينب حامد : زوجة الابن الثانى (على) ، ٢٣ سـنة ، ربة بيت وتعمل فى حقل الأسرة ، امية ٠

٨ ـ سامى على طه : حفيد ، سنتان ٠

٩ ـ كاملة على طه : حفيدة ، ٤ شهور (مارس ١٩٨٣) ٠

١٠ ـ حلاوتهم طه محمود : الابنـة الصغرى ، ١٨ سنة ، أميـة ، فى انتظار الطلب للزواج ٠

تنتمى هذه الأسرة أيضا الى الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى ٠ اذ تعتمد فى دخلها على مصادر عدة تجمع بين عائد فدانى الأرض الزراعيـة (التى تزرع بمحاصيل اعاشـة) ، الى جانب المرتب الشهرى للابن الأكبر وقدره ستون جنيها ، بالاضافة الى أجر عمل الابن الثـانى ويبلغ حوالى ستين جنيها فى الشهر أيضا ٠

لقد اتخذنا هذه الأسرة الممتدة حالة للدراسـة المتعمقة ، مع التركيز على أسرة الابن الأكبر باعتبارها تشكل أسرة نووية تعيش فى باطن الأسرة الممتدة ٠ ومما دفعنا الى اختيارها ـ أى الأسرة الممتدة ـ وجود تعـدد فى الأنشطة والأدوار التى تؤديها المرأة فيها ٠ اذ أنها تزاوج بين عملها المنزلى التقليدى المعتاد وبين العمل الزراعى فى الحقل، خاصة وأن الرجال يزاولون

أعمــالا أخرى غير زراعية باستثناء الأب ، وهو أمر قد يكون زاجعــا الى صغر مساحة الحيازة بالنسبة لحجم الأسرة . يضــاف الى ذلك أن هنــاك ضرورة لتمثيل نمط المرأة الفلاحة التى تجمع بين العمل المنزلى وبين عمل الحقل ، للوقوف على علاقة ذلك بالخصوبة وديناميات تنظيم الأسرة .

لو أننا نظرنا مرة أخرى الى ترتيب افراد الاسرة على النحو السابق لوجدنا أن أسرة الابن الأكبر تتكون من اربعــة أفراد هم : الزوج والزوجة وطفلتاهما ، وتمثل أفراد هذه الأسرة الصغيرة أرقام : (٢) ، (٣)،(٤)، (٥) ، (٦) على التــوالى . كمــا يلاحظ وجود فاصــل زمنى يبلغ سبع سنوات بين الطفلتين «أمال» و «كريمــة» ، ويرجع ذلك الى حدوث حالة وفاة لطفلة جاءت بعد «آمال» ولكنها توفيت فى عام ١٩٧٥ عقب ولادتهــا بشهر واحد على أثر اصابتها بمرض مفاجىء لا تدرى له أمها (الاخبارية) سببا ، ولم يستمر سوى يومين فقط قبل حدوث الوفاة.ثم حملت الاخبارية بعد ذلك ، ولكن هذا الحمل لم يكتمل حيث أجهض فى عام ١٩٧٧ .

الاخبــارية غير مستجيبة لفكرة تنظيم الأسرة ، وكذا زوجهــا . ولن يفكرا فى التنظيم قبل أن يرزقا بولد . هــكذا جاء تصميمها على مواصلة الانجاب حتى يتحقق لهما هذا الأمل.ويبدو أنهما من مؤيدى حجم الأسرة الكبير ، اذ لا يجدان غضاضة فى كثرة الأطفال ماداموا يأتون «برزقهم» كما يعتقــد الزوج . ومادام تنظيم الأسرة لن «ينولهــم مرادهم» كمــا تعتقــد الزوجة . فهذه الأخيرة ترى أن «طولة العمــر تبلغ المنى» وهى وزوجهــا مازالا فى سن الشباب ، وأن «المدى واسع» أمامهما لكى يحققــا أملهما فى انجاب الولد عن طريق مواصلة الانجاب .

تنظر الاخبارية بعين الغــيرة الى سلفتها التى جاء مولودها البــكرى ولدا . وعلى الرغم من حرصها الشديد على عدم اظهار مشاعر الغيرة هذه ، فان كلامها يحمل فى بعض الأحيان ما يدل عليها . من ذلك مثلا ، ما جاء فى معــرض حديثها عن الأحوال الصحية للأسرة ، حيث تعتقــد أن تحسن صحة سلفتها زاجع الى «خلو بالها من الفكر» . ومع ذلك فالعــلاقة بينهما علاقة تعــاون ووفاق . اذ أنهما تعتمــدان على نفسيهما فى مراعاة شئون

الأرض بالتعاون مع حماهما ، وذلك نظرا لانشغال زوجيهما فى عملهما . فزوج الاخبارية يباشر عمله فى البندر ويحضر مرة فى كل أسبوع أو عشرة أيام ليقضى ليلة واحدة مع أسرته ثم يسافر بعدها الى عمله ، وهكذا . اما الأخ الآخر فانه يزاول عمله أيضا بالمدينة طوال اليوم ولا يعود الى المنزل الا فى المساء . ويبدو أن جوا كهذا يعتبر عاملا من عوامل ادراك أهمية المولود الذكر . فالاخبارية تؤكد هذا المعنى عندما تردد فى حديثها أن «الشغل كتير علينا [أى هى وسلفتها] ، واحنا بنلاحق على الدار والغيط ، من قلة فضا الرجالة ، نصيبنا كده بقى ، وربنا فرجه قريب» .

ويبدو أن ثمة علاقة ما بين وفاة الطفلة وتعرض الاخبارية للاجهاض، وبين تعدد أدوارها وانشطتها داخل المنزل وخارجه . فهى تتعرض للارهاق احيانا كثيرة وخاصة فى مواسم الحصاد والجمع . اذ أن هذه المواسم تعتبر فترات ذروة على مدار العام بالنسبة لأدائها هى وسلفتها للعمل . ويتضح ذلك بجلاء فى قول الاخبارية عندما كانت بصدد تفسير مرض طفلتها المتوفاة:

« . . . دى حاجة بتاع ربنا ، والعلم عند الله ، لكن أنا فاكرة انى رضعتها صدرى وكان جسمى حامى ولبنى سخن، ولما يكون اللبن سخن قوى ممكن يؤذى العيل . اصل العيال الصغيرين قوى دول زى البط الأخضر ، ضعاف وما يستحملوش ، خصوصا لما تكون الواحدة [تقصد هى ذاتها] متشعتفة ويتجرى بين الدار والغيط»(٢) .

ولعل كلام الاخبارية هذا أن يلقى ضوءا على أسباب ارتفاع معدلات وفيات الأطفال فى الريف وخاصة بين مثل هذه الأسر الفلاحية . وبالتالى ارتفاع معدلات الخصوبة والانجاب تحسبا للموت كما ذكرنا من قبل .

فانشغال المرأة فى العمل بالحقل ، وبذلها لكثير من الجهد البدنى ، يمكن أن يكون على حساب رعاية الأطفال والاهتمام بهم وخاصة اذا كانوا حديثى الولادة ، مما قد يؤدى الى اصابتهم بالمرض والتعجيل بموتهم . ناهيك عن عوامل أخرى تساهم بدورها فى هذا المجال كانخفاض الوعى الصحى لدى المرأة الريفية ، والقصور فى الخدمات الصحية والعلاجية .
وعلى الرغم من هذا الجهد الشاق الذى تبذله الاخبارية وسلفتها ،

فانهما غير نادمتين أو آسفتين على ذلك،بل تشعران بأهمية المسئولية الملقاة على عاتقهما • وفى نفس الوقت تشعران بالرضا والارتياح لنجاحهما فى الوفاء بهذه المسئولية • كما تدركان تقدير الرجال فى الأسرة لجهودهما ، وطرح الثقة فيهما واعطائهما قدرا من الحرية فى التحرك والانتقال•وفضلا عن ذلك ، فان الاخبارية لديها صلاحيات للمشاركة فى اتخاذ القرار سواء فيما يتعلق بامور حياتها الشخصية ، أو بمصالح الأسرة • فهى التى تتولى مهمة الانفاق على شئون البيت فى الأيام المعتادة ، وكثيرا ما تذهب الى سوق المدينة لاحضار لوازم المعيشة • وهى فى ذلك تتفوق على سلفتها بعض الشىء•اذ أن مكانة المرأة فى الأسرة الممتدة قد تتحدد فى ضوء مكانة زوجها• فالأخ الأكبر يتقدم الاخوة الأصغر ، وينطبق نفس الأمر على السلايف،حيث تتدرج السلايف على سلم المكانة والقوة تبعا للتدرج الذى يحتله الأزواج •

ومن مقومات القوة النسبية التى تتمتع بها الاخبارية ، الى جانب الاضطلاع بمسئولية رعاية مصالح الأسرة فى البيت والغيط ، أنها تشعر بأنها صاحبة فضل على زوجها • فقد جاء فى معرض حديثها عن ظروف التحاق هذا الزوج بعمله هذا ، أنه بعد تسريحه من الخدمة العسكرية كانت لديه رغبة شديدة لمزوالة أى عمل آخر غير الفلاحة•فقد عافت نفسه مهنة الفلاحة لأنها «كلها تعب وشقى وبهدلة • وهو [أى الزوج] أخذ على الراحة واللبس النضيف لما راح الجيش ، ورأسه وألف سيف ما يرجع يحط ايده فيها تانى» كما تقول الاخبارية(٤) • وكان دائم السعى فى البحث عن عمل آخر جديد • وفى ذات يوم استطاع الحصول على «واسطة كبيرة» بامكانها «توظيفه» فى العمل الذى يزاوله حاليا • ولكن هذه الواسطة تحتاج «مصاريف» ، وهنا كات لدى الاخبارية بقرة تملكها بعد أن باعت كردانها الذهب واشترتها • فقامت باعطائه البقرة ليبيعها ويتصرف بثمنها فى «سد الطرأة دى» • فهى اذن تدرك أن تصرفها على هذا النحو يعتبر مساهمة من جانبها فى تمكين الزوج من الحصول على «الوظيفة» ، سيما أن ثمن بقرتها لايزال دينا فى عنقه حتى الآن •

• هناك وجه شبه بين هذه الأسرة وبين الأسرة الأولى التى سبق الحديث

عنها ، وذلك فيما يتعلق بالمفاضلة بين الأطفال تبعا للنوع أو الجنس ، بمعنى الاصرار الشديد على انجاب الولد،وبالتالى نبذ فكرة تنظيم الأسرة حتى يتحقق هذا المطلب • وهذا يعنى أن نفس الموقف هو هو بعينه فى الأسرتين على اختلاف الوضع الطبقى والمستوى التعليمى لكل منهما•ولعل هذا يعنى أيضا أن قيمة الطفل الذكر لها قوتها وسطوتها بحيث تتضاءل أمامها العوامل الطبقية ، وفى بعض الأحيان العوامل التعليمية أو بمعنى آخر،تعتبر هذه القيمة من أكثر القيم مناوءة لفكرة تنظيم الأسرة على نحو يتجاوز حدود التقسيمات الطبقية والتعليمية فى المجتمع بشكل أو بآخر •

كما أن هناك تشابها بين الأسرتين أيضا فى النظرة الى تعليم البنات ، حيث لا يحتل تعليم البنات درجة من الأهمية • فالبنات يجب اعدادهن للزواج فى وقت مبكر•اذ أن الزواج بالنسبة للبنات أمر يحتل مرتبة متقدمة فى الأولوية عن التعليم • ولقد أوضحت الاخبارية وزوجها هذا المعنى خير توضيح عندما كانا بصدد الحديث عن مبررات تسرب ابنتهما «آمال» من المدرسة وهى فى الصف الثالث الابتدائى • فقد قال الزوج :

«البنت أول ما سنها يوصل عشر سنين ما يصحش تروح المدرسة وتمشى مع صبيان فى الرايحة والجاية • لأنها فى السن ده بتكون داخلة على حتة حساسة شوية ، ولازم الأب والأم يكونوا واخدين بالهم منها وحطين عنيهم فى وسط راسهم • وكل ما يفوت يوم ورا التانى ، تكون البنت داخله على جواز» • وهنا أردفت الاخبارية مواصلة الحوار حول هذا المعنى قائلة :

«وتعليم البنت ما يصحش انه يعطل جوازها • هى البنت لها أيه الا بيت جوزها ؟ وأهلها هاياخدوا أيه من تعليمها اذا اتعلمت واتوظفت حتى ؟! ••» •

غير أن هناك اختلافا بين الأسرتين فيما يتعلق بقوة المرأة ومشاركتها فى اتخاذ القرار • ففى الأسرة الأولى تنعدم مشاركة المرأة ، وتفرض القيود على حركتها ، بينما تشارك المرأة فى أسرتنا هذه،وتتمتع بقدر من الحرية فى الانتقال والحركة • ويتسق هذا الوضع مع الاتجاه العام فى المجتمع القروى • فحيث تميل الأوضاع الطبقية الى الانخفاض ، تزداد مشاركة

المرأة ، وتخف القيود المفروضة على حركتها وانتقالها المكانى · وسوف تتدعم هذه النقطة من خلال الشواهد الواقعية التى تتضح عند الحديث عن الحالات القادمة ·

★●★

**٥ ــ الحالة الخامسة ــ أسرة محمود عيد :**

هى أسرة نووية ، تشترك مع الأسرة الممتدة فى المسكن ، ولكنها منفصلة عنها ومستقلة معيشيا ، انها أسرة طلعت محمود ، التى تتألف من الزوج والزوجة وثلاثة أطفال · وتحتل غرفة من منزل كبير على شكل دوار مبنى بالطوب اللبن · ومزود بالكهرباء ، وأمامه طلمبة للمياه · ويضم منزل العائلة ثلاثة أجيال ، كما يلى :

١ ــ **محمود عيد** : الجد ، ٥١ سنة ، فلاح ، أمى ، يمتلك ربع فدان ويستأجر سبعة قراريط ، من مواليد القرية · توفيت زوجته الأولى (أم الأولاد الكبار) منذ خمس سنوات ·

٢ ــ **نجية على** : زوجته الثانية ، ٢٥ سنة ، أمية ، ربة بيت ·

٣ ــ **أحمد محمود** : ابن من الزوجة الثانية ، سنة ونصف ·

٤ ــ **صادق محمود** : أصغر الأبناء من الزوجة الأولى ، ١٨ سنة ، أعزب ، أمى عامل طوب سفرة ·

٥ ــ **طلعت محمود** : الابن الأكبر ، ٣٥ سنة ، أمى ، عامل بمدرسة ·

٦ ــ **فكيهة مخيمر** : زوجة طلعت (الاخبارية الرئيسية)، ٣٠ سننة ، أمية ، ربة بيت (وتزاول أشغال الابرة والتطريز بأجر) ·

٧ ــ **سامية طلعت** : حفيدة (ابنة طلعت)، ٧ سنوات ، أولى ابتدائى ·

٨ ــ سهام طلعت ، ٤ سنوات (١٩٨٠) ·

٩ ــ أشرف طلعت ، سنة ونصف (١٩٨٢) ·

١٠ ــ **راضى محمود عيد** : الابن الثانى ، ٢٦ سنة ، أمى ، متزوج ، عامل طوب سفرة ·

١١ ـ عزيزة عباس : زوجة راضى ، ٢٤ سنة ، أمية ، ربة بيت ٠

١٢ ـ فاطمة : حفيدة ـ سنة ونصف ٠

١٣ ـ سعيد راضى : حفيد ـ شهر واحد (ابريل ١٩٨٣) ٠

١٤ ـ صابر محمود عيد : ابن ، ٢٣ سنة ،متزوج ، متطوع بالجيش٠

١٥ ـ نوال : زوجة صابر ، ١٨ سنة ، أمية ، ربة بيت ٠

١٦ ـ ماجدة صابر : حفيدة ـ ابنة ابراهيم ، ٥ شهور ٠

فهذا المنزل يضم أربع أسر مستقلة معيشيا بعضهـا عن بعض ٠ هى : أسرة الأب ، التى تتألف منه وزوجته الجديدة ، وابنـا له منهـا ، وأصغر أبنائه من زوجته المتوفاة ٠ بالاضافة الى أسر الأبنـاء الثـلاثة المتزوجين : «طلعت» ، «راضى» ، «صابر» ٠

ولو نظرنا الى هذه الأسر الأربع نظرة فاحصة ، فاننا نلاحظ أن كلا منها تعتمد على نفسها اقتصاديا ومعيشيا ٠ فالأب يعمل بالفلاحة فى حيازته الضئيلة ، ويتكفـل بأفراد أسرته الصغـيرة ٠ وكل من الأبنـاء المتزوجين يمارس عملا يعتمد عليه فى معيشته كمورد للدخل ٠ الابن الأكبر يعمل عاملا بمدرسة بعد تسريحه من الخدمة العسكرية ٠ والابن الثانى يعمل فى «ضرب الطوب» ، والابن الثالث متطوع فى القوات المسلحة ٠

ولقـد وقع اختيـارنا على أسرة الابن الاكبر «طلعت» لكى نتناولها بالدراسة المتعمقة ٠ وقد دفعنا الى اختيارها ما لمسناه من تجاوب واستجابة من جانب الزوج والزوجة فيها ، سواء من حيث التعاون معنا ،أو التحمس لفكرة تنظيم الأسرة والاقتناع بهـا ٠ وفوق كل ذلك ، ان الزوجة فى هذه الأسرة تمارس عملا يدر عائدا نقديا تستطيع أن تساهم به فى دخل الأسرة٠ فالزوج يتقاضى مرتبا شهريا قدره أربعين جنيهـا ، وكان على الزوجة أن تشارك بنصيب فى زيادة الدخل ، عندما اقتضت الظروف ذلك ٠ فالأسعار ـ طبقا لرأيها ـ فى تزايد مستمر ، وتكاليف المعيشة تزداد يوما بعد يوم ، والدخل يكاد يكون ثابتا ٠ ومن هنا أخذت تمارس «شغل الابرة» والتطريز بالخرز والصوف الملون ، وغير ذلك من أعمال التوشية ، لقاء أجر تتقاضاه

على ذلك . ويمثل هذا الأجر مصدرا آخر للدخل تعتمد عليه الأسرة . وهو بطبيعة الحال يتراوح بين الرواج والكساد ويقدر متوسط العائد الشهرى منه بخمسة عشر جنيها.وبالاضافة الى ذلك ، تقوم الاخبارية بتربية بعض الطيور المنزلية للاعتماد عليها فى استهلاك اللحوم والبيض .

الزوجان مقتنعان بفكرة تنظيم الأسرة ومتحمسان لها.واتساقا مع هذا الموقف،اتفقا فيما بينهما على الذهاب الى الطبيب لتركيب «لولب» نحاسى للزوجة قبل انتهاء فترة الرضاعة «الشرعية» للطفل «أشرف» .فالطفل عمره عام ونصف ، و «من حقه سنتين رضاعة حسب كلام ربنا» كما تقول الاخبارية . ويرجع تحمس الزوجة وزوجها واقتناعها بتنظيم الأسرة الى عدة أسباب . منها ، ادراكهما أن «أسرة صغيرة تساوى حياة أفضل» . فقليل من الأطفال يتيح للوالدين امكانية تربيتهم تربية حسنة ،بحيث يحصلوا - أى الأطفال - على حقهم فى التعليم ، والرعاية الصحية ، والتغذية ، .. الخ . ومن جهة أخرى فان الزوجين متفقان فيما بينهما على ضرورة المحافظة على صحة الاخبارية وجمالها . «فالمثل بيقول : الراجل يحب مراته عفية» كما تقول هى . يضاف الى ذلك أمر آخر على درجة من الأهمية فيما يتعلق بعمالة الأطفال : فالزوج يستهجن فكرة اشتغال الأطفال وقيامهم بأى عمل مأجور، ويرى أن ذلك انما يكون على حساب تعليمهم ومستقبلهم . ويدلل على ذلك بالمثل القائل : «صاحب بالين كداب» . فتعليم الأطفال «أمانة فى رقبة أهاليهم ..» . ولذا فان الزوجين لديهما اصرار شديد على تعليم أطفالهما حتى أعلى مراحل التعليم مهما كلفهما ذلك .

فالتعليم هو السبيل الى ضمان المستقبل الأفضل للأطفال كما يرى الأب والأم . أى أنه من وسائل تحقيق الحراك الاجتماعى الصاعد . وقد عبرت الاخبارية عن هذا المعنى خير تعبير عندما قالت فى سياق الحديث حول هذا الموضوع : «... ها نعمل أيه بقى ، مادام احنا ما فيش حيلتنا بيت ملك ، ولا حمارة شرك ، العيال مش هايورثوا من ورانا حاجة ، ومافيش حاجة هاتنفعهم للزمن الا العلام ...» . أى أن الاخبارية ترى فى تعليم الأطفال خير ضمان لمستقبلهم اذا كان الوالدان لا يملكان ثروة يتركانها من بعدهما.

الاخبارية تشارك فى اتخاذ القرارات المتصلة بحياتها الشخصية ، وكذا المتصلة بشئون الأسرة . وثمة اتصال جيد بينها وبين زوجها ، وخاصة فيما يتعلق بتنظيم الأسرة . انها هى صاحبة اقتراح تركيب اللولب . واستطاعت بذكاء (ومنطق) أن تقنع زوجها بضرورة ذلك ، فوافقها وبارك اقتراحها. ويبدو أنها متأثرة بحملات الدعاية والاعلام فى مجال تنظيم الأسرة ، فقد ذكرت أن مصادر معرفتها بهذا الموضوع متعددة ، منها الراديو،والتليفزيون (عند الجيران) ، والرائدة الريفية .

وليست هناك قيود على تحركات الاخبارية . فهى تذهب كثيرا الى المدينة ـ وخاصة يوم السوق ـ لشراء احتياجات المنزل ، ولوازم عملها فى التطريز ، فهى محل ثقة الزوج وموضع حبه واحترامه .

يتبقى القول بأن العلاقات التى تربط بين الاخبارية وبين «سلايفها» ، وكذا زوجة حماها ، هى علاقات طيبة ، فلا يوجد بينهن صراع أو منافسة على شىء . وعلى الرغم من الاستقلال المعيشى لأسرهن ، فانهن كثيرا ما يتبادلن المساعدة والتعاون فى أداء الأعمال المنزلية . وكثيرا ما تجمعهن جلسات وأحاديث ومسامرات تتميز بروح المرح والفكاهة ، وخاصة عندما يكون موضوع الفكاهة هو مداعبة الاخبارية«لسلفها»الطفلالرضيع«أحمد» ، أو مداعبة ابنتها «سامية» لعمها نفس الطفل .

يبدو أن جو الاطمئنان والثقة المتبادلة ومشاعر الحب التى تخيم على حياة هذه الأسرة وراء وجود اتصال جيد بين الزوجين.وقد ساعد ذلك على نجاحهما فى التوصل الى قرار أيجابى بشأن تنظيم الأسرة وهو قرار تركيب اللولب . فالاخبارية فى هذه الحالة تثق فى نوايا زوجها ، وتأمن جانبه ، ولا تتوقع منه اعراضا أو جفاء . ومن ثم لا يكون هناك داع «لتكتيفه» بالعيال والخلف .

★●★

### ٦ ـ الحالة السادسة ـ أسرة عبد الغفار عطية :

هى أسرة نووية ، كبيرة العدد نسبيا ، تقيم فى مسكن مستقل.تنتمى الى الطبقة الدنيا . انها أسرة : «عبد الغفار عطية» ، التى تتألف من الزوج والزوجة وستة أطفال ، كما يلى :

١ ــ عبد الغفار عطية : الزوج ، ٤٠ سنة ، أمى ، عربجى كارو ٠

٢ ــ محاسن عبد المنعم : الزوجة ، ٣٥ سنة ، أمية ، ربة بيت ٠

٣ ــ سعاد عبد الغفار : ابنة ، ١٤ سنة (١٩٦٩) ، متسربة من السنة الثالثة الابتدائية ، فى انتظار الطلب للزواج ٠

٤ ــ صبرى عبد الغفار : ابن ، ١٣ سنة (١٩٧٠) ، طالب بالسنة الأولى الاعدادية ٠

٥ ــ أمين عبد الغفار : ابن،١٢سنة (١٩٧١) ، تلميذ بالسنة السادسة الابتدائية ٠

٦ ــ رضا عبد الغفار : ابن ، ٩ سنوات (١٩٧٣)،تلميذ بالسنة الثالثة الابتدائية ٠

٧ ــ سعدية عبد الغفار : ابنة ، ٥ سنوات (١٩٧٨) ٠

٨ ــ أشرف عبد الغفار : ابن ، ٣ سنوات (١٩٨١) ٠

وجاء اختيارنا لهذه الأسرة بعد أن تبين من الزيارة الأولى لها انها تمثل مصدرا جيدا للمادة العلمية المتعلقة بعدد من الموضوعات الهامة المتصلة بالدراسة ، كالزواج المبكر ، والاثار المترتبة على تأخر حدوث الحمل أو الاشتباه فى عقم الزوجة ، والمنافسة بين السلايف فى الأسرة الممتدة والتسابق بينهن فى الانجاب ، ومقومات القوة والتأثير التى تتمتع بهما الزوجة ، والموقف من عمالة الزوجة والأطفال فى اطار مفهوم الذكورة من وجهة نظر الزوج ، ٠٠ الخ ٠

وقبل أن نبارح هذه الصفحة،فلنتامل مرة أخرى ترتيب تواريخ ميلاد الأطفال لنرى للوهلة الأولى أن الثلاثة الأول جاءوا فى ثلاث سنوات متعاقبة ٠ كما يلاحظ وجود فاصل زمنى مدته خمس سنوات بين الطفلين السادس والسابع ٠ غير أن هذا الفاصل قد تخلله حمل وولادة ووفاة لطفلة وضعتها الاخبارية فى عام ١٩٧٥ ، واستمرت الطفلة على قيد الحياة عامين ثم توفيت فى عام ١٩٧٧ ٠

كان والد الاخبارية بقالا صغيرا بالقرية،وكانت بعد فراغها من عمل

المنزل تذهب لمعاونته فى البيع • ولما كانت تتسم بالجمال ، أعجب بها الشاب عبد الغفار (زوجها الآن) ، وتحدث مع والده وشقيقه الأكبر فى أمر خطبتها له ، فأجاباه الى طلبه حيث كان عمرها فى ذلك الوقت اثنتا عشرة سنة • وبعد عام من الخطبة ، أى عندما بلغ سنها ثلاث عشرة سنة ، تم الزواج وانتقلت للاقامة فى بيت الزوجية ، حيث كان الزوج يقيم فى منزل والده وكان هذا المنزل يضم زوجة الأب ، اذ أن الوالد قد تزوج عقب وفاة زوجته الأولى • كما كان يضم الابن الأكبر ومعه زوجته وأطفاله الثلاثة •

منذ اللحظة الأولى،بدأت الخلافات تدب بين الاخبارية وبين سلفتها• ويبدو أن «الغيرة» كانت من بين أسباب هذه الخلافات•كانت السلفة تغار من الاخبارية التى تتفوق عليها كثيرا من الناحية الجمالية • ولم تحسن استقبالها والتعامل معها كعضو جديد فى الأسرة • وكانت الخلافات تزداد حدة بمرور الوقت ، وخاصة كلما تأخر حدوث الحمل للاخبارية • فقد ظلت ثلاث سنوات بعد الزواج حتى شهدت أول «دورة شهرية» • اذ انها عند الزواج لم تكن قد بلغت من النضج بعد مبلغ النساء المؤهلات للزواج وكانت صغيرة ولم تزل بعد طفلة •

كانت السلفة وزوجها (أى الأخ الأكبر للزوج) لا يكفان عن اذلال الاخبارية خلال هذه الفترة ومعايرتها بالعقم وعدم الصلاحية للحمل وانجاب الأطفال • فكثيرا ما كانا يتندران بها ويسخران منها بقولهما : «يا ناشفة ، يا مدكره ، يا ماددة ، ياللى عمر الخاف ما هايشق لك بطن، ياللى عمر ربنا ما هاينور لك بيت ، ياللى عمرك فى يوم ماها يكون لك ضنى ، ••• الخ» • وكان زوجها يطلب اليها ان تتذرع بالصبر ، وأن تتحمل مثل هذه الاهانات ، لأن «ربنا فرجه قريب ، ومطلع على كل شىء» • كما كان يبث فى نفسها الأمل قائلا لها : «اننى لسه عيلة صغيرة ، انت لسه بنت امبارح،بكره ربنا يكرمنا ، وتملى علينا الدار عيال، •••»•

كان الزوج فى ذلك الوقت يمارس تجارة الخضروات مع والده•وهى تجارة صغيرة لا يتجاوز راسمالها بضعة جنيهات • ولكنه أدرك ضرورة الجد فى البحث عن عمل آخر أكثر عائد ؛ فاشترى «عربة كارو» وحمارا

وأخذ يزاول العمل فى نقل البضائع والأمتعة بين القرية والمدينة.وكان هذا العمل استجابة للتغيرات التى كانت القرية قد بدأت تشهدها فى ذلك الوقت بعد انتشار المشروعات الجديدة ، والطلب المتزايد على وسائل النقل .

رأى الزوج وزوجته أن الخلاص من التعب والخلاف والمشاكل اليومية لن يتحقق الا بمغادرة البيت والانتقال الى مسكن آخر مستقل . وكان من المتيسر فى ذلك الوقت شراء قطعة أرض للبناء بسعر رخيص ، فاتفق الزوجان على شراء «نصف قيراط» وبناء مسكن خاص بهما عليه . كان **لديها «كردان» من الذهب سلمته اليه ليبيعه ويستعين بثمنه فى تحقيق هذا** الاتفاق . وتم ذلك بالفعل . وغادرا منزل الوالد والأخ الأكبر،وانتقلا الى منزلهما الجديد ليبدآ فيه حياتهما المستقلة .

ذات يوم ، أحست بآلام فى بطنها،ومغص شديد ، فلجأت الى جارة لها تطلب مساعدتها ، فهدأت الجارة من روعها وطمأنتها ، وأعدت لها بعض «المشاريب» (مثل قشر الرمان المغلى ، والنعناع) . ثم فى الشهر التالى تكرر نفس الأمر ، حيث وانتهاالدورة الشهرية . وعقب انتهاء أيام هذه الدورة الثانية حدث الحمل ، واكتمل ، وكانت ثمرته ميلاد الطفلة الأولى «سعاد» . ثم توالى الحمل بعد ذلك وتوالت الولادة . **وكانت لدى الاخبارية وزوجها رغبة شديدة فى انجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال بأسرع ما يمكن وفى أقل عدد من السنوات ، ردا لكرامتهما وتحديا للسلفة والأخ الأكبر** . سيما وأن السلفة وزوجها كانا فى ذلك الوقت لديهما ثلاثة أطفال . كانت الاخبارية تريد أن تثبت لهما أنها «تقدر تجيب بدل العيل عشر عيال» . وكان زوج الاخبارية يشاركها هذا الاحساس .

أخذت صحة الاخبارية تسوء نظرا لتكرار الحمل والولادة،كما أخذت مظاهر الجمال والأنوثة ـ التى كانت تتميز بهما ـ تتوارى ، وتظهر على وجهها علامات الارهاق الشديد والضعف البدنى . عندئذ صارحت زوجها برغبتها فى الاكتفاء بهذا العدد من الأطفال ، وكان هذا بعد ولادة الطفل الخامس(بعد الطفلة مها)أى بعد حمل وولادة تكررا ست مرات بما فى ذلك الطفلة المتوفاة . ورفض زوجها هذه الرغبة وطلب اليها عدم التدخل فى

مشيئة الله . ولكنها أخذت تتعاطى حبوب منع الحمل دون علمه . ولـكن هذه الحبوب أحدثت لها نزيفا ـ كما تقول ـ فامتنعت عن تعاطيها فترة ، ثم واصلت استخدامها مرة أخرى . ذات يوم نسيت أن تتعاطى الحبة ، وكانت نتيجة ذلك حدوث حمل جديد كانت ثمرته الطفل الأخير «أشرف».

أصرت اصرارا شديدا على منع الحمل بعد ذلك مهما كانت الظروف. مراعاة لصحتها وحتى تستطيع الوفاء بالتزاماتها كربة بيت ومسئولة عن رعاية وتربية «كوم عيـال» كمـا تقول . طلبت الى زوجها الموافقة على رغبتها فى اجراء **«عملية ربط الأنابيب والمبايض»** . ولكنـه رفض رفضـا قاطعا وقامت بينهما مشادة حامية . أصرت هى على موقفها . وذهبت الى الطبيب ، حيث أجرى لها تحليلا لعينة من الدم ، وقرر امكانيـة اجراء العملية ولكن بشرط الحصول على موافقة الزوج . تحايلت هى على الأمر، فطلبت الى ابنها الكبـير أن يكتب موافقـة (عن أباه) ، ثم غافلت الزوج وحصلت على بطاقته العائلية وذهب الى الطبيب وقدمت اليه اقرار الموافقة ومعه البطـاقة ، فأجرى لهـا عملية بالمستشفى العام . ظلت بالمستشفى تسعة عشر يوما . وعندما علم زوجهـا بذلك عقب اجراء العملية قرر الا يذهب الى المستشفى للاطمئنان عليها ، وظل على موقفه هذا حتى قبيل مغادرتها اياها بثلاثة أيام عندما أرسلت اليـه أولاده يستعطفونه من أجل الذهاب لرؤية أمهم «اللى بتموت ونفسها تشوفه قبل ما تمـوت» . ذهب الى المستشفى وعاقبها ، ثم اصطحبها الى المنزل . واشترى جهاز تليفزيون (بالتقسيط) لكى يضفى على البيت شيئا من البهجة .

الزوج يحب زوجته حبا شديدا ، ويغار عليها غيرة شديدة أيضا . وفى هذا الاطار أخذ يحدد مواقفه من بعض الموضوعات ، مثل خروجهـا من المنزل وقيامها بأنشطة خارجية . فهو يعارض خروج الزوجة من المنزل أو اشتغالها بأى عمل غير أداء واجباتها المنزلية . وحجته فى ذلك أن الزوجة التى تمارس عملا خارج المنزل يمكن أن تكون عرضة «للبهـدلة» . وعار فى حق زوجها أن يتركها «تتبهدل». فالرجل لا يكون رجلا و «ملو هدومه» الا اذا كان قادرا على «فتح بيته» و «صيانة حريمه». والزوج هو المسئول

والمكلف بالانفاق على أسرته ، ومهمة الزوجة هى القيـام بأعمـال المنزل وتربية الأطفال ورعايتهم ٠

ومن جهة أخرى ، فان طبيعة العمل الذى يؤديه الزوج ، وارتياده للطرق فى كثير من الأوقات ، ليلا ونهارا ، جعله يرى بعينى رأسه ـ كمـا يقول ـ كثير من مغامرات الشبان والفتيات،بل انه كثيرا ما كان يرى رجالا ونساء فى أوضاع فاضحة ٠ لذا فانه يردد دائما قوله :

«ربنا يستر على الولايا»(٥) ٠

ولعل الزوج حدد موقفه أيضا من تعليم البنات فىهذا الاطار ٠ فقـد جعل ابنته «سعاد» تنقطع عن المدرسة عندما وصلت الى الصف الثـالث الابتدائى وكان عمرها عندئذ عشر سنوات،تماما كما فعل الزوج فى الأسرة الرابعـة عنـدما منع ابنتهمن الذهابالى المدرسـة لما بلغت العـاشرة من عمرها ٠ فالزوج فى الأسرة التى بين أيدينا من أشد معارضى فكرة استمرار البنات فى مواصلة التعليم ، وذلك لأسباب تكاد تكون هى هى التى سبق ذكرها من قبل ، يضاف اليها هنا صيانة العرض والحفـاظ على الشرف ٠

وأما بالنسبة لتعليم الأبناء الذكور ، فان الأمر جد مختلف ٠ اذ يصل الأمر فى هذه الحالة الى أن يكون بمثابة «رسالة فى الحياة» تماما كما سبق أن عبرت الاخبارية فى الأسرة الخامسة ـ السـابقة ٠ ويتفق كل من الزوج والزوجة هنـا على ذلك ٠ حيث تلتقى رغبتهما ، بل أملهما فى أن يتنجب ابناؤهما المشاق والمعاناة التى يلاقيها أبوهم ٠ وتكفى نظـرة الى ترتيب الأبنـاء فى هذه الأسرة للتحقق من وجود اتسـاق بين هذه المواقف وبين الواقع الفعلى ٠ فالابن الأكبر «صبرى» منتظم بالمدرسة وملتحق بالصف الأول الاعدادى ٠ والابن الثانى «أمين» بالصف السادس الابتدائى ٠

واذا كان الزوج قد حدد مواقفه فى ضوء حبه لزوجته وغيرته عليهـا نظرا لجمالها ، فان الزوجة بدورها عرفت ـ بذكاء ـ كيف تفيد من ذلك فىامتلاك قدر لا بأس به من القوة والقدرة على المشاركة فى اتخاذ القررات٠ فعندما كان يدب بينها وبينه خلاف ، تترك منزل الزوجية وتعود الى منزل

والدها ، أى «تعملهـا غضبة» • وكان لا يطيق صـبرا على ذلك ويذهب لمصالحتها واسترضائها،فكانت تملى عليه شروطها،حيث الوقت والظروف انسب ما يكون ملاءمة فى مثل هذه المواقف •ومن عوامل القوة أيضا لدى الاخبارية ، مشاركتها بمالها فى عملية بناء المنزل • فهى تدرك قيمة هذه المشاركة وتعتبرها مسوغا لممارسة القوة •

الاخبارية هى التى تتولى مهمة وضع ميزانية الأسرة وتحديد بنود الانفاق وأولوياتها • والزوج يزكى رأيها ويتولى مهمة التنفيذ عندما يكون الأمر متعلقا بشراء أشياء ولوازم من البندر ، أو عرض أحد من الأطفـال على الطبيب ، •• وهكذا • وأما عن قدرتها على اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتها الشخصية ، فان اقدامها على اجراء العملية الجراحية يمثل اقصى درجة يمكن أن تصل اليها امرأة قروية فى هذا المجال • حيث أصرت على تنفيذ قرارها رغم المعارضة الشديدة من جانب الزوج •

وثمة وجه للشبه بين قوة الاخبارية هنا وقدرتها على التأثير ، وبين قوة الاخبـارية فى الأسرة الثالثة • ولكن مع وجود فارق بينهما من حيث مصادر القوة • فاخباريتنا هنا تستمد قوتها من ضعف الزوج أمام الجمال والحب والغيرة • أما الاخبارية فى الأسرة الثالثة فانها تستمد قوتهـا من التعليم والنضج الاجتماعى والعقلانية وارتفاع مستوى الوعى بوجه عام ، نظـرا لتأخرها النسبى فى الزواج ، بمعنى تفـادى الزواج المبـكر • وقد استطاعت كلتاهما أن توظف ما لديها من قوة فى اتخاذ قرار يتصل بتنظيم الأسرة ويمس حياتها الشخصية ، رغم المعارضـة الشديدة لذلك من جانب أطراف أخرى • فاخباريتنا هذه أجرت العملية الجراحية • والاخبارية فى الأسرة الثالثة تم لها تركيب اللولب • ولو شئنا أن نعقد مقارنة بين النساء اللائى يمتلكن قوة وتأثير ، لكى نقف على أبعاد هذه القوة ، ومصادرها ، ومظاهرها ، فانه يمكن التعبير عن ذلك على نحو ما يبدو فى الجدول رقم (٢) ـ التالى :

جدول رقم (٢)

ديناميات القوة والتأثير لدى المرأة فى عينة الدراسة بالقرية ( أ )

| رقم الأسرة | صاحبة القوة فى الأسرة | مصادر اكتساب القوة | مظاهر ممارسة القوة والتأثير |
|---|---|---|---|
| ٢ | الحماة | المشاركة فى العمل المنتج ( تجارة الطيور ) ، والمساهمة فى دخل الأسرة والسيطرة على الأبناء المتزوجين نتيجة لكفالة زوجاتهم وأطفالهم | التحكم فى الميزانية ، وتوجيه الأمور فى الأسرة ، والتدخل فى صياغة روتين الحياة بالنسبة لأسر الأبناء المتزوجين . |
| ٣ | الزوجة | التعليم ، والمشاركة فى العمل ، والمساهمة فى دخل الأسرة ، النضج الاجتماعى نظرا لتفادى الزواج المبكر. | التحكم فى الميزانية ، اتخاذ قرار تركيب اللولب ، المشاركة فى القرارات المختلفة . |
| ٤ | الزوجة | تحمل مسئولية العمل بالحقل نظرا لانشغال الزوج فى عمل آخر غير زراعى، ومساعدة الزوج عند التعيين فى الوظيفة. | المشاركة فى اتخاذ القرارات وتوجيه شئون الأسرة . |
| ٦ | الزوجة | الجمال والاستئثار بحب الزوج وغيرته، والمساهمة فى بناء المنزل . | توجيه ميزانية الأسرة، واتخاذ قرار العملية الجراحية ، والمشاركة فى القرارات المختلفة . |

★●★

٧ ـ الحالة السابعة ـ أسرة كرم محمد :

هى أسرة تنتمى الى الطبقة الدنيا، لا تملك سوى قوة عملها المأجور، وتتألف من سبعة أفراد كما يلى :

١ ـ كرم محمد : الزوج ، ٤٥ سنة ، أمى ، عامل بالأجر بالقرية .
٢ ـ كاميليا رجب : الزوجة ، ٤٢ سنة ، أمية ، ربة بيت .

٣ ـ وهيبة كرم : ابنة ، ١٩ سنة (١٩٦٤) ، أمية ، عاملة زراعية ، فى انتظار الطلب للزواج .

٤ ـ سيد كرم : ابن ، ١٨ سنة (١٩٦٥) ، طالب بالثانوية العامة الأزهرية .

٥ ـ على كرم : ابن ، ٣ سنوات (١٩٨٠) .

٦ ـ نور سليمان : أم الزوج (الحماة) ، ٦٥ سنة ، أمية .

٧ ـ هند محمد : أخت الزوج ، ٢٥ سننة ، أمية ، فى انتظار الطلب للزواج .

بالاضافة الى ابنة متزوجة تقيم مع زوجها فى القرية ، هى زينب كرم (٢٢ سنة) ، ربة بيت ، كانت قبل زواجها تمارس العمل أيضا بأجر حتى تساعد نفسها فى تجهيز لوازم العرس دون اثقال على الأسرة التى لا تستطيع أن تقدم لها يد العون فى هذه المناسبة .

تقيم هذه الأسرة فى منزل صغير مبنى بالطوب اللبن، مملوك للزوج، ومكون من ثلاث غرف ، به كهرباء ، ولا توجد به مياه .

منذ سبعة وعشرين عاما بدأت الحياة الزوجية بين الزوج والزوجة . وكان الزوج حينذاك مجندا بالقوات المسلحة . وكانت الزوجة ابنة أسرة مجاورة ، وكثيرا ما كان يشاهدها بحكم الجيرة . وفاتح والدته فى أمر خطبتها فوافقت ولم ترفض له طلبا حيث وجدت فى ابنة الجيران هذه عروسا ملائمة ولا غبار عليها . وتم الزواج وكان عمرها خمسة عشر عاما .

بعد أربع سنوات من الزواج حملت الزوجة فى ابنتها «وهيبة» ، وجاءت هذه الطفلة ، وأكملت فترة رضاعة طبيعية لمدة عامين . ثم توالى بعد ذلك تكرار مرات الحمل فى أعوام متتالية . فجاءت الابنة الثانية فى عام ١٩٦٤ ، ثم بعدها فى العام التالى مباشرة جاء الابن «سيد» فى عام ١٩٦٥ . ثم أعقب ذلك ثلاث مرات اجهاض ، ووفاة طفلة بعد ولادتها بأسبوع . وأخيرا جاء الابن الأخير «على» فى عام ١٩٨٠ .

شهدت الاخبارية تجارب مريرة مع المرض والألم نظرا لتكرار حالات الاجهاض والنزيف ٠ وساءت صحتها بدرجة ملحوظة ٠ وكثيرا ما حاولت استخدام حبوب منع الحمل،تجنبا لمزيد من التدهور ٠ ولكن حماتها كانت تمنعها بشدة وتطلب اليها ترك نفسها للحمل حتى يأتى أخ لابنها «سيد» ٠ وكانت الحماة صارمة فى ذلك نظرا لأنها انجبت أبناء ذكورا ولكنهم توفوا ولم يتبق منهم الآن سوى كرم (زوج الاخبارية)٠وهنا يلاحظ وجه شبه بين موقف الحماة وبين الموقف الذى اتخذته الحماة أيضا بالنسبة لزوجة الابن فى الأسرة الثالثة ٠ حيث كانت الحماة فى هذه الأسرة تلفت نظر زوجة الابن الى فكرة الموت ، وتحاول ابعادها عن الأخذ بتنظيم الأسرة ، حتى تنجب مزيدا من الأطفال تحسبا للموت فى المستقبل ٠

لم تعد الاخبارية فى الوقت الحاضر قادرة على الحمل والانجاب ٠ فقد انقطع الحمل بصورة طبيعية نظرا لاعتبارات السن من جهة ، وتدهور حالتها الصحية من جهة أخرى ٠

يبلغ متوسط الدخل الشهرى للأسرة حوالى ثمانين جنيها ، هو عائد عمل الزوج والابنة الكبرى لقاء أجور يومية بمزارع القرية ٠ وكان الزوج فيما مضى يمارس العمل الزراعى المأجور ، ولكنه تحولّ عنه الى العمل بمزارع الدواجن عندما أخذت هذه المزارع فى الانتشار خلال السنوات القليلة الماضية ٠

يلاحظ أن مشاركة الأطفال واردة هنا ، حيث المستوى الطبقى منخفض ، وحيث تعتمد الأسرة على قوة عملها المأجور فقط ٠ غير أن المشاركة فى العمل هنا تتمثل فى مساهمة البنات ٠ اذ كانت الابنة المتزوجة تمارس نفس هذا العمل منذطفولتها وحتى زواجها ٠ ثم حلت الابنة الثانية محلها ، ولاتزال تمارس العمل فى الوقت الحاضر ٠ ويبرر الزوج والزوجة نزول البنات الى سوق العمل المأجور بأن البنات ـ فى رأيهما ـ مشروع خاسر بالنسبة للأهل٠اذ تظل البنت تاخذ وتأخذ «والأهل يربوا،ويكبروا، ويحملوا الهم ، وآخرة المواخر يجى واحد ياخدها على الجاهز ، وكانك يابوزيد ما غزيت» ٠ فالبنات اذن طبقا لهذه النظرة يعتبرن عالة على

الأهل ، ومصدر خسارة لهم • وعلى ذلك،يتبع الأهل فى مثل هذه الأحوال فلسفة خاصة ترمى الى تغيير الصورة تغييرا جذريا • وذلك بتحويل البنات الى قوة عاملة منتجة تمثل عنصر اضافة وليس عنصر سلب•حتى اذا قاربت البنت على الزواج ، كان باستطاعتها الاعتماد على نفسها فى تدبير لوازمها واحتياجاتها عندما يحين يوم زواجها ، دون أن ترهق الأهل وتحملهم فوق طاقتهم • وهذا هو ما حدث فعلا بالنسبة للابنة الكبرى «زينب» ثم تبعتها اختها «وهيبة» كما ذكرنا •

أما بالنسبة للأولاد فان الأمر يختلف • حيث يمكن للابن أن يظل فى منزل الأسرة ، وأن يمثل امتدادا للعائلة فى خط الآب•ومن ثم فانه لا يكون عنصر سلب وخسارة بقدر ما يكون عنصرا للاضافة والأمان فى المستقبل • اذ أن الأبناء فى كثير من الأحيان يعتبروا ــ من وجهة نظر الوالدين ــ مصدر أمن فى الكبر والشيخوخة • وعلى هذا الأساس تكون نظرة الأهل للأبناء على أنهم مشروع استثمارى • بمعنى أن العطاء الذى يتلقاه الأبناء من والديهم طوال مشوار تربيتهم واعدادهم لمواجهة الحياة ، يمكن أن يسترد الى الوالدين مرة أخرى فى حالة الكبر والشيخوخة •• وهكذا •

واذا نظرنا الى بيانات هذه الأسرة ، كما هى موضحة من قبل ، نجد أن هناك نوعا من الاتساق بين هذه النظرة وبين الواقع الفعلى • ففى الوقت الذى تحرم فيه البنات فى هذه الأسرة من التعليم ، نجد أن الابن «سيد» ماض فى تكملة مشواره التعليمى بجد واجتهاد تدعمه الأسرة بكل قوتها وامكاناتها المحدودة •

لم تمارس الاخبارية عملا خارج المنزل نظرا لاضطراب صحتها فى معظم الأحيان بسبب ظروف الحمل والولادة أو الاجهاض • وفيما عدا ذلك لا توجد هناك اعتبارات أخرى وراء عدم خروجها للعمل •

وأما عن القوة والمشاركة فى اتخاذ القرارات ، فان الاخبارية تمتلك قدرا منها • ويبدو ذلك فى تحديدها لبنود الميزانية ، وأولويات الانفاق ، وتحديد أوجه الانفاق فى الظروف العادية وفى المناسبات والمواسم المختلفة• والزوج لا يخامره شك فى مقدرتها على القيام بهذه المهمة خير قيام • وهو

يطرح فيها ثقته ، ويكن لها حبا وتقديرا • ويبدو أنها استطاعت على مر الأيام أن تزيد من هذا الرصيد لدى زوجها وحماتها • فالعلاقة بينها وبين حماتها وشقيقة زوجها على أحسن ما يرام • ولم تبدر منها فى يوم من الأيام – كما تشهد بذلك الحماة – بادرة للخلاف أو اثارة المشكلات • بل على العكس ، كانت تسلك دائما حيال الحماة وشقيقة الزوج باحترام ومودة • ومن ثم ، فانها كانت دائما محلا للثقة والاحترام • ولعل ذلك أن يلفت انظارنا الى أن القوة والقدرة على التأثير يمكن أن تستمدا من طبيعة التفاعل الاجتماعى ، والاحترام الذى يتميز به المرء فى أعين الآخرين •

*•*

٨ – الحالة الثامنة – أسرة عبد السلام شديد :

هى أسرة نووية فقيرة ، تتالف من سبعة أفراد ، كما يلى :

١ – عبد السلام شديد : الزوج ، ٥٠ سنة ، عامل زراعى ، أمى •

٢ – رقية مخلوف : الزوجة ، ٣٧ سنة ، بائعة خضروات (تجارة صغيرة) ، أمية •

٣ – عليه عبد السلام : ابنة ، ١٣ سنة (١٩٧٠) ، خادمة فى منزل أسرة غنية بالقرية ، أمية •

٤ – ناهد عبد السلام : ابنة ، ١١ سنة (١٩٧٢) ، أمية •

٥ – مصطفى عبد السلام : ابن ، ٩ سنوات (١٩٧٤) ، ثالثة ابتدائى •

٦ – محروس عبد السلام : ابن ، ٧ سنوات (١٩٧٦) ، أولى ابتدائى •

٧ – نعمة عبد السلام : ابنة ، ٤ سنوات (١٩٧٩) •

وهناك ابنة كبرى متزوجة حديثا ومقيمة مع زوجها فى قرية مجاورة ، وهى الابنة «عائشة» (١٥ سنة) ١٩٦٨ ، أمية ، كانت تعمل حتى وقت زواجها فى خدمة أسرة غنية بالقرية •

تقيم الأسرة فى مسكن متواضع مكون من غرفتين صغيرتين من الطوب اللبن ، ومزود بالكهرباء ، به مرحاض ، ولا توجد به مياه • تنام الأسرة بجميع أفرادها فى حجرة واحدة • أما الحجرة الأخرى فانها «حجرة الفرن» وتستخدم كمخزن للمهملات •

ينتمى كل من الزوج والزوجة الى أسرتين فقيرتين . ويبدو ان عامل الفقر الذى يميز أسرتيهما كان سببا وراء زواجهما . فعندما تقدم الزوج لخطبتها فى بداية الأمر ، قوبل بالترحاب ، حيث لم تكن أسرتها تتوقع ان يتقدم اليها من هو أفضل منه . وكان عمره عند الزواج ضعف عمرها . فقد كان فى الثلاثين ، بينما كانت هى فى الخامسة عشرة .

أنجب الزوجان ستة أطفال خلال خمسة عشر عاما . وشاءت الزوجة أن تكتفى بهذا العدد ، ولكنها لا تريد استخدام وسيلة من وسائل منع الحمل . فهى تعتقد أن هناك أضرارا صحية تلحق بالمرأة بسبب استخدام هذه الوسائل ، كالضعف ، والنزيف، .. الخ . وعلى ذلك اختارت وسيلة حاسمة وفعالة ومضمونة فى رأيها ، وهى الامتناع كلية عن الاتصال الجنسى بالزوج .

وهنا قد يثار تساؤل حول مقدرة الزوجة على اتخاذ مثل هذا القرار ، سيما وأنه يمس فى الوقت نفسه حقا شرعيا من حقوق الزوج . ربما تتضح الاجابة على هذا التساؤل لو علمنا أن الزوج لا يتمتع بأى نفوذ أو قوة تخول له صلاحيات القبول أو الرفض فى موقف من المواقف ، حتى ولو كان الأمر يتعلق به هو نفسه شخصيا . اذ المشهود عنه فى القرية أنه «عبيط» أو ابله . ومن ثم فان «رب الأسرة» المتصرف فى شئونها ، والذى يملك وحده صلاحيات اتخاذ القرار فى كافة الأمور ، هى الزوجة . ويتجلى ضعف الزوج وعدم أهليته للمشاركة فى توجيه الأمور حتى على مستوى الأسرة ، أنه لم يكن الطرف الذى تقدم اليه أهل زوج ابنته الكبرى ليطلبوا يدها منه ، بل انهم توجهوا لخطبتها من خالها مباشرة . فالخال – أى شقيق الاخبارية – هو رجل الأسرة وولى أمرها ، عندما لا يكون هناك بدا من تدخل الرجال فى أمر من الأمور .

تمارس الزوجة نشاطا اقتصاديا يدخل فى دائرة التجارة الصغيرة ، وهو بيع الخضروات على نطاق محدود ومتواضع حيث رأس المال لايتعدى بضعة جنيهات . وبقدر جسامة المسئولية التى تتحملها فانها تبذل جهودا مضنية فى كل يوم منذ لحظة الاستيقاظ من النوم فى الساعة الخامسة صباحا ،

وحتى لحظة الايواء الى الفراش فى العاشرة مساء . ويكفى لتوضيح ذلك، القول بان الجهد الذى تبذله خلال هذه الفترة يتوزع على عدد من الأدوار والأنشطة التى تؤديها . منها ما يتصل بشئون الأطفال من حيث اعداد طعامهم ، وتجهيزهم للذهاب الى المدرسة . ومنها ما يتصل بتجارتها ، حيث تجهز أدوات العمل بما فيها (الفرش) ، والسفر الى البندر فى وقت مبكر (فى السابعة صباحا) لاحضار «شروة خضار» من «الوكالة»..وهكذا.

أما الزوج ، فانه يمارس العمل الزراعى المأجور . وفى أحيان كثيرة لا يطلب الى العمل فيبقى قاعدا طول اليوم دون عمل.فعمله غير منتظم، وان كان يمثل مصدرا من مصادر دخل الأسرة على أية حال .

وأما عن الابنة «علية» ، فانها تعمل بالخدمة فى منزل أسرة غنية لقاء أجر معلوم تتقاضاه الأم تارة كل شهر ، وتارة أخرى فى المواسم . وكانت الابنة الكبرى حتى وقت زواجها تمارس العمل فى نفس المنزل . وتذكر الاخبارية بالامتنان فضل هذه الأسرة عليها ، وكيف أنها ساهمت بنصيب كبير فى تجهيز «عائشة» ـ أى الابنة الكبرى للاخبارية ـ أثناء زواجها . فكبير الأسرة مخدومها «جاب لها قطن التنجيد ، وجاب لها كسوة ، وجاب لها رفايع تانية ..» كما تقول الاخبارية . فاشتغال الابنة الثانية لدى نفس الأسرة انما يعتبر وسيلة من وسائل تامين المستقبل بالنسبة للبنت نفسها من جهة ، ولأسرتها من جهة أخرى .

هناك اذن ثلاثة مصادر للدخل تعتمد عليها الأسرة . هى الزوجة ، والزوج ، والابنة.يتراوح متوسط الدخل الشهرى من هذه المصادر مجتمعة بين خمسين وستين جنيها .

تبدو فى هذه الأسرة أيضا عمالة الأطفال الاناث دون الذكور . غير أن الاخبارية تعلل عدم مشاركة ولديها فى العمل بانهما مازالا صغيرين ، وأنهما سيساهمان فى العمل عندما يشتد عودهما بعض الشىء . وهنا تبدو الاخبارية متسقة مع نفسها عندما تقرر أن تدفع بهما الى سوق العمل عندما تحين الفرصة . لأن كل فرد فى الأسرة يجب عليه أن يسعى قدر استطاعته من أجل توفير «لقمة العيش» «اللى بياكلها» . والمثل بيقول «ايد على ايد

تكثر وتزيد ، والقفة أم ودنين يشيلوها اتنين» . وعندما «ياتى عدل» الابنة عليه وتتزوج وتترك الخدمة فى بيت مخدومها فسوف تحل محلها أختها الصغرى «ناهد» ، .. وهكذا .

ويبدو أن الاخبارية قد بلورت هذا الاتجاه بعد شعورها بالتعب والاجهاد الذى يتجدد كل يوم . ويتضح ذلك فى قولها :

«اللى ما يشوفش من الغربال يبقى أعمى» . وفى الوقت الذى تحرص فيه الاخبارية على تعليم ابنيها ، فانها تتوقع منهما أن يزاوجا بين التعليم والعمل . فكما أن البنات «بيشتغلوا ، وبيشقوا ،وبيتكفلوا بنفسهم ساعة الجواز» ، ينبغى على الولدين أن يشاركا بدورهما أيضا فى تخفيف العبء عن كاهل الأم ، «ولو حتى يجيبوا مصاريفهم» .

يلاحظ هنا أمر هام يتعلق بطبيعة العلاقة بين عمالة الأطفال والاعتماد عليهم كمصدر للدخل من جهة ، والحرص على تعليمهم من جهة أخرى ، وذلك بالنسبة لأسرة فقيرة تجمع قوتها ورزقها يوما بيوم . ان اشتراك الأطفال فى قوة العمل المأجور يحقق اشباعا أساسيا وعاجلا يتصل ببقاء الأسرة ، ومن ثم تكون له الأولوية على التعليم الذى يحقق اشباعا آجلا . ولعل ذلك أن يلقى ضوءا على أهمية الاعتماد على الأطفال كمصدر للدخل فى أسر الطبقة الدنيا .

الاخبارية تؤيد فكرة تنظيم الأسرة كما ذكرنا ، وتسلك فى الواقع مسلكا يتناسب مع هذا الاتجاه بطريقة خاصة،وتقرر أنها قد اكتسبت مزيدا من المعارف المتصلة بتنظيم الأسرة،ووسائل منع الحمل عن طريق الجيران، والرائدة الريفية ، والراديو ، والتليفزيون .

★●★

٩ ـ الحالة التاسعة ـ أسرة أحمد طاهر :

هى أسرة نووية ، فقيرة جدا ، تعتمد أيضا على قوة عملها المأجور غير المنتظم ، تقيم فى حجرة واحدة خالية تماما من الأثاث سوى حصيرة بالية ينام عليها جميع أفراد الأسرة ، وهم سبعة ، بياناتهم كما يلى :

١ ــ طاهر معروف : الزوج ، ٤٦ سنة ، عامل زراعى ، أمى •

٢ ــ جميلة فهمى : الزوجة ، ٣٦ سنة ، تخدم بمنازل القرية ،أمية ، سبق لها الزواج ، عندما كانت فى الرابعة عشرة ، أنجبت من زوجها الأول طفلة ، ثم انفصلت بالطلاق •

٣ ــ أحمد طاهر : ابن ، ١٣ سنة (١٩٧٠) ، سادسة ابتدائى •

٤ ــ نادية طاهر : ابنة ، ١٢ سنة (١٩٧١) ، لا تعمل ، أمية •

٥ ــ جمعه طاهر : ابن ، ٥ سنوات (١٩٧٨) •

٦ ــ فتوح طاهر : ابن ، ٣ سنوات (١٩٨٠) •

٧ ــ عمر طاهر : ابن ، سنة واحدة (١٩٨٢) •

ولو استعرضنا التاريخ التناسلى لهذه الاخبارية ، لوجدنا أنها قد مرت بتجارب وفيات أطفال ، واجهاض • فقد توفيت لها فى عام ١٩٧٢ طفلة • ثم توفيت نها فى عام ١٩٧٣ طفلة أخرى • وفى عام ١٩٧٥ حدثت لها حالة اجهاض بسبب الارهاق الشديد أثناء العمل (كانت مدة الحمل أربعة أشهر) •ثم تكرر نفس الأمر أيضا فى عام ١٩٧٧ حيث حدثت لها حالة اجهاض (كانت مدة الحمل ستة أشهر) من جراء الارهاق فى العمل أيضا •

الاخبارية من قرية مجاورة • تزوجت بابن خالها عندما كانت فى الرابعة عشرة من عمرها • ولكنها ذاقت الهوان والذل على يد والدته التى كانت لا تكف عن ضربها وايذاء مشاعرها باقذع الألفاظ • قضت ثمانى سنوات على هذا الحال ، أنجبت فيها طفلة ،هى الآن متزوجة وأم لطفلين • وبعد مرور هذه السنوات استحالت الحياة الزوجية فانتهى الأمر بالطلاق بناء على تصميم والدها • مكثت فترة فى بيت والدها ، تحيا حياة المطلقة التى تحوطها المشاعر المختلطة من جانب الآخرين فى القرية • فالنظرة الى المطلقة ــ وخاصة فى سن الشباب ــ تتراوح بين الشك فى المسلك الشخصى تارة ، والاشفاق والتعاطف تارة أخرى ، وهكذا • ويبدو أن والدها كان مدركا لحساسية هذا الوضع فوافق على تزويجها لأول شخص تقدملطلبها ، وكان زوجها الحالى • وافق والدها عليه رغم فقره الشديد • وكانت هى رافضة له ولكن والدها أصر على رأيه فما كان منها الا القبول والاذعان •

انتقلت الى بيت الزوجية ، وراعها ما رأته فيه من فقر،خاصة وانها عند طلاقها تركت أثاثها ومنقولاتها ولم تحصل على أى حق من حقوق المطلقة . بدأت الخلافات بينها وبين زوجها (الجديد) . وكثيرا ما كانت تعود الى منزل والدها تشكو حالها ، فيذهب الزوج وراءها لكى يصالحها ويسترضيها فتعود معه الى منزل الزوجية . ولما تكرر منها هذا المسلك ، شاء والدها أن يضع حدا لذلك ، فنهرها وعنفها بقسوة قائلا لها :

«... حطى فى دماغك بقى من دلوقت ان ده جوزك ، وبيته هو بيتك . لو كان شحات لازم تشحتى معاه،ولو كان مليونير هاتكونى معاه. من دلوقت ماعادش لك بيت غير بيت جوزك.وبيتى ده مايلزمكيش...».

وكانت هى المرة الأخيرة التى تذهب غاضبة فيها الى بيت أبيها .

ومنذ هذه اللحظة بدأت قصة كفاح :أدركت أن عمل زوجها لا يكفى كمصدر للدخل والانفاق على الأسرة ، فقررت أن تنزل بنفسها الى ميدان العمل لتمارس أى عمل ، ولو كان الخدمة فى البيوت . ونفذت قرارها ، ولاتزال . فى بداية الأمر مرض زوجها مرضا شديدا أقعده عن العمل فترة من الوقت ، فشجعها ذلك على الخروج للعمل . خاصة وأنها كانت حريصة على متابعة تغطية تكاليف علاجه ، بعد أن باعت من أجل ذلك قرطا ذهبيا كانت تملكه ، ولكن ثمنه لم يكف ، فبدأت العمل .

تركت نفسها للحمل والولادة المتكررة ، فى الوقت الذى تؤدى فيه عملا صعبا مرهقا.وكانت طبيعة هذا العمل الشاق تؤثر على حالتها الصحية تاثيرا سيئا الى حد بعيد ، حيث تكرر حدوث الاجهاض . بل ان الأمر كان يصل الى الأطفال حديثى الولادة ، حيث يؤدى الى اصابتهم بالمرض والوفاة نظرا لنقص الرعاية التى تقدمها اليهم (الأم) بسبب انشغالها بالعمل المرهق . والملاحظ أن الحالة الصحية للاخبارية وزوجها وأطفالها فى الوقت الحاضر تبدو على درجة من السوء.فبالاضافة الى تكرار الحمل والولادة أو الاجهاض ، والعمل الشاق المرهق ، نجد أن سوء التغذية يعتبر أيضا من عوامل تردى الحالة الصحية للاخبارية . ويعتبر سوء التغذية كذلك وراء الضعف العام الذى يتميز به الأطفال فى الأسرة . ومما يزيد من

تفاقم المشكلة، أن الأسرة لا تحصل على الرعاية الصحية والعلاجية اللازمة، نظرا لضيق ذات اليد. ويحدث فى أحيان كثيرة أن تتخذ الاخبارية أو أفراد الأسرة موقفا سلبيا فى مواجهة المرض ، حيث يتركون المرض بلا علاج ، أملا فى الشفاء التلقائى .

تعتمد الأسرة اذن على عمالة الزوج والزوجة كمصدر للدخل . غير ان الابن «أحمد» سينضم هو الآخر اليهما ليشارك فى العمل المأجور خلال فترات أجازته الدراسية . فقد اتفق جميع الأطراف على ذلك. وسيبدأ أحمد فى مزاولة العمل هذا العام . أما الابنة «نادية» ، فانها تزاول أعمال المنزل فى غياب الأم ولولا أن هناك أطفالا صغارا يحتاجون لمن يبقى معهم ، لخرجت هى الأخرى الى ميدان العمل . هكذا توضح الاخبارية .

وعلى الرغم من تدهور صحة الاخبارية ، وحجم أسرتها الكبير ، وتجاربها المؤلمة مع وفيات الأطفال ، والاجهاض ، فانها لا تتخذ موقفا مؤيدا لتنظيم الأسرة . بمعنى أنها لا تمارس أية وسيلة لمنع الحمل . ويبدو أن الأمر على هذا النحو له دلالات نفسية معينة . بمعنى أن الاخبارية ربما ترى فى الحمل والولادة وما يحيط بهما من مشاعر وأحاسيس ، أسلوبا من أساليب الهروب (اللاشعورى) من دوامة العمل الشاق ومعاناة الحياة اليومية . فهى بالتأكيد لابد أن تنقطع عن العمل ولو لأيام معدودات خلال فترة الوضع . ومن جهة أخرى ، فانها تكون موضع عطف واشفاق وتسامح من جانب الآخرين خلال شهور الحمل الأخيرة. خاصة عندما تكون منغمسة فى عمل شاق ، بينما «بطنها أدامها» . يضاف الى ذلك أن حجم الأسرة الكبير فى محيط الفقراء قد يحقق اشباعا نفسيا من زاوية أخرى عندما يفاخر الأب الفقير ويباهى بانه يعول أسرة كبيرة. وقد عبر ستايكوس Stycos عن هذا المعنى بقوله :

تقدم الأسرة الكبيرة عونا للرجل بطرق شتى . فالرجل فى الطبقة الدنيا يعدم وسيلة يستطيع بها أن يحقق منزلة اجتماعية فى المجتمع المحلى . اذ ليس لديه رأس مال اقتصادى أو تعليمى يمكنه من تحسين أحواله . وازاء الاحباط الشديد الذى يواجهه من الناحية الاقتصادية من

حيث وسائل الحصول على الطعام والقوت،لا يجد أمامه سبيلا الا الانجاب، حيث يصبح الأطفال هنا مطلبا هاما لتلبية هذه الغاية والحفاظ على بقاء الأسرة . أن القول الشعبى بأن «الأطفال هم رأس مال الفقير» قد لا يعكس الى حد بعيد حقيقة اقتصادية ، ولكنه قد يعكس وظيفة الأطفال فى تأمين الحاجة الى الاستهلاك . فكثير من الرجال عندما يقولون بأن حجم الأسرة الكبير يعطى الرجل منزلة ، فان المنزلة هنا تعنى القدرة على اطعام وامداد هذه الأسرة الكبيرة ، أكثر مما تعنى القدرة على انجابها»(٦) . لذا ، فان الرجل بالرغم من مكانته الدنيا وعدم مقدرته على تحسين حياته ، يستطيع أن يثبت أنه رجل حقيقى بعد كل ذلك ، باظهار قدرته على دعم أسرة كبيرة .

الأخبازية تشارك فى اتخاذ القرارات المتصلة بالأسرة ، وخاصة فيما يتصل بالميزانية (الضعيفة) وأولويات الانفاق،وشئون الأطفال و .. الخ . وتستمد هذه القدرة على المشاركة من تحملها لجانب كبير من المسئولية فيما يتعلق بدعم الأسرة وتامينها من الناحية الاقتصادية والمعيشية .

## الحواشى والمراجع

(١) حاولت أن أحقق هذا المثل بالرجوع الى : أحمد تيمور باشا ، الأمثال العامية ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، القاهرة ، ط (٣)، ١٩٧٠ ، ولكنى لم أجده .

(٢) اقرأ مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى :

Constantina Safilos - Rothschild; "Femal Power, Autonomy and Demographic Change", in : Richard Anker, et al, (eds.); **Women's Roles and Population Trends in the Third World**; ILO, Croom Helm, London, 1982, pp. 117-131.

(٣) من المعروف أن المرأة القروية الفلاحة التى تمارس عمل الحقل فى أرض الأسرة ، تبذل فى حقيقة الأمر جهودا مضاعفة ، وخاصة اذا كانت الأسرة تقتنى مواشى وحيوانات للحقل . فأداء العمل المنزلى يعتبر فى كثير من الأحيان امتدادا لعمل الحقل . ومن الأنشطة المنزلية التى ينطبق عليها ذلك ، مثلا ، حلب اللبن واستخراج مشتقاته ، تنظيف حظيرة المواشى ، عمل «الجلة» ، رعاية الماشية والطيور ، .. الخ . وهذا كله بالاضافة الى مهام ربة البيت العادية ، بما فيها من خبيز ، وطهى ، وكنس ، وغسيل ملابس وأوانى ، وجلب مياه ، .. الخ . الى جانب تربية الأطفال ورعايتهم ، وتلبية احتياجات الزوج .

(٤) يمكن الرجوع الى مزيد من التفاصيل حول هذه النقطة فى :

حسن أحمد الخولى ، **الآثار الاجتماعية للخدمة العسكرية على ثقافة الفلاحين المصريين** ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، اشراف الدكتور محمد الجوهرى ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

(٥) دلت شهادات بعض الاخباريين على أن التحول الاقتصادى الذى شهدته القرية خلال العقد الأخير ، قد أدى الى ظهور سيولة نقدية فى أيدى كثير من الشبان . وقد شجع هذا على ظهور أشكال من الانحراف .

(٦) J. Mayoune Stycos; **Family and Fertility in Puerto Rico. A Study of The Lower Income Group**, Columbia University Press, N. Y., 1955, p. 177.

# الفصل الرابع

## وحدة المعيشة كحالة للدراسة المتعمقة فى اطار خصوصية المجتمع المحلى

## ٢ ـ نماذج من احدى قرى الصعيد

**مقـــــــدمة :**

اخترنا ست أسر للدراسة المتعمقة فى قرية « ب » فى محاولة للوقوف على ديناميات السلوك الانجابى والموقف من تنظيم الأسرة • وجاء هذا الاختيار فى ضوء بعض المحكات ، منها :

١ ــ الوضع الطبقى •

٢ ــ التعليم •

٣ ــ عدد مرات الزواج •

٤ ــ عمالة المرأة وعمالة الأطفال •

٥ ــ نمط الأسرة (ممتدة/نووية) •

٦ ــ الهجرة الخارجية المؤقتة •

وقد استبعدنا بعض المحكات نظرا لعدم قدرتها على التميز الدال ، من ذلك مثلا ، ما يتصل بقوة المرأة وقدرتها على المشاركة فى اتخاذ القرارات • ذلك أن المجتمع المحلى فى هذه القرية هو مجتمع الرجال • فالرجال يتمتعون بالسيادة والسيطرة ، بينما تتسم النساء بالتبعية والخضوع والامتثال لقرارات الرجال وارادتهم • وفى هذا الاطار الاجتماعى الثقافى الذى يبوىء الذكور مكان الصدارة ، ويخلع عليهم كل مقومات التفوق والشرعية ، يلاحظ أن هناك تجسيدا لسمات الثقافة التقليدية • حيث تبدو سطوة عناصر التراث ، وغلبة العامل الدينى ، والقدرية ، وتدنى التعليم وتفشى الأمية ، وتخلف أساليب العمل الزراعى حيث يميل الى انتاج محاصيل الاعاشة والاعتماد على جهود الانسان والحيوان ، فضلا عن الزواج المبكر ، والزواج المتعدد ، ٠٠ الخ • وقد أفرز هذا الواقع الاجتماعى الثقافى مناخا لا يستجيب لفكرة تنظيم الأسرة ، بل يستهجنها ويرفضها شكلا وموضوعا • ومن ثم فقد استبعدنا الموقف من تنظيم الأسرة كمحك من

بين محكات الاختبار ٠ حيث لا تكاد توجد استراتيجية لفكرة التنظيم ٠ وعلى ذلك فان جميع الأسر التى سنتحدث عنها فى الصفحات التالية هى أسر غير مستجيبة ٠ بل أن منها ما يمثل خصما لدودا لفكرة التنظيم ٠ فقد شهدت بعض هذه الأسر تجارب مؤلمة وقاسية مع الموت ووفيات الأطفال ٠ ولايزال بعض شخوص هذه التجارب المعاشة أحياء يرزقون حتى الآن،وهم الجيل الكبير من الآباء والأمهات (الحموات) الذين يشكلون فىحقيقة الأمر عقبة كبرى فى سبيل جهود تنظيم الأسرة ٠ خاصة وأن نمط الأسرة الممتدة يشكل ما يقرب من ٧٥٪ من أسر القرية ٠ وفى ظل الأسرة الممتدة يلاحظ مدى خطورة الدور الذى يلعبه هذا الجيل الكبير فيما يتعلق بأقدار ومصائر الأجيال الصغيرة ٠ فالأخيرون يقعون تحت أشد الضغوط وأقواها وطأة ، حتى أنهم لا يجدون من ذلك فكاكا ، مهما بلغ مستواهم التعليمى أو الاقتصادى ٠ اذ انهم يكونون وسيلة لتحقيق رغبات الوالدين فى كثرة الانجاب ، وتعويضهم عما حرموا منه بفعل الموت ٠

ومن جهة أخرى،فقد لاحظنا أن ظاهرة تعدد الزوجات تبدو واضحة فى القرية ٠ حتى انها تمثل حوالى ٤٠٪ من الأسر ٠ وثمة عوامل اجتماعية وثقافية وراء هذه الظاهرة ٠ منها ما يتصل «بالزواج المفروض» حيث يفرض على الشباب أن يتزوج بفتاة معينة يختارها له والده من داخل الوحدة القرابية عادة ٠ ثم بعد عدة سنوات ، وعندما يحقق هذا الشاب درجة من الاستقلال الاقتصادى ، لا يلبث أن يقدم على الزواج مرة ثانية «زواجا ارلديا أو اختياريا» يكون هو صاحب الارادة فيه دون ضغوط من جانب الآخرين-وليست هناك غضاضة فى ذلك،فالثقافة السائدة تقره وتزكيه وتباركه ٠ ومن ثم فقد راعينا أن يكون تعدد مرات الزواج من بين المحكات المستخدمة فى اختيار الأسر ٠ وسوف تتضح أبعاد الاختيار عند الحديث عن الأسر المدروسة ٠

القرية قرية تقليدية،صغيرة الحجم يبلغ تعدادها الفى نسمة متعزلة وغير منفتحة على العالم الخارجى حيث المواصلات اليها على درجة من الصعوبة ، ولا توجد بالقرية مؤسسات حكومية ٠

جدول (٤) خصائص الأسر المختارة للدراسة المتعمقة فى قرية (ب)

| رقم | الاســـم | السن الحالى | التعليم | المهنة/النشاط | مرات الزواج |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ابراهيم بسيونى | ١٨ | تكميلى | موظف بالجمعية | ١ |
| | جمالات الفيومى | ٢٨ | أميـة | ربة بيت | |
| ٢ | عبد الكريم البلهاسى | ٣٥ | ليسانس شريعة | مأذون القرية | ١ |
| | أنوار محمدى | ٢٨ | أميـة | ربة بيت | |
| ٣ | جابر عبد التواب | ٥٢ | أمى | فلاح ـ تاجر | ٢ |
| | سكينة اسماعيل | ٤٤ | أميـة | فلاحة فى الحقل | ١ |
| | هنومة عوض | ٣٤ | أميـة | ربة بيت | ٢ |
| ٤ | أحمد محمود طه | ٣١ | أمى | فلاح ـ بنا | ٢ |
| | بخيته عبد السميع | ٢٣ | أميـة | فلاحة فى الحقل | ١ |
| | كوثر عبد الصمد | ١٧ | أمية | فلاحة فى الحقل | ١ |
| ٥ | عبد المولى محمود | ٢٥ | أمى | عامل زراعى | ١ |
| | هادية عبد الرحيم | ٢٥ | أميـة | ربة بيت | ٢ |
| ٦ | شكرى محبوب | ٢٤ | أمى | عامل زراعى | ١ |
| | منجده يوسف | ٢٣ | أميـة | تساعد حماها فى تجارة صغيرة | ٢ |

## تابع جدول (٤)

| الزواج الأول | | | | الزواج الثانى | | | | أسباب تعدد الزواج ـ عمالة الأطفال | الوضع الطبقى | نمط الأسرة | نمط الاقامة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| السن | مدته | انتظار الحمل | الأطفال | السن | مدته | انتظار الحمل | الأطفال | | | | |
| ٢٥<br>١٥ | ٣ | ١ | ١ | | | | | | مرتفع | ممتدة | منفصل سكنيا<br>مشتركة معيشيا |
| ٢٢<br>١٥ | ١٣ | | ٥ | | | | | | متوسط | ممتدة | مشترك |
| ٢٥<br>١٧<br>١٣ | ٢٧<br>٢٠ | ٢٠ | ٧ | ٥١<br>٣٣ | ١<br>١ | حامل | | القرابة<br>(لم اللحم)<br>سعة اقتصادية<br>عدم الانجاب | متوسط | ممتدة | مشترك |
| ٢٠<br>١٥<br>١٣ | ١٠<br>٣ | ٢ | ٣<br>١ | ٢٨ | ٣ | ٢ | ١ | الزواج الأول<br>مفروض<br>والزواج الثانى<br>ارادى | متوسط | ممتدة | مشترك |
| ٢٠<br>١٤ | ٥<br>٦ | ٢<br>٥ | ١<br>١ | ٢٠ | ٥ | ٢ | ١ | تعثر الانجاب | منخفض | نووية | مستقل |
| ١٩<br>١٤ | ٥<br>٣ | ٢ | ٢<br>١ | ١٨ | ٥ | | ٢ | سوء المعاملة | منخفض | نووية | مشتركة نهارا<br>مستقل ليلا |

واما عن الأسر المختارة للدراسة فان خصائصها تتضح من الجدول رقم (٢) ، وسوف نتناول التفاصيل المتعلقة بها فيما يلى :

## الحالة الأولى ـ أسرة ابراهيم بسيونى

هى أسرة نووية ، غنية نسبيا ، تعيش فى كنف العائلة الممتدة . انها أسرة «ابراهيم بسيوني» التى تنتمى الى عائلة عمدة القرية سابقا . يمتلك ابراهيم ستة أفدنة ، ودكانا للبقالة ، وجرارا زراعيا ، وسيارة نصف نقل، الى جانب عمله موظفا بقرية مجاورة .

والدة ابراهيم هى ابنة عمدة قرية مجاورة . كما أن زوجته ابنة خالته(*) . ومن الملاحظ أن تعليم الذكور فى هذه الأسرة الممتدة تشهد عليه وظائف الاخوة الثلاثة . فالى جانب ابراهيم ، هناك أخ تخرج فى الكلية الحربية ويعمل ضابطا فى الجيش . أما الأخ الثانى فقد تخرج فى كلية التجارة ويعمل محاسبا . وهناك ثلاث اخوات لابراهيم ، هن أميات ، لم يدخلن المدرسة ، وانما تزوجن ويقمن مع أزواجهن وأطفالهن .

عندما حملت زوجة ابراهيم ظلت تمارس أعمال المنزل المعتادة ، وتعاونها فى ذلك حماتها . حتى اقترب موعد الولادة ، فذهبت الى بيت والديها لتضع مولودها هناك . وبعد ثلاثة أسابيع من ذهابها تمت عملية الوضع على يد الداية . وجاء المولود ذكرا وكانت والدة ابراهيم (الحماة) هى صاحبة التسمية . فقد اقترحت الاسم ووافق عليه الابن ، حيث أسموه عليا .

وبعد عشرين يوما ، عادت زوجة ابراهيم الى منزلها عودة المنتصر الشامخ الرأس . فقد أدركت أنها بمولودها لهذا الولد امتلكت دعامة تفوق فى قوتها صلة القرابة والنسب . اذ أن انجابها للولد ثبت أقدامها فى بيت الزوجية وأضفى عليها مكانة اجتماعية أعلى من ذى قبل . فالتبكير به

---

(*) جدير بالذكر أن علاقات المصاهرة بين العمد على هذا النحو كانت ترمى الى تحقيق نوع من التحالف بين الطرفين من أجل تحقيق مصالح سياسية خاصة بالانتخابات وغيرها .

يعطى الأمل في مزيد من الأبناء الذكور فيما بعد ، وفرق بين التبكير بالولد عن التبكير بالأنثى . فالزوجة تظل في موضع قلق وغير مستقر حتى تأتى بالولد ، مها حملت وأنجبت من الاناث.ولا يحسب لها من الانجاب الحق الا ما تأتى به من الأبناء الذكور فالزوجة تستمد شرعيتها الاجتماعية من الأبناء الذكور . ويتضح ذلك بجلاء من المصير الذى تنتهى اليه الزوجة عقب وفاة زوجها . فان كانت قد أنجبت منه ولدا ، يحق لها البقاء والاستمرار في بيت الزوجية ، حيث يصبح الابن المولود حاملا لاسم أبيه وامتدادا لاسم العائلة ، ويقوم الجميع على رعايته . أما اذا كانت الزوجة غير منجبة ، أو منجبة لاناث فقط ، فانها لا تبقى في بيت الزوجية عقب وفاة زوجها ، وانما تغادره مع بناتها عائدة الى بيت أبيها .

أدركت زوجة ابراهيم تحسن وضعها الاجتماعى عقب ولادة الابن «على» . فشاءت أن تتخلص من ضغوط حماتها وسيطرتها المباشرة حيث كانت تقيم معها في منزل واحد . فطلبت الى زوجها أن يبنى لها منزلا مستقلا ، فلبى لها رغبتها وبنى منزلا صغيرا في ركن من «حوش» المنزل الكبير . والمنزل الجديد مبنى بالطوب الأحمر ومكون من حجرتين فقط ، ومزود بالمياه والكهرباء . وقد ترتب على ذلك حدوث بعض الخلافات بين الزوجة وحماتها التى لم تكن ترغب أصلا في بناء هذا المنزل الجديد . غير أن الأمور عادت الى طبيعتها بعد فترة قصيرة .

تتعاون زوجة ابراهيم مع حماتها في الأعمال المنزلية . فالى جانب الأعمال المنزلية التى يتطلبها المنزل الجديد ، تقوم زوجة الابن على رعاية شئون المنزل الكبير الذى تقيم فيه الحماة . وفي المقابل ، فان الحماة تقوم بدورها في المعاونة على رعاية الطفل والقيام على شئونه .

ليس هناك مجال في هذه الأسرة للتفكير في تنظيم الأسرة . فالزوجان لم يمض على زواجهما كثير من الوقت ، ولم ينجبا سوى طفل واحد بعد . ومن جهة أخرى ففكرة التنظيم مستبعدة من حيث المبدأ . سواء من جانب الزوجين أو من جانب الحماة . انهم يرون أن التنظيم «حرام» لأنه تدخل في ارادة الله . ومن جهة أخرى ، فان «الأطفال برزقهم» «ومادام ربنا

موسعها والحمد لله ، أيه يكون الداعى لتنظيم الأسرة ومشاركة ربنا فى حكمه ؟!» .

هكذا تبدو سمة القدرية كعامل مناوىء لاستشراف المستقبل فيما يتعلق بتصور حجم معين للأسرة . ان فكرة «الحجم الأمثل» غير واردة على ذهن أحد لأنها تدخل فى دائرة المساس بالمشيئة والقدرة الالهية . وهكذا أيضا تبدو الميسرة والسعة الاقتصادية كعامل يشجع على المزيد من الانجاب .

*•*

### ٢ ـ الحالة الثانية ـ أسرة عبد الكريم البلهاسى

هى أسرة ممتدة ، تنتمى الى الطبقة الوسطى ، تضم ثلاثة أجيال هى جيل الجد والجدة : ويمثله «عامر البلهاسى» بقرية (ب) ، ٧٥ سنة ، وزوجته ٦٥ سنة . وجيل الابن وزوجته : ويمثله الشيخ عبد الكريم البلهاسى ، ٣٥ سنة ، حاصل على ليسانس كلية الشريعة والقانون ، يعمل ماذونا شرعيا . وزوجته «أنوار محمدى» ، ٢٨ سنة ، أمية ، ربة بيت . وجيل الأحفاد : ويمثله أبناء وبنات الابن ، وهم : فاطمة (١٢ سنة) ، حمزه (٩ سنوات) ، وعفاف (٨ سنوات) ، واحلام (٥ سنوات) ، وطارق (سنة ونصف) .

«عبد الكريم» هو الابن الوحيد الذى تبقى على قيد الحياة لوالديه . وقد أنجب والده أحد عشر طفلا بين ذكر وأنثى ، ولكنهم ماتوا جميعا فيما عداه هو . ويذكر الولدان ذلك بكل الاحساس بالأسى والمرارة ، مع التسليم بقضاء الله وقدره . مدركان أن الموقف بالنسبة لهما كان يمكن ان يكون مختلفا بالقطع فيما لو كتب الله البقاء لهذا العدد الكبير من الأبناء المتوفين . وما أن يفتح باب الحديث فى موضوع يتعلق بالانجاب وتنظيم الأسرة حتى يسترجع كل من الوالدين ذكرياته وخبراته فى هذا المجال . فهذا ولد توفى عقب ولادته مباشرة ، وهذا توفى بعد بضعة أشهر ، وذاك توفى بعد عام ، .. وهكذا . ومع الاجتهاد فى ذكر الأسباب المختلفة وراء وفاة هذا العدد من الأبناء ، كالحسد تارة ، وغضب القرينة تارة أخرى ، وغير ذلك من الأسباب ، يبقى هناك متسع فى وجدان الوالدين بأن هذه

هى قسمتهما ونصيبهما ، وأن هذه هى مشيئة الله ولا راد لقضائه . «فالله جاب ، الله أخد ، الله عليه العوض» .

الوالدان يتمنيان على الله أن يأتى العوض ببركته فى الابن «عبد الكريم» . وأعز أمانيهما هى أن يريا «خلفته مالية عليهم الدار». . لأنهما يؤمنان بان «أعز الولد ولد الولد» . وكم هى سعادتهما فى الوقت الحاضر ، اذ أنجب ابنهما خمسة من الأطفال خلال ثلاثة عشرة سنة . ومما يضاعف من سعادتهما أن الابن وزوجته مازال أمامهما متسع من الوقت لانجاب المزيد والمزيد من الأطفال .

تعتمد هذه الأسرة من الناحية الاقتصادية على جهود الأب (مؤذن) والابن (المأذون) . وكل من هذين النوعين من النشاط يدر دخلا لا بأس به . فالأب يتقاضى رواتب عينية من المحاصيل خلال مواسم الحصاد المختلفة . وتكفى هذه الكمية التى يحصل عليها من الحبوب لاستهلاك الأسرة على مدار العام ، ويفيض على ذلك كمية أخرى يطرحها للبيع فى سوق القرية .

أما الشيخ عبد الكريم الابن ، فهو مأذون ويقوم بعقد حوالى مائة وخمسين عقد زواج فى السنة . وتبلغ قيمة العقد فى المتوسط ما بين أربعين وخمسين جنيها الى مائة جنيه ، طبقا للمستوى الاجتماعى الاقتصادى للعريس .

هناك اذن سعة اقتصادية تميز هذه الأسرة . وأما عن الموقف من تنظيم الأسرة ، فلا مجال لها على مستوى الفكر أو الممارسة . فالأب يتدخل فى الحديث حول هذا الموضوع قائلا :

«تنظيم أسرة أيه يا ناس ! اللى بيرزق هو ربنا ، واللى بيعطى هو ربنا . وده تدخل فى شئون الخالق ، وكفر !» . أما الابن ، فانه على الرغم من أنه قد تعلم وحصل على شهادة جامعية ، الا أن الميراث الثقافى الذى تلقاه من والده فى صمت عميق ، ومن والدته فى كلمات وعبارات لا تكف عو ترديدها فى كل وقت ، الى جانب الطابع الثقافى الذى يميز القرية ، كل هذا لم يجعل هناك من أثر لعامل التعليم بحيث يدفع هذا الابن

المتعلم نحو موقف ايجابى مؤيد لفكرة تنظيم الأسرة · انه يلخص رأيه فى هذا الأمر بقوله :

«·· احنا هنا بنحب الأولاد والخلف الكتير ، مش زيكم فى مصر · هنا البيوت واسعة ومبحبحة وتستحمل ، والخير موجود ومفيش مشكلة · وكمان الدين مفيش فيه نص بيقول تنظيم الأسرة ، ودى بدعة» ·

ويبدو أن هناك اتساقا بين الأب والابن من حيث نظرتهما ، كجيلين مختلفين ، الى قضية تنظيم الأسرة ، رغم اختلاف ظروف النشأة لكل منهما·فلكل منهما منطقه وحججه التى يتذرع بها· فالأب اكتوى بنار الألم لفقدأبنائه العشرة·وقد جعله ذلك لايأمن غدرالزمان،ويؤمن بالنصيبوالمقدر والمكتوب ، ويرى فى تنظيم الأسرة تدخلا فى شئون الخالق ، وكفرا·والابن يعيد صياغة ما تسرب الى نفسه من الأب ومعاناته بدعوى أن الدين لا يجيز هذه الفكرة ، بل يمقتها · وفضلا عن ذلك ، فان طبيعة التعليم الدينى الذى حصل عليه الابن تجعله يحقق نوعا من التوازن والتوافق مع رغبات الوالدين وارضائهما ، والاتساق مع ثقافة المجتمع المحلى وقيمه ومعاييره فيما يتصل بالتأكيد على أهمية الانجاب والتكاثر والذرية ·

وأما عن الزوجة،فمهما كانت رغبتها فى تنظيم الأسرة والاكتفاء بهذا العدد الذى جاء من الأولاد والبنات ، فهى لا تجرؤ على التصريح بهذه الرغبة أو التعبير عنها·اذ انها تدرك تماما مواقف حماها وحماتها وزوجها فى هذا الصدد · وتدرك أيضا مدى تأثير الوالدين على زوجها فيما يتعلق باتخاذ القرارات · وتعلم جيدا أنها لا رأى لها · ومن ثم لا يكون أمامها من سبيل الا اذعان لارادة هذه الأطراف جميعا ، والاسترسال فى الحمل والولادة ·

نحن اذن أمام حالة تجسد مدى الصراع بين الرغبة الكامنة فى تنظيم الأسرة من جانب الزوجة وبين الاذعان والخضوع والامتثال لارادة الزوج ووالديه · فالزوجة هنا لا قدرة لها على المشاركة فى اتخاذ القرارات ، حتى تلك التى تتعلق بها وبحياتها الخاصة · وتدلنا هذه الحالة أيضا على مدى تأثير الأسرة الممتدة على الأسرة النووية ، وكيف تشكل الأولى حياة الثانية

فى ظل كثير من الضغوط الاجتماعية والثقافية . كما تدلنا على أن عامل التعليم قد يتضاءل وتتبدد آثاره الايجابية أمام سطوة القيم وغلبة عناصر التراث .

ولو شئنا أن نعقد مقارنة بين هذه الأسرة وبين الأسرة الثالثة فى قرية (أ) لوجدنا بعضا من أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين الأسرتين . فمن أوجه الشبه بينهما أن الحماة قد مرت بتجربة موت الأطفال المتكرر ، وتحرص على أن تجد فى أحفادها ما يعوض خسارتها فى ابنائها . وبالاضافة الى ذلك فان عامل التعليم مشترك بين الأسرتين . فالزوجان فى أسرة قرية (أ) متعلمان تعليما متوسطا . والزوج فى أسرة قرية (ب) متعلم تعليما جامعيا . غير أن التعليم قد بدت ثماره وآثاره الايجابية واضحة فى أسرة (أ) . فقد استطاعت الزوجة فى هذه الأسرة أن تمارس ارادتها فى اتخاذ قرار يتعلق بحياتها الخاصة ، وهو قرار تركيب اللولب النحاسى ، وذلك على الرغم من معارضة الزوج والحماة كما ذكرنا من قبل .

الفيصل فى الأمر هنا هو السياق الاجتماعى الثقافى الذى يوجد فيه عامل التعليم . فالزوجة فى أسرة قرية ( أ ) متعلمة بينما الزوجة فى أسرة قرية (ب) أمية . والسياق الاجتماعى الثقافى فى قرية (أ) افرز مناخا لا يجد غضاضة فى تعليم الاناث ، وعكس هذا قائم فى قرية (ب) . والتعليم يمكن أن يؤدى الى ترشيد الاتجاهات والسلوك ، والتصدى للقيم التقليدية فى (قرية أ) ، بينما تتضاءل قيمة التعليم وقوته أمام سطوة القيم وغلبة عناصر التراث فى قرية (ب) .

*●*

### ٣ ـ الحالة الثالثة ـ أسرة جابر عبد التواب

هى أسرة مشتركة ، تضم الزوج ، وزوجتيه ، وأبنائه وبناته من الزوجة الأولى ، بالاضافة الى والدته المسنة . انها أسرة «جابر عبد التواب» التى تقيم فى منزل واحد مبنى بالطوب اللبن ، فيما عدا حجرة الجلوس فهى مبنية بالطوب الأحمر ، والمنزل مزود بالكهرباء ، وغير مزود بالمياه . وتتألف هذه الأسرة من عشرة أفراد ، هم :

١ ــ جابر عبد التواب : رب الأسرة ، ٥٢ سنة ، أمى ، فلاح وتاجر مواشى بسيط ، ويمتلك فدانا ونصف ويستأجر ثلاثة أفدنة أخرى ٠

٢ ــ والدة جابر : ٧٠ سنة ، أرملة ٠

٣ ــ سكينة اسماعيل : الزوجة الأولى ، ٤٤ سنة ، أميــة ، ربة بيت وتزاول العمل فى حقل الأسرة ، وأم لأربعة أولاد وثلاث بنـات (احداهن متزوجة وتقيم مع زوجها بمنزله) ٠

٤ ــ محمد جابر : ابن ، ١٥ سنة ، تلميذ بالاعدادى ٠

٥ ــ كامل جابر : ابن ، ١٣ سنة ، تلميذ بالاعدادى ٠

٦ ــ نفيسة جابر : ابنة ، ٨ سنوات ، بالمنزل ٠

٧ ــ عاطف جابر : ابن ، ٦ سنوات ، يستعد للالتحاق بالمدرسة ٠

٨ ــ مجدى جابر : ابن ، ٥ سنوات ٠

٩ ــ ابتسام جابر : ابنة ، ٣ سنوات ٠

١٠ ــ أم الخير عطية : الزوجة الثانية ، ٣٤ سنة ، كانت متزوجة من قبل خارج القرية ، تزوجت وهى فى الرابعة عشرة ، وظلت لمدة عشرين سنة دون انجاب ، وأخيرا طلقت فتزوجها جابر منـذ سـنة واحدة ، وهى الآن حامل فى شهرها الرابع ٠

ان من يتعرف على هذه الأسرة عن كثب لا يلبث أن يرى فيها عديدا من الجوانب اللافتة للاهتمام ٠ فهى أسرة من أسر الزواج المتعدد ٠ وثمة ظروف واعتبارات اجتماعية وثقافية وراء تعدد مرات الزواج فى هذه الأسرة ٠ منها ما يتصل بعدم الانجاب وتأخر حدوثه وما يتصل بذلك من ممارسات تستهدف تحقيق الحمل، مثل «فك المشاهرة» ، الى غير ذلك من الممارسات العلاجية الشعبية الأخرى ٠ ومنها ما يتصل بالعلاقات الاجتماعية فى اطار هذا النمط من الأسر الذى يضم فى منزل واحد «ضرتين»، أى زوجتين لرجل واحد ، فضلا عن حماة لهما شهدت أيضا تجارب مؤلمة مع وفيات الأطفـال حيث انجبت عشرة من الأطفال الذكور لم يبق منهم على قيد الحياة سوى اثنين فقط ٠ كما يمكن الوقوف فى هذه الأسرة أيضا على ما يتصل بعمـالة الأطفال واشتغالهم بالعمل الزراعى للأسرة ، الى جانب انتظـام الذكور

منهم فى المدارس بالاضافة الى المساعدة فى عمل الحقل . يضاف الى ذلك كله ما يدعم فكرة التمييز بين الأطفال وفقا للنوع ، وكيف يحتل الولد مركز السيادة والتفوق على أخواته البنات ، .. وهكذا . وعلاوة على كل هذا ، فان هذه الأسرة تمثل حالة ملائمة يمكن للباحث أن يتعرف فيها على تقسيم العمل بين النساء وتوزيعه عليهن بين البيت والغيط،وكيف أن طبيعة المهام التى تؤدى فى هذا الاطار العائلى تتحدد تبعا لمكانة المرأة وخبراتها فى ضوء عامل السن .

أسرة «جابر» أسرة فلاحية تقليدية يقوم نشاطها الاقتصادى اساسا على زراعة محاصيل الاعاشة فى حيازة تبلغ مساحتها أربعة أفدنة ونصف ، ثلاثة منها مستأجرة من الغير ، وفدانا واحدا ونصف مملوكة للأسرة . ويمارس رب الأسرة بالاضافة الى ذلك بعض أعمال تجارةالمواشىالمحدودة. أى أنه يمارسها على نطاق محدود حيث يذهب الى السوق مرة فى كل شهر ليتاجر فى رأس واحدة من الأبقار مثلا . فهذا العمل التجارى عمل ثانوى بالنسبة له ، غير أنه يجد فيه مبررا كافيا للتغيب عن مباشرة أعمال الحقل فى كثير من الأحيان ، والاعتماد على النساء والأطفال فى هذا المجال .

ويمكن ان نلخص دورة العمل وتوزيع الأدوار فى هذه الأسرة خلال يوم نمطى على النحو التالى :

تستيقظ نساء الأسرة فى الصباح الباكر ، أى فى حوالى الخامسة . فتقوم الزوجة الأولى (أم الأولاد) بحلب الماشية (بقرتين) ، واعداد طعام الافطار.وعقب تناول طعام الافطار تقوم هذه الزوجة نفسها ومعها حماتها باصطحاب الماشية الى الحقل ، حيث تكون مهمة الزوجة «حش البرسيم» واطعام الحيوانات ، وتكون مهمة الحماة هى الحراسة والمعاونة . وتبقى كلتاهما بالحقل حتى وقت الظهيرة . خلال هذه الفترة تقوم الزوجة الثانية بكنس المنزل ، وكنس حظيرة المواشى «وتتريبها» ، وتقوم الابنة «نفيسة» بعلف الدواجن والطيور المنزلية ورعايتها . وعندما تفرغان من مهمتهما تتوجهان سويا الى «حنفية المياه» الموجودة بالقرية لجلب المياه حيث تملآن الأوانى ستة أدوار ، أى أنهما تترددان على الحنفية ست مرات حتى

يحصلن على الكمية التى يحتاجها البيت من المياه فى اليوم . واذا كانت الحنفية «ناشفة» ، أى فى حالة انقطاع المياه ، فانهما تذهبان معا الى البحر لجلب المياه من هناك .

تعود الزوجة الأولى وحماتها من الحقل فى وقت الظهيرة . فتقوم الزوجة الأولى باعداد طعام الغذاء، والاشراف على عملية خض اللبن التى تقوم بها عادة ابنتها، كما تقوم هى بنفسها بعمل باقى مراحل «دورة اللبن»، بما فى ذلك عمل الجبن ، أو الزبد ، أو قدح السمن ، .. الخ ، حسب الأحوال . أى أن هذه المراحل لا تتم جميعها فى يوم واحد بالضرورة ، وانما قد تتم مرحليا على تعاقب وفى أيام مختلفة .

يعود الابنان من المدرسة فى حوالى الواحدة والنصف ، فيتناولا طعام الغذاء ، ثم يتوجها معا الى الحقل لرعاية الماشية وأداء بعض المهام الاخرى الخفيفة . وعند اقتراب موعد الغروب يصطحبا الماشية عائدين الى المنزل.

الوجبة الرئيسية هى وجبة العشاء . والزوجة الأولى هى التى تتولى عملية «الطبيخ» . وعقب تناول طعام الغذاء يبدأ التحضير لعملية الطهى. فلا بأس من أن تذهب الابنة «سومية» الى الحقل لاحضار بعض الخضروات اللازمة لهذه العملية ، .. وهكذا . عندئذ تكون الزوجة الثانية مشغولة فى «عمل الجلة» ، اى خلط روث البهائم بالتبن أو «الدمس» ، وتشكيله على هيئة أقراص تجفف فى الشمس وتستخدم كوقود للفرن فى عملية «الخبيز» و «للكانون» فى عملية «الطبيخ» .

أما فى الأعمال الدورية كالخبيز ، وغسل الملابس مثلا ، فان تقسيما للعمل يلاحظ أيضا عند أداء هذه الأعمال وان كانت تتم بشكل جماعى . ففى عملية الخبيز مثلا : تتولى الزوجة الأولى مهمة «تحضير الخميرة» ، ومعايرة كمية الدقيق اللازمة للعجين ، واتمام عملية العجين، وترك العجين ليتخمر ثم «تقريصه» أى تقطيعه الى أرغفة . كما أنها هى التى تجلس أمام الفرن لانضاج الخبز . وهناك أطراف أخرى تعاون فى بعض مراحل عملية الخبيز فالابنة والزوجة الثانية تجهزان الوقود، وتقومان بعملية «التبطيط» أى فرد رغيف العجين على «المطرحة» ، .. وهكذا .

وأما عن غسل الملابس ، فانها عملية تتم فى أغلب الأحيان بالتعاون بين الابنة نفيسة والزوجة الثانية ، وأحيانا الزوجة الأولى ٠ وقد تتم عملية غسل الملابس على شاطىء البحر فى بعض الأحيان ٠

يلاحظ مما سبق أن الزوجة الأولى تضطلع بمهام على درجة كبيرة من الأهمية ، كاستخراج منتجات الألبان ، والقيام بعملية الحلب أساسا ، وطهى الطعام ، والاشراف على شئون الحقل ورعاية الماشية ٠بينما تضطلع الزوجة الثانية ببعض المهام الثانوية والأقل منزلة كتنظيف المنزل ،وحظيرة المواشى ،وعمل الجلة ،٠٠الخ ٠وقد يبدو الأمر على هذا النحو مثيرا للتساؤل حول طبيعة المكانة التى تحتلها كلا من الزوجتين أو «الضرتين» فى الأسرة ٠ فقد جرت العادة على أن تكون الزوجة «الجديدة» أكثر حظوة لدى الزوج ، وأعز مكانا ومنزلة فى الأسرة ٠ ويتضح ذلك من شواهد وأمثلة كثيرة فى أغلب حالات تعدد الزوجات ٠ غير أن الأمر يبدو مختلفا فى حالتنا هذه لعدة أسباب ٠

فالزوجة الأولى هى التى اقترحت على زوجها أن يتزوج مرة ثانية حتى تعاونها زوجته الجديدة فى تحمل أعباء البيت والحقل ، بعد أن باتت لا تقوى وحدها على تحملها ، خاصة بعد زواج ابنتها الكبرى التى كانت تشاركها جزءا من هذه المسئولية ٠ والزوجة الأولى أيضا هى التى رشحت الزوجة الثانية لكى تكون «ضرة» لها ٠ خاصة وان الأخيرة سبق لها الزواج فى سن مبكرة ، وظلت طوال عشرين عاما دون حمل أو انجاب حتى طلقها زوجها لهذا السبب ٠ ومن جهة أخرى فان الزوجة الثانية تمت بصلة قرابة الى رب الأسرة «جابر» ٠ وعندما لاحظ هذا الأخير أن قريبته المطلقة مرغوبة للزواج ويتقدم اليها كثير من طالبى الزواج من داخل القرية وخارجها ، عندئذ سارع الى الاقتران بها ، فهى قريبته ، وأولى به أن «يلم لحمه» ٠

ان التاريخ التناسلى لنساء هذه الأسرة لافت للنظر ٠ فالحماة ، كما ذكرنا سابقا ، انجبت عشرة من الأبناء لم يتبق منهم حيا سوى اثنين فقط هما «جابر» رب الأسرة ،وشقيق أصغر آخر مهاجر الى بلد عربى ٠والزوجة

الأولى ظلت عشر سنوات بعد زواجها دون حمل . وقد ذهبت الى الأطباء ولم تترك بابا الا طرقتــه حتى تجـد فرجا من هذه الأزمة . جربت هى وزوجها خلال هذه السنوات مختلف أساليب العــلاج الرسمى والشعبى . حتى ذهبت فى يوم من الأيام الى امرأة «ســاحرة» قرأت لها «الطــالع» وأخبرتها بأننها «متشاهرة» . وأن التى شاهرتها هى واحدة من اقاربها ، دخلت عليها وهى عروس بينما كانت هذه القريبة «راميــة» أى فى حالة اجهاض.كانت نصيحة «الشيخة» الى الاخبارية أن تذهب الى هذه القريبة وأن تتراضى معها ، وأن تذكرها بما حدث ، وأن «تـخطى على رجليها سبع مرات» ، أو تحصل منها على بعض من بولها ثم تعجنه فى تراب وتصنع منه «عروســة من الطين» تقوم بتخطيتها حتى تفك المشــاهرة . غير أن القريبة رفضت وانكرت وتخاصمت مع الاخبارية لاتهامها اياها بأنهــا قد شاهرتها .

ومرت الأيام والسنين ، حتى وقعت هذه القريبة فى مأزق ، واحتاجت الى قريبها «جابر» زوج الاخبارية . عندئذ وافقت على أن تعطى زوجتــه ما تريد . تذكر الاخبارية (الزوجة الأولى) أنها فى بداية الشهر القمــرى حصلت على كمية من بول هذه المرأة ، وعجنتها فى التراب ، وعملت منها عروسة من الطين ، وخطتها ثلاث مرات فى ثلاثة أيام متعاقبة . بعــد ذلك فكت المشاهرة ،وحدث الحمل . ثم توالى بعد ذلك حدوث الحمل والولادة ، فانجبت أربعة أولاد وثلاث بنات ، دون أن تحدث لها وفيات أطفــال أو تشهد حالات اجهاض .

أما الزوجة الجديدة فانها الآن قد حملت وفى شــهرها الرابع . وقد تأكد لها منذ سنوات طويلة أنها ليست هى السبب فى عدم الحمــل أثنــاء زواجها الأول ، وانما العيب كان فى زوجها . ولكن الزوج الأول لم يشــأ أن يتقبل هذه الحقيقة ، وأبت عليه كرامته وماء وجهه الا أن يظل متمسكا بها ، رافضا تطليقها . ثم أخذ يسىء معاملتها حتى بلغ الأمر حدا يستحيل عنده استمرار العلاقة الزوجية . عنــدئذ تم تطليقها . وفى العام التــالى تزوجت «بجابر» . وقد حدث الحمل عقب زواجها الثانى بثلاثة أشــهر .

وكم هى سعادة هذه الزوجة وفرحتها بذلك ، فقد شاء الله ـ كما تقول ـ أن يعوض صبرها خيرا ، وأن يعوضها عن سنوات الحرمان والمعاناة التى عاشتها مع زوجها الأول . غير أن أعز أمنياتها هى أن ترزق بمولود ولد .

الأبناء الذكور فى هذه الأسرة يتمتعون بمكانة تفوق مكانة البنات بطبيعة الحال . ففى الوقت الذى يحرص فيه الأب على تعليم الابناء ، يحرص فيه أيضا على منع البنات من الحصول على هذا الحق . فثقافة المجتمع المحلى لاتقر مبدأ تعلم البنات ، بدعوى أن تعليم البنت قد يفتح أعينها على أمور تتعارض مع واجباتها فى الخضوع والاذعان لارادة الرجل وسيطرته . كما أن البنات لم يخلقن للتعليم ، وانما خلقن لأداء مهام تنحصر فى الحمل والانجاب وتربية الأطفال ، واداء الاعمال التقليدية فى المنزل والحقل . ومن المواقف التى تجسد أيضا تمييز الأولاد عن البنات فى الأسرة ، أن الأب «يشاور» ابنية «محمد» و «كامل» فى مسائل الزراعة ويشركهما معه فى اتخاذ القرارات.ذلك فى الوقت الذى لايطلب فيه مشورة زوجته أو والدته . كما أنه يعطى الابن الكبير «محمد» صلاحيات «رجل البيت» أثناء تغيبه . فهو الذى يستقبل الضيوف ويجالسهم ويتبادل معهم الرأى فى أمور التجارة الخاصة بوالده نيابة عنه ، .. وهكذا .

العلاقات الاجتماعية بين نساء هذه الأسرة علاقات طيبة . انها علاقات تعاون ومودة . فالزوجة الأولى لا تنظر الى «ضرتها» على انها منافس لها فى حب الزوج والاستئثار بعطفه واهتمامه . لأنها تدرك مدى رسوخ قدمها ومدى ثقلها الاجتماعى كركن أساسى فى الأسرة . فهى ـ كما ذكرنا ـ «أم الأولاد» وراعية شئون البيت والغيط . والزوجة الثانية تدرك أن ضرتها صاحبة فضل عليها . فهى التى رشحتها زوجة لزوجها ، أى أنها هى التى ارتضتها شريكة لها فى الحياة العائلية . ومن ثم فانها تكن لها مشاعر الولاء والاحترام . يضاف الى ذلك عامل السن . فالكبار يكونون عادة محل احترام الصغار . أما عن العلاقة بينهما وبين حماتهما ، فانها أيضا علاقات تراحم ومحبة . فالحماة مسنة فى السبعين من عمرها ، تقول « يا الله حسن الختام» ولا مارب لها من الدنيا خلال البقية الباقية من حياتها الا أن ترى بيت ابنها «مستورا» . و «الستر» فى هذا المقام يعنى

الاستقرار و «هدوء السر» ، والبعد عن الخلافات والمشكلات ٠ انها تعامل زوجتى ابنها كما تعامل الام ابنتيها ٠ وفى المقابل ، نجد أن زوجتى الابن يعاملانها كأم لا كحماة ٠ وجدير بالذكر أن هناك من التعـاطف Empathy بين هؤلاء الثلاث : فالزوجة الأولى مرت بتجربة القلق والتلهف على الحمل طوال سنوات عشر بعد زواجها ٠ ومن هنا فانها تدرك عمق مشاعر ضرتها خلال فترة حملها الأول ، الذى طالما تاقت نفسها اليه لمدة عشرين عاما هى عمر زواجها الأول ٠ والحماة من جانبها لها تجربة مريرة مع موت الأبناء «وحرقة الضنا» ٠ وفى اطار هذا الجو المفعم بالمشاركة الوجدانية ، تمضى الأمور على خير ما يرام ٠ ومما يزكى أيضا من هذه الروح موقف الزوج ، الذى يتميز «بالعـدل» واعطاء كل طرف من هذه الاطراف حقه دون تمييز أو جور على حقوق الآخرين ٠

لم تعرف فـكرة تنظيم الأسرة طريقـا الى نفس أحد من أفراد هذه الأسرة فى يوم من الأيام ٠ ولم تعد بنا حاجة الى تقديم المزيد من الايضاح حول أسباب ذلك ، وتكفى الاشارة الى ظروف الانجاب التى مرت بالنساء الثلاث ، والى طبيعة النشاط الاقتصادى الزراعى التقليدى الذى تعتمـد عليه الأسرة والذى يحبذ انجاب المزيد من الأطفال ، والى النمط الثقـافى التقليدى الذى يميز المجتمع المحلى بوجه عام ويقف موقفا مناهضا لهـذه الفـكرة ٠

☆ ☆

## ٤ ـ الحالة الرابعة ـ أسرة أحمـد طه

هى أسرة مركبة ، من أسر الزواج المتعدد أيضا ، تنتمى الى الطبقة الوسطى ، وتقيم فى منزل واحد متسع مبنى بالطـوب اللبن ومكون من ست حجرات وحظيرة للمواشى ، ومزود بالكهرباء ٠ وتضم تسعة أفراد على النحو التالى :

١ ـ محمود السيد طه : الأب ، ٥٠ سنة ، أمى ، فلاح وبنا ، حائز لفـدانين وعشرة قراريط من الاصـلاح الزراعى ٠ تزوج مرتين ، توفيت زوجته الأولى فتزوج مرة ثانية بزوجته الحالية ٠

٢ ــ رشيدة : زوجة الأب ، ٤٥ سنة ، أمية ، ربة بيت ، وهى نفسها حماة ابن زوجها «أحمد محمود» ٠

٣ ــ أحمد محمود : الابن ، ٣١ سنة ، أمى ، فلاح وبنــا ، متزوج بامرأتين تقيمان معا فى نفس المنزل ٠

٤ ــ جليلة على : الزوجة الأولى للابن أحمد محمود ، ٢٣ ، أمية ، ربة بيت وتزاول العمل فى حقل الأسرة ، وهى نفسها ابنة «رشيدة» زوجة أب زوجها ٠

٥ ــ صفية مجاهد : الزوجة الثانية للابن أحمد محمود ، ١٧ سنة ، أمية ، ربة بيت وتزاول العمل فى حقل الأسرة ٠

٦ ــ نوال أحمد محمود : ابنة (أحمد) من الزوجة الأولى (جليلة) ، ٧ سنوات ٠

٧ ــ على أحمد محمود : ابن من الزوجة الأولى ، ٥ سنوات ٠

٨ ــ بهية أحمد : ابنة من الزوجة الأولى ، ٣ سنوات ٠

٩ ــ سميرة أحمد محمود : ابنة من الزوجة الثانية (صفية) ، شــهر واحد فقط ٠

تتميز أسرة محمود ببعض السمات اللافتة للنظر ، منها : أنها تشهد نوعا من التركيب أو التداخل من حيث العلاقات القرابية وعلاقات المصاهرة٠ فزوجة الأب (رشيدة) بالنسبة لابن الزوج (أحمد) هى نفسها حمــاته أى والدة زوجتــه الأولى (جليلة) ووالد الزوج بالنسبة (لجليلة) أى حمــاها (محمود السيد) هو نفسه زوج أمها٠ومن السمات المميزة أيضا لهذه الأسرة أنها شهدت زواجا مفروضا هو زواج الابن (أحمد محمود) بزوجته الأولى التى اختارها له أبوه وزوجه بها بايعاز من أمها زوجة الأب ٠ كمــا أنهــا شهدت زواجا اراديا هو زواج نفس الابن (أحمد) بزوجته الثانية (صفية) التى اختــارها بمحض ارادته الحــرة بعــد أن حقق درجة من الاستقلال الاقتصــادى عن الأب ، وبعــد أن امتثل لأوامر الأب ونزل على رغبته فى

الزيجة الأولى . سمة ثالثة تميز أسرة محمود ، وهى انفتاح الأب والابن على العالم الخارجى . وقد سبق أن سافر الأب الى الخارج ومكث هناك فترة من الوقت ، كما أنه يجوب محافظات الجمهورية المختلفة حسبما تقتضى ظروف اشتغاله كبنا . ونفس الأمر ينطبق أيضا على الابن .

تعتمد هذه الأسرة من الناحية الاقتصادية على عائد الأرض الزراعية من جهة ، وعلى دخل الأب والابن من عملهما فى حرفة البناء من جهة اخرى . ونظرا لتغيب الرجلان عن القرية بين حين وآخر فان نساء الأسرة يضطلعن بمهمة رعاية شئون الأرض والماشية . فهناك تقسيم للعمل بينهن يضمن أداء المهام والأنشطة المنزلية وأعمال الحقل بالتساوى .

يلاحظ أن هذه الأسرة شهدت أيضا زواجا مبكرا . فالزوجة الأولى كان عمرها عندما تزوجت ثلاث عشرة سنة .ولذا فانها ظلت ثلاث سنوات بعد الزواج دون حمل.أما الزوجة الثانية فقد تزوجت وهى فى الخامسة عشرة، وحملت بعد زواجها بعام واحد .

العلاقات الاجتماعية بين نساء هذه الأسرة تكشف عن ود وتعاون ظاهرى ، وتشير الى وجود تنافس بين الضرتين فيما يتعلق بالانجاب ، وان كانت روح التنافس هذه لا يعبر عنها صراحة . فحيث تكون احدى الضرتين أما لولد ، بينما الأخرى لم تحصل على مثل هذا الولد بعد ، تكون هناك درجة من القلق والتوتر لدى الأخيرة . وينعكس هذا القلق على سلوكها فتبدو حساسة فى استجابتها لبعض الكلمات أو العبارات أو المواقف.وتؤدى هذه الحساسية الى تأويل وفهم معين لمثل هذه الكلمات او العبارات أو المواقف ، مما يؤدى بالتالى الى ظهور بعض الخلافات والمنازعات .

لم يفكر أحد من أطراف هذه الأسرة فى تنظيم الأسرة . وهناك موقف مضاد حيال فكرة التنظيم يتبناه الجميع . فالحماة تريد لابنتها ـ الزوجة الأولى لأحمد ـ أن تنجب مزيدا من الأطفال ، وخاصة الذكور ، حتى تقوى مكانتها فى الأسرة . والابنة (أو الزوجة الأولى) تشاركها نفس المشاعر . أما الزوجة الثانية فلم تخطر ببالها فكرة التنظيم . فهى لم تزل صغيرة وحديثة عهد بالزواج ، فضلا عن أنها لم تنجب ابنا ذكرا بعد . أما

الأب والابن فانهما يؤمنان بأن فكرة التنظيم حرام ، وأن مثلها كمثل من يحاول التصدى للطوفان . فهيهات أن يفلح أحد فى التصـدى للطوفان . ان الناس «بيخلفوا ويخلفوا ، ومفيش حد يقدر يوقفهم عن الخلف ، حتى بطلق البارود . الحكومة ،والتليفزيون مايبطلوش كلام فى الحكاية دى [أى الحديث عن تنظيم الأسرة] والناس بتمشى اللى فى دماغها ...» . أضف الى ذلك أنهما من مؤيدى كثرة الأنجاب مادام الرزق مقدرا من عند الله ، ومادام الأطفال يساهمون فى أداء المهام المتصلة بالعمل الزراعى .

هنـاك أوجه للشبه وأوجه للاختلاف بين أوضـاع هذه الأسرة وبين الأوضاع فى عدد من الأسر برقية ( أ ) . فمن أوجه الشبه مثلا ، أن النساء فى الأسرة الرابعة بقرية ( أ ) يزاولن أيضا أعمال البيت والحقل نظـرا لقيام أزواجهن بأداء أعمال أخرى غير زراعية . ولكن هنـاك برغم ذلك نوعا من الاختلاف بين الأسرتين من حيث قوة المرأة وصلاحياتها فى اتخاذ القرارات أو المشاركة فيها . فالمرأة فى أسرة قرية ( أ ) تشارك فى اتخـاذ القـرارات ، بل انها تبـادر بالتصرف المستقل فى بعض الأمور ، وهو ما لا يتوافر للمرأة فى أسرة قرية (ب) . وفيما يتعلق بالعلاقات بين السلايف والضراير فى ضوء مسائل الانجاب ونوع المولود ، يلاحظ أن هناك تشابها بين هذه الأسرة وبين الأسرة الأولى فى قرية ( أ ) ، حيث يوجد نوع من القلق والترقب لدى طرف ينتظر أن يرزق بمولود ذكر .

***

٥ ـ الحالة الخامسة ـ أسرة عبد المولى محمود :

هى أسرة نووية صغيرة ، فقيرة ، تعتمد على دخل الزوج من العمل الزراعى المأجور . انها أسرة «عبد المولى محمود» ، التى تتألف من ثلاثة أفراد ، هم :

١ ـ عبد المولى محمود : الزوج ، ٢٥ سنة ، أمى ، عامل زراعى .
٢ ـ رقية شحاتة : الزوجة ، ٢٥ سنة ، أمية ، ربة بيت .
٣ ـ فايزة عبد المولى : ابنة ، ٣ سنوات .

ان من يتعرف الى هذه الأسرة يستطيع الوقوف على بعض الأمور

الهامة المتصلة بممارسات الحمل ، وأسباب تعدد مرات الزواج ، والهجرة الخارجية ، وقيمة العمل ، ودور الرائدة الريفية فى مجال تنظيم الأسرة .

قبل أن تتزوج رقية بزوجها الحالى «عبد المولى» ، كانت متزوجة برجل آخر متزوج ولم تنجب زوجته الأولى .أى أنها كانت زوجة ثانية لرجل يريد أطفالا . وبعد زوجها بعام حملت وأنجبت طفلة . لم تعش هذه الطفلة سوى ثلاثة أشهر . وبعد وفاتها توقفت عملية الحمل لمدة سبع سنوات . وخلال هذه السنوات بذلت هى وزوجها اقصى ما فى وسعهما من جهد فى سبيل معالجة أسباب توقف الحمل . وشملت هذه الجهود فحوصا طبية رسمية ، وممارسات علاجية شعبية مختلفة . غير أن الأمر ظل كما هو عليه . راى زوجها أنها أصبحت عبئا عليه ، اذ لم تعد به حاجة اليها بعد أن فشلت فى تحقيق الهدف الذى من أجله تزوجها . عندئذ طلقها .

بعد الطلاق لم تكف عن محاولاتها فى البحث عن علاج . ذهبت الى العرافين ،وفاتحى الكتاب،وكانت تستجيب على الفور لأية نصيحة تقدمها اليها جارة من جاراتها أو أحد من معارفها . وأشارت عليها بعض جارتها بأن تتعاطى حبوب منع الحمل كعلاج لحالتها. ذهبت الى الرائدة الريفية وحصلت منها على شريطين من شرائط حبوب منع الحمل بدعوى أنها تريد التنظيم واخفت عنها هدفها الحقيقى(*) . بدأت فى استعمال الحبوب . وكانت فى ذلك الوقت قد تزوجت بعبد المولى زوجها الحالى . أحست بشىء من الضعف بسبب الحبوب ، كما تقول ، فتوقفت عن تعاطيها.ذهبت الى أحد «المشايخ» المحليين (السحرة) ، فاجرى لها عددا من الطقوس وطلب اليها أن تحضر زوجها معها فى المرة القادمة لكى يعمل له «عقادا» لأنه «مزغوف» أى مرعوب . فهذا «العقاد» سيزيل الزغفة من قلبه وبعد ذلك يحدث الحمل . ذهبت بزوجها الى الشيخ ، ثم حدث أن حملت ورزقت بابنتها (هيام) ، وهى الآن حامل فى الشهر الخامس .

من اللافت للنظر هنا أن أن حبوب منع الحمل لم تعرف طريقها الى

---

(*) الرائدة الريفية ليست من نفس القرية (ب) ولكنها من قرية مجاورة .

القــرية كوسيلة لتنظيم الأسرة ، وانما كوسيلة للحمل والانجــاب • ومن جهة أخرى،ما جاء على لسان الاخبارية من أن هذه الحبوب قد سببت لها ضعفا • ومن حيث طبيعة الدور الذى تقوم به الرائدة الريفية ، يلاحظ أن هذه الرائدة انقطعت صلتها بالاخبارية بعد تسجيل اسمها وامدادها بشريطى الحبوب • فلم تحاول متابعتها أو زيارتها بمنزلها أو الوقوف على أسباب انقطاعها عن استخدام الحبــوب • وهنا تبدو ظلال من الشك حول جدية مثل هذه الرائدة فى أدائها لمهامها ، الأمر الذى يدعو الى ضرورة البحث عن أسلوب أكثر فعالية لمتابعة أداء الرائدة الريفية لأدوارهافىمجال تنظيم الأسرة •

عبد المولى سافر الى الخارج مرتين • وكان يقضى هناك فى كل مرة ستة أشهر • وقد ساعدته زوجته فى بادىء الأمر عندما كان يجرى ترتيبات السفر • فقد باعت «حلقها» الذهب ليستعين به فى هذه المناسبة • وفى أثناء اقامته بالخارج كان يرسل اليها مبلغا من المال كل شهر (فى حدود خمسين جنيها) • واعتاد عبد المولى عندما يكون معه شىء من المال ألا يمارس أى عمل•وانما يركن الى الراحة والكسل•ويظل هكذا حتى ينفد مالديه وعندئذ فقط يسعى من أجل الحصول على الرزق •

الاخبارية لا ترغب فى أن يسافر زوجها الى الخارج للمــرة الثالثة • فهى تخشى أن يؤدى سفره هذا الى «زيادة القــرش فى ايديه» ، وعندئذ ربما يقدم على الزواج مرة ثانية•انها تؤكد على أن كثيرا من رجال القرية لو أدرك أن معه مبلغا من المال فى حدود الثلاثمائة جنيــه ، لايتردد عن الزواج مرة ثانية حتى ولو كان متزوجا ولا ينقصه شىء • وتوضح الاخبارية دوافع الرجال فى الزواج للمرة الثانية فتذكر ما يجىء على لسان الغالبية من أهالى المندلقة فى هذا المجال • من ذلك مثلا : عقم المرأة وعدم قدرتها على الحمل والانجاب ، وأنجابها للبنات ، وان تكون زوجة مفروضة جاء زواجها بزوجها على غير ارادته ورغبته ، •• وهكذا • ولذا فان الاخبارية لا تكف عن محاولاتها لاقناع زوجها بالبقاء الى جانبها والعدول عن فكرة السفر • فهى فى حاجة اليه ، كما أنها راضية بالقليل الذى يكسبه من عمله

الزراعى المأجور فى القرية . وفى الوقت نفسه فانها تسرف فى التزين حتى تبدو جميلة فى عينيه حتى لا يتحول نظره الى امرأة أخرى .

*•*

### ٦ ـ الحالة السادسة ـ اسرة شكرى محبوب :

هى أسرة نووية ، فقيرة ، تمثل نمطا من أسر الطبقة الدنيا التى تجد فيها الزوجة نفسها امام مسئولية القيام على شئون الأطفال وشئون نفسها عندما تكون هناك ظروف تحول دون قيام الزوج بواجباته فى هذا المجال . انها أسرة «شكرى محبوب» ، التى تتألف من أربعة افراد هم :

١ ـ شكرى محبوب : الزوج ، ٢٤ سنة ، أمى ، عامل زراعى ، مجند بالقوات المسلحة فى الوقت الحاضر .

٢ ـ منجدة يوسف : الزوجة ، ٢٣ سنة ، أمية ، ربة بيت ، وتعاون حماها المسن فى تجارة الخضروات أحيانا ، كانت متزوجة من قبل برجل آخر ، وأنجبت منه طفلة ، ولكنها طلقت عقب وفاة الطفلة التى لم تعش سوى شهرين فقط .

٣ ـ أحمد شكرى : ابن ، ٥ سنوات .

٤ ـ حسين شكرى : ابن : سنتان .

الزوج والزوجة فى هذه الأسرة الصغيرة تربطهما ببعضهما صلة قرابة. فهو ابن عمتها وهى ابنة خاله . وكانت تربطهما أيضا علاقة حب متبادل. وعندما التحق شكرى بالخدمة العسكرية تقدم ابن عمها فطلبها للزواج ووافق والدها على الفور ، ولم تجرؤ هى على الرفض فتم الزواج على غير هواها ، وكانت آنذاك فى السابعة عشرة من عمرها .

كان زوجها يكبرها فى السن حيث كان فى الثلاثين ، ورغم الارتفاع النسبى فى مستواه الاقتصادى ، كانت لا تطيق الحياة معه . فهى ممن يعلقون أهمية كبرى على الحب المتبادل بين الزوجين كعامل هام من عوامل التوافق الزواجى ونجاح الحياة الزوجية . ولما كانت تنفر من زوجها الذى لا تكن له عاطفة حب ، كانت دائمة الخلاف والشجار معه .

وكثيرا ما كان يضربها فتعود الى بيت أبيها غاضبة وتمكث به بعض الوقت ثم تعاد ثانية الى منزل زوجها ، وهكذا ٠

استمرت حياتها الزوجية على هذا المنوال لمدة عامين ٠ وخلال هذه الفترة حملت وأنجبت طفلة ٠ ولكن هذه الطفلة توفيت بعد ولادتها بشهرين ٠ عندئذ صممت على الطلاق ، وقام زوجها بتطليقها عندما أدرك استحالة الحياة الزوجية معها ٠

وعادت الى بيت أبيها ٠ وتقدم اليها أحد اقاربها طالبا الزواج منها بعد طلاقها بستة أشهر ، وقدم جزءا من المهر ٠ ولكن شكرى ابن عمتها ـ وزوجها الحالى ـ علم بذلك فتقدم للزواج منها ، خاصة وأنه كان يريدها قبل زواجها الأول ، فوافق والدها عليه وأعاد لقريبها ما دفع ٠ عندئذ قدم اليها «شكرى» «خلخالا» من الفضة «وحلقا» من الذهب ٠

وتم زواجهما بينما كان لايزال مجندا بالجيش ٠ ولكنه تغيب عن الجيش فترة عقب زواجه ، فقدم للمحاكمة ، وحكم عليه بالسجن لمدة عام ونصف على أن يستكمل بعدها مدة الخدمة العسكرية ٠ وعندما أدخل السجن كانت هى حاملا وليس لديها مورد للرزق ٠ فكانت تنزل ضيفة على جدها لأمها ٠ غير أن الجد ضاق بها عندما طالت فترة الضيافة ٠ عندئذ فكرت فى مصيرها بعد الولادة ، ورأت أن تبيع خلخالها وتشترى قطعة ارض صغيرة لتبنى عليها مسكنا صغيرا يضمها وزوجها وطفلهما القادم ٠ استشارت والدها فى الأمر فوافق على رأيها ٠ وعندئذ شرعت فعلا فى تنفيذ الفكرة ، فاشترت قطعة الأرض وأقامت البيت بعد أن باعت الخلخال ٠

وضعت طفلها الأول ٠ وأنهى زوجها مدة العقوبة ٠ وأخذ يحضر فى أجازات دورية شهرية ، أربعة أيام فى كل شهر ٠ وفى كل أجازة يقضيها الزوج بالقرية ، يذهب الى البرلس للعمل بأجر يومى فى زراعة البطيخ حيث يحصل على أجر يتراوح بين أربعة وخمسة جنيهات فى اليوم ٠

ستنتهى مدة الخدمة العسكرية للزوج بعد بضعة أشهر ٠ وقد عقد العزم على السفر الى الخارج (للعراق أو ليبيا) أملا فى تحسين مستواه الاقتصادى ٠

بعد ولادة الطفل الأول، أخذت الزوجة تعيش فى كنف حماها وحماتها(*).
حيث تقضى فى بيتهما طوال النهار ، تساعد حماتها فى الأعمال المنزلية ، وتعاون حماها فى بيع الخضروات . وعندما يأتى المساء تعود بابنها الى منزلها . ثم تعود فى الصباح الى بيت حماها . وهكذا . هى اذن تحيا نمطين من أنماط الأسر : نمط الأسرة النووية المستقلة فى المسكن والاقامة ، ونمط الأسرة الممتدة فى الاعاشة .

حملت (منجدة) مرة ثانية ووضعت طفلها الثانى . وحدث أن أصيب طفلها الأول بمرض الحصبة وارتفعت درجة حرارته ارتفاعا شديدا ، فتوجهت به مباشرة الى الطبيب بالبندر لأنها تعلم سلفا أن طبيب الوحدة الصحية سيكتب لها قائمة بأصناف للأدوية عليها ان تشتريها من البندر . لم تكن تملك فى ذلك الوقت ما يسد نفقات علاج طفلها . ولم يكن امامها سوى أحد امرين : ان تقترض مبلغا من المال من احد الجيران أو الأقارب، أو ان تبيع «حلقها» لتستعين به على مواجهة الموقف . واختارت البديل الثانى .

هذه الاخبارية تتسم بالاعتداد بالنفس ، وحسن ادراك الأمور ، والقدرة على اتخاذ القرارات . انها تمثل نمطا خاصا ، أو استثناء بالنسبة للأوضاع المألوفة للمرأة فى قرية (ب) . ويبدو أن ظروفها المعيشية الصعبة التى مرت بها خلال زواجها الثانى قد دفعتها الى تقديم هذه التضحيات والاضطلاع بتلك المسئوليات ، فالموقف فى بعض الأحيان يصنع البطل .

الاخبارية وزوجها لا يفكران فى تنظيم الأسرة . ويقفان من هذه الفكرة موقف المعارضة . ومن الطريف أنهما يرغبان فى انجاب أكبر عدد من الأطفال ، وذلك بدافع عاطفة الحب المتبادل بينهما .

*●*

(*) يلاحظ أن ميلاد هذا الطفل قد رتب للزوجة حقوقا قبل أهل زوجها حيث تقضى بذلك طبيعة المجتمع الأبوى .

# الفصل الخامس

## وحدة المعيشة كحالة للدراسة المتعمقة
## فى اطار خصوصية المجتمع المحلى
## ٣ ـ تحليلات واستنتاجات

في ضوء الحالات التى فرغنا من تقديمها على النحو السابق ، نقدم فى الصفحات التالية بعضا من التحليلات والاستنتاجات المتعلقة بموضوع الدراسة . وقبل المضى فى ذلك ، نود أن نلفت النظر الى أن هناك منذ البداية فروقا واضحة بين الحالات من حيث الاستجابة لتنظيم الأسرة . فهذه الاستجابة مرتفعة كما يبدو من حالات قرية ( أ ) ، حيث تمثل الأسر المستجيبة ثلثى عدد الحالات المدروسة بهذه القرية . بينما تكاد تكون الاستجابة غير واضحة فى قرية (ب) . وغنى عن البيان أن الأسر التى تمثلها هذه الحالات لا توجد هكذا فى فراغ ، وانما تعيش فى مجتمع محلى له سماته الخاصة وملامحه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المميزة. فهذه الأسر جزء من المجتمع المحلى الذى تعيش فيه، تتفاعل فى اطاره، وتتأثر به وتؤثر فيه . كما أنها أيضا جزء من المجتمع الكبير ، حيث يتجاوز نشاطها وتفاعلها هذا المجتمع المحلى ويمتد الى العالم الخارجى .

وتدور التحليلات والاستنتاجات التى نقدمها حول ديناميات تنظيم الأسرة فى ضوء عدد من العوامل أو المتغيرات ، منها :

١ ـ البعد الطبقى .
٢ ـ التعليم .
٣ ـ عمالة المرأة .
٤ ـ عمالة الأطفال .
٥ ـ حجم الأسرة (عدد الأطفال) .
٦ ـ نمط الأسرة (ممتدة/نووية/مشتركة) .
٧ ـ نمط الزواج .
٨ ـ مشاركة المرأة فى اتخاذ القرارات .
٩ ـ نسق القيم والمعتقدات الخاصة بالانجاب .

**أولا ـ البعد الطبقى والموقف من تنظيم الأسرة :**

لعلنا لا نجافى الحقيقة عندما نذهب الى أن العلاقة بين البعد الطبقى وبين السلوك الانجابى والموقف من تنظيم الأسرة هى **علاقة غير دالة**(١) .

فقد دلت الشواهد الواقعية التى وقفنا عليهــا خلال دراستنا هــذه على أن السلوك الانجابى والموقف من تنظيم الأسرة يتجاوز الاعتبارات والأبعــاد الطبقية ٠ بل ان العامل الطبقى يتضاءل فى بعض الحالات أمام مقتضيات الواقع الاجتماعى،وسطوة بعض عناصر التراث،وانساق القيم والمعتقدات المتصلة بالخصوبة والانجاب ٠ فهناك فى مختلف الطبقات دوافع بعينهــا وراء كثرة الانجاب والرغبة فى انجاب المزيد من الأطفال ٠ من ذلك مثلا ، ما يتصل بالمفاضلة بين الأطفال وفقا للنوع ، وتفضيل الذكور على الاناث، والرغبة الملحة فى انجاب الذكور ٠ ويمكن الرجوع فى هذا المقام الى الحالة الأولى والحالة الرابعة بقــرية ( أ ) ٠ كمــا يمكن التحقق من ذلك أيضــا بالرجوع الى الشرعية الاجتماعية التى تستمدها المرأة من الأبنــاء الذكور فى قرية (ب) ، والتى يمكن الوقوف عليهــا بالرجوع الى الحالتين الأولى والرابعة من الحالات المدروسة بهذه القرية ٠

وقد يمثل العامل الدينى قاسما مشتركا اعظم لدى كثيرين من معارضى تنظيم الأسرة ، الذين ينتمون الى أوضاع طبقية مختلفة ٠ ولعل هنــاك ما يقوم دليل صدق على ذلك من واقع الحالات السابقة ٠ فقد قرأنا ما جاء على لسان بعض الاخباريين فى الأسر غير المستجيبة بقريتى الدراسة من أن التنظيم «حرام» ، و «تدخل فى ارادة الخالق وكفر» ، و « مشاركة لربنا فى حكمه» ، و «بدعة» ، ٠٠ الخ ٠

وينطبق نفس الأمر أيضا على النظــرة للمرأة فى مختلف الأوضــا الطبقية ٠ فهناك من يؤمنون بان المرأة قد خلقت من أجل القيام بواجبات محددة وهى الحمل والانجاب وتربية الأطفال وتدبير الأمور المنزليــة ٠ والنظرة للمرأة على هذا النحو تتضح أيضا بالرجوع الى الحالات المدروسة، حيث لا يبدو الأمر مقتصرا على طبقة أو شريحة طبقية بعينها،وانما يمتد ليشمل طبقات وشرائح طبقية مختلفة تجمع بين المستويات الدنيا والعليا على السواء ٠

ومن جانب آخر ، فان الانجاب الكثير وزيادة حجم الأسرة قد يمثل مطلبا هاما فى ضوء النشاط الاقتصادى الزراعى التقــليدى الذى تقــوم به

الأسر الريفية الفلاحية . وخاصة فى ظل النقص الواضح فى العمالة الزراعية وارتفاع الأجور ، وعدم كفاية الملكية الزراعية .

واذا كانت هناك دوافع مشتركة وراء الموقف من تنظيم الأسرة على النحو السابق ، فان هناك أيضا أسبابا ودوافع مختلفة وراء تبنى نفس المواقف من جانب كثير من الناس فى مختلف الأوضاع الطبقية . فمن الأغنياء وميسورى الحال فى الطبقتين العليا والوسطى من لا يرون مبررا لتنظيم الأسرة مادامت هناك سعة اقتصادية ومقدرة على الانفاق واعالة أكبر عدد من الأطفال . وعلى الجانب الآخر ، هناك من ابناء الطبقة الدنيا من يتخذون موقفا مناهضا لتنظيم الأسرة ومحبذا لانجاب المزيد من الأطفال مادام هؤلاء الأطفال يمثلون اضافة الى قوة العمل المأجور التى تعتمد عليها كثير من أسر هذه الطبقة الدنيا فى كسب الرزق . ويمكن التحقق من ذلك بالرجوع الى الحالات الأربع الأولى بقرية (ب) ، والحالات الثلاث الأخيرة بقرية ( أ ) . فالحالات الأربع الأولى تحبذ المزيد من الانجاب عن سعة ومقدرة ، والحالات الثلاث الأخيرة تحبذ المزيد من الانجاب **عن فقر وعوز واحتياج الى عمالة الأطفال .**

وبالاضافة الى ذلك ، فان من الأغنياء وميسورى الحال من يحرصون على انجاب المزيد من الأطفال حتى يخلفوا ورثة لهم يرثون ثرواتهم ناهيك عن الرغبة فى امتلاك «العزوة» والمكانة الاجتماعية من خلال الحجم الكبير للعائلة وخاصة زيادة عدد الذكور ، الذين يحققون ثقلا سياسيا للعائلة الى جانب المكانة الاجتماعية . واذا كان الأغنياء يحرصون على انجاب المزيد من الأطفال لهذه الأسباب مثلا ، فان الفقراء يحرصون أيضا على المزيد من الانجاب ولكن لأسباب أخرى جد مختلفة . **فالآخرون يرون فى الأطفال عونا وسندا على المدى القريب والمدى البعيد .** فعلى المدى القريب أو العاجل ، يشارك الأطفال فى العمل وتأمين مصدر دخل الأسرة حتى يمكنها الاستمرار فى الحياة . أما على المستوى البعيد أو الآجل، فان الأطفال (عندما يكبرون) يكونون عنصرا هاما لتأمين الوالدين وكفالتهم فى ظروف الكبر والشيخوخة والعجز عن العمل(٢) .

**ثانيا ـ التعليم والموقف من تنظيم الأسرة :**

لا يختلف اثنـان حول أهميـة التعليم كعامل هام من بين العوامل الايجابية فى ترشيد الاتجـاهات والسلوك ازاء القضايا الاجتماعية الهـامة المطروحة ، ومنها قضية تنظيم الأسرة . فهذه حقيقة تؤكدها الدراسـات العديدة فى هذا المجال . غير أن التعليم لا يلعب هذا الدور بصورة مطلقة، وانما هناك عوامل واعتبارات عديدة تتدخل فى تحديد مدى ايجابية هذا العامل وفاعليته . وقد رأينا فى مواضع سابقة كيف ان تاثير التعليم يختلف باختلاف الاطار الاجتماعى الثقافى الذى يوجـد فيه . والدليـل على ذلك أن التعليـم لم يؤثر على نحو ايجابى فى اتجاهات الناس حيال تنظيـم الأسرة بقـرية (ب) ، حيث تتضاءل آثاره الايجابية أمام سطوة عنـاصر التراث ، وغلبة العامل الدينى ، والقدرية ، وقوة الالزام الاجتماعى وشدة الروابط القرابية . بينما ظهرت بوادر هذا التاثير الايجـابى واضحة فى قرية ( أ ) حيث الانفتـاح على العالم الخارجى ، وظهور بعض سـمات التحضر ، وميل الأسر الممتدة الى الانقسام واضطراد نمو النمط النـووى للأسرة .

التعليـم يؤتى ثماره الايجابيـة عندما يتحرر الانسان من الضغوط الاجتماعية التى تفرضها الحياة فى اطار الأسرة الممتدة . والتحرر من هذه الضغوط لا يتاتى عن طريق الانفصال عن الأسرة الممتدة بالضرورة ، وانما **يمكن أن يتحقق عن طريق امتلاك القدرة على المشاركة فى اتخاذ القرارات، وعدم الاذعان لارادة السلطة التقليدية فى الأسرة.** وقد رأينا كيف استطاعت الاخبارية المتعلمة فى الأسرة الثالثة بقرية ( أ ) أن تتخذ من التعليم مصدرا للقوة والقدرة على اتخاذ القرار ، والسلوك الايجابى فى اتجـاه تنظيـم الأسرة . بينما لم يستطع الاخبارى المتعلم فى الأسرة الثانية بقـرية (ب) اتخاذ مثل هذا الموقف .

والحديث عن التعلييم يتصل أيضا بالبعد الطبقى ، وعمالة الأطفال، والتمييز بين الأطفال وفقا للنوع ، وطبيعة الاطار الاجتماعى الثقافى.ففى القرية التقليدية (ب) يلاحظ عدم الاقبال على تعليم البنات . فهذا موقف يشترك فيه أهالى القرية جميعا على اختلاف انتماءاتهم الطبقية ، حيث

يقتضى ذلك الاطار الاجتماعى الثقافى السائد • بينما يختلف الأمر فى قرية ( أ ) ، حيث لا توجد غضاضة فى تعليم الاناث ، وهناك منهن من حصلن على شهادات دراسية وعملن بالوظائف الحكومية •

ومن الملاحظ أن هناك علاقة بين الوضع الطبقى ، والتعليم،وعمالة الأطفال • فقد ذكرنا فيما سبق أن بعض أسر الطبقة الوسطى التى تحرص على تعليم أبنائها ، باعتبار أن تعليمهم «رسالة فى الحياة» ، وطريقا لتامين مستقبلهم ، هذه الأسر لا تميل الى استخدام الأطفال كمصدر للدخل من خلال الزج بهم فى سوق العمل المأجور • ويمكن الرجوع فى ذلك الى الحالتين الثالثة ، والخامسة بقرية ( أ ) • ومن ثم فان هذه الأسر تتبنى موقفا ايجابيا من تنظيم الأسرة حيث لا يكون هناك داع لانجاب مزيد من الأطفال ، حتى تتاح الفرصة لتربية وتعليم القليل منهم •

أما فى الطبقة الدنيا،فان كثيرا من الأسر تجد نفسها بين شقى الرحى• فهى ترغب فى تعليم أبنائها ، وتجد بها حاجة فى نفس الوقت الى الاعتماد عليهم كمصدر للدخل • واتساقا مع هذا الموقف،فان هناك بدائل مطروحة تسلك فى اطارها هذه الأسر الفقيرة : من ذلك مثلا خروج الأطفال الى سوق العمل وابتعادهم عن التعليم اذا كانوا قليلى العدد • أو جعلهم يزاوجون بين التعليم بقدر الامكان،حيث يشاركون فى العمل المأجور خلال الأجازات الدراسية أو عقب العودة من المدارس • أو أن يتفرغ بعضهم الى العمل ويتفرغ البعض الآخر منهم للتعليم ، وهكذا •

وغنى عن البيان أن التعلييم يلعب دورا ايجابيا هاما فىمجال تنظيم الأسرة.فمن المعروف أن التعليم يؤخر نسبيا من سن الزواج بالنسبة للذكور والاناث فيما لو أكملوا مراحل التعليم المختلفة • أى أنه يحد نسبيا من ظاهرة الزواج المبكر ، ويحد بالتالى من الخصوبة على أساس تقليل مدى تعرض الاناث البالغات للحمل والانجاب • ومن جهة أخرى ، فان التعليم يمكن أن يهيىء الناس للمشاركة فى تحمل مسئولياتهم والقيام بما يمليه عليهم واجبهم حيال قضية قومية كالمسالة السكانية •

**ثالثا ـ عمالة المراة والموقف من تنظيم الأسرة :**

تتحدد مواقف المرأة من قضية تنظيم الأسرة فى ضوء مجموعة من

العوامل الهامة ، منها : حجم الأسرة ، وطبيعة النشاط الذى تؤديه المرأة، ومدى مساهمتها بنصيب فى دخل الأسرة،ومدى قدرتها على اتخاذ القرارات أو المشاركة فيها ، بالاضافة الى التعليم ٠

وتدلنا الحالات المدروسة بقرية ( آ ) على ذلك بوضوح ٠ فعندما يزداد حجم الأسرة نسبيا،وتشعر المرأة بالارهاق نظرا لتكرار مرات الحمل والانجاب ، تتخذ موقفا مؤيدا لتنظيم الأسرة ٠ ويتضح ذلك من الحالة الثانية ، والحالة السادسة ٠ وتتخذ المرأة موقفا مؤيدا أيضا عندما يكون نشاطها الاقتصادى محل رعاية واهتمام من جانبها بحيث تحرص على اقامة نوع من التوازن بينه وبين واجباتها الأسرية ٠ ويتضح ذلك بوضوح فى الحالة الثالثة ٠ كما يمكن الوقوف فى الحالات : الثالثة ، والسادسة ، والثامنة على مصادر القوة التى تساعد المرأة على اتخاذ القرار فى الاتجاه المؤيد لتنظيم الأسرة ٠ ومنها التعليم ، والمشاركة الاقتصادية ٠

وأذا كانت هناك عوامل تؤدى الى اتخاذ مواقف ايجابية من جانب المرأة حيال تنظيم الأسرة على هذا النحو ، فان هناك عوامل تدفعها الى رفض الفكرة واستهجانها٠من ذلك مثلا ، الرغبة من جانب المرأة وزوجها فى انجاب الولد ، كما يتضح من الحالة الرابعة فى نفس قرية ( أ ) ٠يضاف الى ذلك طبيعة النشاط المرهق الذى تقوم به المرأة فى نفس الأسرة حيث تزاول أعمال الحقل بالاضافة الى واجباتها المنزلية،مما يعرضها للاجهاض ووفيات الأطفال ٠ ومن ثم لا يكون أمامها من سبيل سوى متابعة الحمل والولادة حتى تعوض ما تفقده خلال حوادث الاجهاض والوفاة ٠

**رابعا ـ حجم الأسرة والموقف من تنظيم الأسرة :**

من اللافت للنظر أن حجم الأسرة يميل الى الكبر نسبيا فى قرية ( أ ) على الرغم من الاقبال على تنظيم الأسرة فى هذه القرية ٠ بينما يوجد عكس هذا فى قرية(ب) ٠وقد دلت الشواهد الواقعية التى وقفنا عليها خلال دراستنا هذه على بعض الحقائق المتصلة بذلك ، منها :

١ ــ أن تبنى مواقف مؤيدة لتنظيم الأسرة فى القرية الأولى لم يات الا متاخرا،أى بعد أن كبر حجم الأسرة وحدث نوع من التشبع ، ان جاز

هذا التعبير. والدافع الى تبنى هذه المواقف هو بالدرجة الأولى دافع صحى يتعلق بانقاذ ما يمكن انقاذه من صحة الزوجة، التى ينهكها ويرهقها تكرار مرات الحمل والولادة يستثنى من ذلك الحالتان الثالثة ، والخامسة. ففكرة الحجم الأمثل للأسرة ـ باستثناء هاتين الحالتين الأخيرتين ـ غير واردة على ذهن أحد . بمعنى التخطيط لعملية الانجاب على أساس تبنى فكرة الحجم الصغير .

٢ ـ أن ارتفاع معدلات وفيات الأطفال ، نظرا لسوء الرعاية الصحية وتدنى مستوى الوعى الصحى ، ، منتشر بالقرية الثانية ، بالاضافة الى ارتفاع نسبة العقم بين الرجال والنساء . ويرجع هذا فى الغالب الى الزواج الداخلى الذى يساعد على ظهور كثير من الأمراض الوراثية . ومن ثم فان حجم الأسرة يبدو منخفضا نسبيا فى هذه القرية عنه فى القرية الأولى ، وذلك على الرغم من وجود ظاهرة التعدد فى مرات الزواج بالنسبة للنساء، وتعدد الزوجات بالنسبة للرجال .

خامسا ـ نمط الأسرة والموقف من تنظيم الأسرة :

تحدثنا فى مواضع سابقة عن العلاقة بين الأسرة الممتدة وبين الأسرة النووية ، وكيف تشكل الأولى فى كثير من الأحيان شكل حياة الثانية . وعرضنا بما فيه الكفاية لطبيعة الدور الذى يؤديه جيل الوالدين فى الأسرة الممتدة (وخاصة الحماة) فيما يتعلق بمسائل الحمل والانجاب الخاصة بجيل الأبناء. وتدلنا الحالات السابقة على ان العلاقات الاجتماعية فى اطار الأسرة الممتدة ، كثيرا ما تكون علاقات تنافس وتسابق بين «السلايف» فى الحمل والانجاب ، خاصة اذا كانت بعضهن غير منجبات لأولاد ذكور .

وينطبق نفس الأمر أيضا على الأسرة المشتركة . ففى هذا النمط من الأسر ، الذى يبدو واضحا وشائعا فى قرية (ب) ، ويلاحظ أن العلاقات بين «الضراير» تتخذ شكلا تنافسيا أيضا فيما يتعلق بالحمل والانجاب . فمكانة المرأة ، وشرعيتها الاجتماعية ، تستمد من انجاب الأبناء الذكور . ان هناك نوعا من الاضطراد الايجابى فى العلاقة بين المكانة والشرعية وبين زيادة عدد الأبناء الذكور للمرأة .

أما الأسرة النووية المستقلة ، فانهـا تكون فى وضـع ملائم لاتخـاذ القرارات الخاصة بتنظيم الأسرة دون التعرض لضغوط من جانب الآخرين على نحو ما يحدث فى الأسرة الممتدة . ويمكن التحقق من ذلك بالرجوع الى الحالات : الخامسة ، والسادسة ، والثامنة بقرية ( أ ) . كمـا يمكن الوقوف عـلى مدى تأثير الأسرة الممتـدة فى الأسرة النووية بالرجوع الى الحالات : الأولى ، والثانية ، والثالثة بنفس القرية ، والحالتين الأولى ، والثانية بقرية (ب).أما طبيعة العلاقات الخاصة بالحمل والانجاب داخل الأسرة المشتركة ، فانه يمكن الوقوف عليها بالرجوع الى الحالتين:الثالثة، والرابعة بنفس القرية الأخيرة .

سادسا ـ نمط الزواج والموقف من تنظيم الأسرة :

يتخـذ الزواج أنماطا متعددة : فهنـاك الزواج الأحادى ، والزواج التعددى . وهناك الزواج الداخلى ، والزواج الخارجى . وهناك الزواج المفروض ، والزواج الارادى . وهناك الزواج المبكر ، الزواج غير المبكر ، .. الخ .

وبالنظر الى حالاتنا المدروسة ، يلاحظ ما يلى :

١ ـ أن الزواج الأحادى شائع فى قرية ( أ ) ، والزواج المتعدد شائع فى قرية (ب) .

٢ ـ أن الزواج الداخلى شائع فى قرية (ب) ، وأقل شيوعا فى قرية ( أ ) . ويرجع شيوع الزواج الداخلى فى القرية الأولى الى طبيعة البنـاء الاجتماعى وشدة الروابط القرابية ، والعزلة الفيزيقية ونقص الاتصـال بالعالم الخارجى . فى حين يبدو الأمر مختلفا فى قرية ( أ ) ، التى شهدت انفتاحا على العالم الخارجى ، واتصالا وثيقا بالمناطق الحضرية ، وتحولا فى المجال الاقتصادى ، وزيادة فى التعليم .

٣ ـ أن الزواج المتعـدد أكثر شيوعا فى قرية (ب) حيث يوجد نمط الزواج المفروض ، وهو زواج داخلى من داخل الوحدة القرابية . بالاضافة الى نمط الزواج الارادى الـذى لا يـكون بالضرورة من داخـل الوحـدة القرابية . أو حتى من داخل المجتمع المحلى .

٤ ـ أن الزواج المبكر يبدو شائعا فى القريتين معا .

وغنى عن البيان أن الأمراض الوراثيـة وضعف التناسل تكون أكثر ورودا حيث ينتشر الزواج القرابى كما ذكرنا من قبل . وفى ظل هذا الاطار لا تكون هنـاك امكانية لتبنى موقف مؤيد لتنظيم الأسرة . حيث ترتفع نسب وفيات الأطفال ، وحالات الاجهاض،والعقم أو تأخر حدوث الحمل، .. الخ . وعلى ذلك ، فانه يمكن فهم ديناميات الموقف المعارض لتنظيم الأسرة بقرية (ب) ، بالاضافة الى العوامل الأخرى المؤثرة فى هذا المجال، كالعامل الدينى ، والقدرية ، وطبيعة النشاط الزراعى التقليـدى ، وغير ذلك من السمات المميزة للاطار الاجتماعى الثقافى التقليدى .

وعـلى الرغم من أن الزواج المبكر يمثـل نمطا شائعا مشتركا بين القريتين ، وهذا يؤدى بدوره الى ارتفاع معدلات الخصوبة فى كل منهما ، فان حجم الأسرة فى قرية ( أ ) أكبر منه فى قرية (ب) . ويتضح الفارق فى حجم الأسرة بين القريتين.بالنظر الى ظروف كل منهما على النحوالسابق.

**سابعا ـ مشاركة المرأة فى اتخاذ القرار والموقف من تنظيم الأسرة :**

هناك علاقة ايجابية بين قدرة المرأة على المشاركة فى اتخاذ القرار ، والموقف المؤيد لتنظيم الأسرة . وبالرجوع الى الحالات المستجيبة فى قرية ( أ ) وهى الحالات : **الثانية ، والثالثة ، والخامسة،والسادسة،والثامنة،** يلاحظ أنها جميعا ـ باستثناء الحالة الثانية ـ تتميز بقـدرة المرأة عـلى المشاركة فى اتخاذ القرار . بل ان منها ما تكون فيه المرأة منفردة باتخـاذ القرار فيما يتعلق بالموقف الايجابى فى اتجاه تنظيم الأسرة ، كمـا يتضح فى الحالات : **الثالثة ، والسادسة ، والثامنة .**

وممـا يدعم من هذه العـلاقة ما يلاحظ فى قرية (ب) حيث يختفى المتغيران معا : فلا توجد استجابة لتنظيم الأسرة ، كما لا توجد قدرة على المشاركة فى اتخاذ القرار من جانب النساء ، باستثناء الزوجة فى الحـالة الأخيرة التى تمثل نمطا يشذ عن المألوف فى القرية .

وقد ذكرنا من قبل أن المرأة تستمد قدرتها على المشاركة فى اتخـاذ القرارات من مصادر عديدة،أهمها المشاركةفىالأنشطة الاقتصادية والمساهمة

فى دخل الاسرة ، الى جانب التعليم • وهناك أيضا ما يدل على امتــلاك المرأة للقدرة على المشاركة فى اتخــاذ القــرار من مصادر أخرى ، كلاستئثار بحب الزوج وغيرته (كما يبدو فى الحالة السادسة بقرية ( أ ) ، والاحترام الذى يكتسبه المرء من خلال تفاعله مع الآخرين(كما يبدو فى الحالة السابعة بنفس القرية ) •

**ثامنا ـ نسق القيم والمعتقدات الخاصة بالانجاب والموقف من تنظيم الأسرة:**

هناك كثير من القيم والمعتقدات التى تتحدد فى ضوئها مواقف الناس من قضية تنظيم الأسرة • وقد أشرنا من قبل الى القيم الدينية،والقدرية، وتفضيل الذكور على الاناث ، والشرعية الاجتماعية التى تستمدها المرأة من الأبناء الذكور ، ومفهوم «العزوة» ، والمكانة الاجتماعيــة والسياسية •• الخ • غير ان هنــاك أيضا قيما ومعتقدات لها تاثيرها البــالغ فى هذا المجال • من ذلك مثلا ما يتصل بعالم الملائكة ، وكيف ان الملصقات التى تحمل شعارات تنظيم الأسرة تؤدى الى طرد الملائكة من منازل الناس فى قرية (ب) • ومن هذه المعتقدات أيضــا ما يتصل بعــالم الكائنــات فوق الطبيعية الأخرى،كالقرين،والجن،•• الخ • ومنها ما يتصل «بالمشاهرة» والممارسات السحرية الخاصة بالحمل • ويدخل فى هذا الاطار أيضا طبيعة النظرة الى المرأة العاقر ، والمرأة الحائض ، والمرأة فى فترة النفاس ، •• الخ • فهذه كلها ، وغيرها ، تزخر بها الثقافة التقليدية فى القرية (ب) على نحو أوضح منه فى القرية ( أ ) •

ويلاحظ أن هذه القرية التقليدية أيضا تضفى معان معينة على مفهوم **«الذكورة»** ومفهوم **«الأنوثة»** • فالذكورة فى نظر أبنــاء قرية (ب) تعنى الفحولة والقدرة الجنسية ، والقدرة على انجاب أكبر عدد من الاطفال • كما تعنى «الأنوثة» قدرة المرأة على الحمل والولادة ، وانجاب الذكور • هكذا تضفى هذه المعانى على الرجال والنساء مكانة اجتماعية وتقديرا لدى أبناء المجتمع المحلى • وبالتالى فان المكانة والتقدير تنتقص فيما لو كان هناك نقص فى مقومات الذكورة والأنوثة على النحو المذكور •فتأخر حدوث الحمل يجعل الزوجة مهددة اما بالطلاق ، او بزواج زوجها بامرأة أخرى• ويحدث نفس الشىء لو لم تأت الزوجة بمولود ذكر • وفى ظل هذا الاطار ،

لا يستجيب أحد لتنظيم الأسرة . وقد ذكرنا فيما سبق أن أهالى هذه القرية يستهجنون فكرة التنظيم ويرفضونها شكلا وموضوعا .

أما فى قرية ( أ ) ، فان هناك شيئا من ذلك ايضا، ولكن على تفاوت فى الدرجة . فهناك متسع للفكر الغيبى والممارسات التقليدية فى مجال الحمل والانجاب ، كما أن هناك متسعا أيضا للفكر العقلانى الرشيد والممارسات الحديثة فى نفس المجال . والدليل على ذلك واضح ويمكن الوقوف عليه بالرجوع الى الحالات المدروسة بهذه القرية .

## الحواشي والمراجع

(١) وهكذا تختلف دراستنا فى هذه النقطة مع ما انتهت اليه دراسات سابقة أجريت حول الطبقات الاجتماعية والسلوك الانجابى · ومنها دراسة السيد الحسينى حول نفس الموضوع ، والتى انتهى فيها الى ان «·· حجم الأسرة ، وتفضيل انجاب الذكور ، وقيمة الأبناء ، والمكانة التى يضفيها الانجاب عى الرجل والمراة ، ترتبط ارتباطا عكسيا بالبناء الطبقى والبعد الريفى ـ الحضرى · ففى المستويات الطبقية الدنيا نجد ان الأفراد يفضلون الأسرة الكبيرة الحجم ، ويفضلون انجاب الذكور ، ويقدسون قيمة الأبناء · ويعتقدون أن انجاب أكبر عدد ممكن من الأبناء يضفى مكانة على الرجل والمرأة ··» · انظر : السيد الحسينى ، الطبقة الاجتماعية والسلوك الانجابى ، مجلة دراسات سكانية ، العدد ٣٣ ، يونيو ١٩٧٦ ·

(٢) هناك كثير من الدراسات التى تناولت هذه النقطة بالتفصيل ، انظر:

Robert, J. Willis; "The old Age Security Hypothesis and Population Grouth", in: Thomas K. Burch (edr.); **Demographic Behavior. Interdisciplinary Perssectives on Decision - Making**, AAAS Selected Symposium 45, Western Press, USA, 1980, pp. 43-69.

# الفصل السادس

## القرية كحالة للدراسة المتعمقة

## (الاسلوب التقليدى ومستوى الباحث الفرد)

## مقـــــــدمة :

هناك دراسات أنثروبولوجية كثيرة ، أجريت فى مصر وفى خارجها ، يمكن الاستشهاد بها على مستوى التناول الذى نقدمه فى هذا الفصل ، اى دراسة القرية دراسة متعمقة بواسطة باحث أنثروبولوجى فرد . غير اننـا سنقدم هنا نموذجا نضرب به مثلا لتوضيح المعنى المقصود . وهو نموذج من المملكة العربية السعودية . فقد قامت الباحثة اليابانية «موتوكو تاكورا» Motoko Katakura بدراسة أنثروبولوجية لمنطقة «وادى فاطمة» بالمنطقـة الغربية من المملكة العربية السعودية . مع دراسة متعمقة لقرية «بشور» ، احدى قرى الوادى .

والباحثة كاتاكورا ، باحثة فى جامعة طوكيو باليابان ، وحصلت على منحة دراسية من جامعة كولومبيا فى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية. وكان زوجها خلال هذه الفترة التى اجريت فيهـا دراستها هذه ، أى من ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧٠ ، يعمل سكرتيرا أول بالسفارة اليابانية فى المملكة العربية السعودية . وقد شجعها وجودها معه على اجراء هذه الدراســة ، التى استغرقت عشرين شهرا خلال الفترة المذكورة .

لقد حرصت الباحثة على تعلم اللغة العربية واجادتها قبـل البـدء فى الدراسة . فقد كانت تود أن تصبح جزءا من الثقافة ، ومن حياة النــاس فى منطقة الدراسة باقصى ما تستطيع . كما انها ، كباحثة أنثروبولوجيــة واعية ، كانت تؤمن ايمانا راسخا بأن اتقان اللغة المحلية ، وما تشمله من خصائص عامية ، يجعل المرء يتحدث الى الناس مباشرة ، ويتواصل معهم دون حواجز أو وسطاء للتفسير . وهذا امر على درجة بالغة من الأهميــة بالنسبة للباحث الأنثروبولوجى ، وخاصة اذا كان غريبــا ولا ينتمى الى الاطار الاجتماعى الثقافى الذى يدرسه .

ولم يقتصر الأمر على تعلم اللغـة العربية واتقانها فحسب ، وانما حرصت الباحثة أيضــا على تفهم عادات وتقاليد ســكان المنطقة . وكانت

تلتزم بها بكل دقة ، حتى تقلل من الصعوبات التى تواجهها بقدر الامكان. فكانت ترتدى زى نساء المنطقة،وهو الجلباب والعباءة والبرقع.كما كانت تتصرف مع أهالى المنطقة وفقا للتقاليد المرعية ، حيث كانت عندما تستقبل ضيوفا منهم بمنزلها فى مدينة جده ، تجعل مكانا خاصا لاستقبال النساء وآخر لاستقبال الرجال.وكانت تقدم واجب الضيافة لكل منهما على حدة .

وقد واجهتها صعوبات كثيرة فى بادىء الأمر . ولكنها استطاعت ان تتغلب عليها بالصبر والمثابرة والاصرار . ومن بين هذه الصعوبات ، انها امرأة . ولا يمكن للنساء قيادة السيارات فى المملكة العربية السعودية . كما أن هناك محاذير على ركوب المرأة سيارات الأجرة دون مصاحبة أحد من محارمها . كما أن هناك حظرا على مرور الأجانب غير المسلمين من طريق مكة ـ جده عند الطريق المؤدى الى منطقة الدراسة . ولذا فانها كانت تسلك فى كل مرة تنتقل فيها من جده الى وادى فاطمة ، طريقا وعرا جدا . اذ كانت تستقل فى معظم رحلاتها شاحنة نقل ، من تلك التى حلت محل الجمل التقليدى . وهى شاحنات تحمل الخضروات من وادى فاطمة الى السوق بمدينة جده ، وروث الأبقار من جده الى وادى فاطمة ، حيث يستخدم كسماد عضوى للمزارع ، ومما كان يزيد من حدة المعاناة أن السيارات كانت «تغرز» فى الرمل ، بسبب ثقل حمولتها ، وعندئذ يتعين على السائق أن يخرج من السيارة ليخوض معركة تحت قيظ شمس الصحراء من أجل تخليص عجلاتها المغروزة .

وكانت هناك شكوك حقيقية ، وكراهية واضحة رات الباحثة ان تواجهها وأن تتغلب عليها قبل الشروع فى البحث.فكثير من أهالى المنطقة لا يمكنهم تفهم السبب وراء زيارة امرأة أجنبية لهم بانتظام ، وتوجيه أسئلة اليهم . وكان كثير منهم يقاومون الادلاء بأية معلومات عن أمور كانوا يعتبرونها من خصوصياتهم.وفى القرى المأهولة حديثا بالسكان كقرية بشور ، أنفقت الباحثة مزيدا من الجهد والوقت لكى تفوز بثقة المجتمع المحلى وقبوله . وتحكى أنها فى ذات مرة رأت امرأة تقبض على حفنة من الرمل وتهم بأن تقذفها بها . وعندما أحضرت اليهم حلوى وهدايا صغيرة،

رفضت البالغات من النساء قبولها منها ، وكن يعنفن أطفالهن بقسوة اذا امتدت أيديهم لأخذ شيء منها .

غير أن الباحثة استطاعت أن تتغلب على تلك المشكلات . ومن بين الوسائل التى ساعدتها على ذلك ، **انها تطوعت لتعليم البنات الصغيرات فى قرية بشور القراءة والكتابة باللغة العربية** ، مستعينة فى ذلك بكتب مدرسية حصلت عليها من جده . كما عجل بتدعيم موقفها أيضا ، أن صغرى بنات شيخ القرية قد أصيبت بمرض ، **وقد بذلت الباحثة جهدا فى رعايتها طوال فترة المرض حتى شفيت** . مما جعل الأهالى يطلبون منها المساعدة فى مثل هذه الحالات المرضية التى يتعرضون لها.وهكذا استطاعت أن تحظى بثقة المجتمع المحلى وقبوله . وتدلل على ذلك بانها كانت تتلقى دعوات للمشاركة فى أفراح بعض أقارب لأهالى القرية المقيمين فى قرى أخرى . هذا بالاضافة الى أفراحهم بطبيعة الحال . ومما يؤكد هذه الثقة أيضا ، انها قد استطاعت التقاط بعض الصور الفوتوغرافية القليلة التى توضح بعض ملامح الحياة اليومية،وذلك على الرغم من معارضة المجتمع المحلى لذلك معارضة شديدة .

ولقد نشرت هذه الدراسة فى كتاب صدر باللغة الانجليزية فى عام ١٩٧٧ ، عن مطبعة جامعة طوكيو ، بعنوان : **قرية بدوية . دراسة لمجتمع عربى سعودى فى مرحلة التحول**[١] . ويتصدر هذا الكتاب تقديم بقلم البروفيسور جاكوب هورفيتز J. C. Hurewitz مدير معهد الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا فى ذلك الوقت . وقد نوه فى هذا التقديم الى ملامح التغير الذى شهدته المملكة العربية السعودية فى الآونة الأخيرة ، موضحا أن زيادة عوائد المملكة من النفط قد مكنتها من اعداد خطط للتنمية . مما عجل بحدوث التغيير ، كما أشاد بالمثابرة التى ابدتها الباحثة ، وبالبراعة المنهجية التى تتميز بها . فضلا عن **نجاحها فى اكتساب ثقة الأهالى ومحبتهم وتعاونهم** ، حتى أنهم كانوا ينادونها «بالحاجة منى» ، فانها كفنانة وخبيرة بالتصوير الفوتوغرافى قد نجحت فى التقاط صور ، ورسمت رسوما تخطيطية للمنازل والخيام والأكواخ والملابس والأثاث المنزلى لكى تثرى دراستها الوصفية لجوانب الثقافة والحياة اليومية لأهالى المنطقة

التى تدرسها ٠ وقد استطاعت أن تجرى مقابلات مع الرجال لتجمع منهم مادتها العلمية ، وهو ما لا تستطيع باحثة سعودية أن تقوم به بأى حال من الأحوال ٠

وقد أجرت الباحثة دراستها على مستويين ، يتناول أولهما «منطقة وادى فاطمة» ككل ٠ ويتناول الثانى دراسة متعمقة لقرية «بشور»٠ويعتبر القسم الأول تمهيدا ومدخلا للدراسة المتعمقة التى يتضمنها القسم الثانى ٠ وسوف أعرض هنا باختصار لكل من هذين القسمين،وذلك علىالنحوالتالى:

## أولا ـ منطقة وادى فاطمة

أبرزت الدراسة معالم منطقة وادى فاطمة من جوانب مختلفة،تشمل السمات الفيزيقية ، والخلفية التاريخية ، وطبيعة النشاط الاقتصادى ، والخصائص السكانية ، والاجتماعية والثقافية ٠ ويمكن الوقوف على ذلك بايجاز فيما يلى :

### ١ ـ الظروف الفيزيقية :

### ( أ ) الموقع الجغرافى :

تقع قرية (الجموم) فى وسط وادى فاطمة تقريبا ، وتبعد حوالى ٧٥ كيلو مترا شرقى جده ، وحوالى ٣٠ كيلو مترا غربى مكة ٠ ويبدأ الجزء الرئيسى من الوادى فى الشمال الشرقى لقرية المبارك ٠ ثم يتجه غربا ، ثم يميل ميلا خفيفا جهة الجنوب لمسافة ٧٠ كيلو مترا لأقصى الغرب من قرية «الهدا» التى تقع على مسافة ٤٠ كيلو مترا من ساحل البحر الأحمر ٠ ويبلغ متوسط عرض هذا الوادى حوالى أربعة كيلو مترات بين سلسلة الجبال ٠ وهناك حوالى عشرة وديان تمتد الى أقصى للشمال والجنوب ، وتنتهى كلها فى وادى فاطمة ٠ وينخفض مستوى الأرض من المبارك (خط عرض ٤٥- ٣٩°) حتى الهدا (خط عرض ٣٠- ٢١° ، خط طول ٣٠-٣٩°)٠ وتقع قرية المبارك على ارتفاع يبلغ حوالى٢٤٦مترا فوق سطح البحر٠وتقع قرية سلطان على ارتفاع ٢١٣ مترا فوق سطح البحر ٠ وتقع قرية الجموم على ارتفاع ١٧٠ مترا فوق سطح البحر ٠ وفى أقصى الجنوب الغربى من الجموم ، التى تقع فى وسط وادى فاطمة،تميل التضاريس الى الانخفاض

حتى تبلغ اقصى مدى فى الهدا ، التى يقدر ارتفاعهـا بحوالى ١٢٠ مترا فوق سطح البحر .

ويحاط وادى فاطمة فى الشمال بوادى علاف وحراء النحامية ، وهى منطقة بركانية منبسطة . ويقع طريق مكة ـ جده السريع جنـوب وادى فاطمة . وتنتشر عند حدوده الشرقية جبال صغيرة.ويحده من جهة الغرب درب الرميثى ودرب الكريمى .

(ب) الطقس :

تبلغ متوسطات درجة الحرارة العظمى والدنيا بمنطقة وادى فاطمة خلال شهور السنة الدرجات المبينة بالجدول الآتى :

جدول (٥) توزيع درجات الحرارة على مدار العام بوادى فاطمة

| الشـهر | الدرجة العظمى | الدرجة الصغرى |
|---|---|---|
| يناير | ٣١ر٦٥ | ١٥ر٣٠ |
| فبراير | ٣٣ر٢٠ | ١٤ر٧٥ |
| مارس | ٣١ر٧٥ | ١٣ر٨٠ |
| ابريل | ٣٣ر٢٥ | ١٥ر٦٥ |
| مايو | ٣٤ر٦٥ | ١٨ر٩٥ |
| يونيو | ٤١ر٥٥ | ٢٣ر٧٥ |
| يوليو | ٣٩ر٣٥ | ٢١ر٧٥ |
| اغسطس | ٤٠ر٥٠ | ٢٦ر ـ |
| سبتمبر | ٣٥ر٦٥ | ٢٣ر٧٠ |
| أكتوبر | ٣٤ر٢٥ | ٢٢ر ـ |
| نوفمبر | ٣٣ر٨٥ | ١٩ر٧٥ |
| ديسمبر | ٣٢ر٤٠ | ١٧ر٠٥ |

وأما عن اتجاه الرياح السائدة فى وادى فاطمة،فانها تاتى من الغرب أو الشمال الغربى ، ويتحول الى رياح شمالية شرقية ما بين شهرى ديسمبر

وفبراير ، وخاصة عندما تمطر ليلا . ففى الفترة ما بين أكتوبر ١٩٦٨ ومايو ١٩٧٠ تسببت الأمطار الغزيرة فى سيول حدثت مرتين فى شهر نوفمبر ١٩٦٨ ، وثلاث مرات فى شهر ديسمبر من نفس العام ، ومرتين فى يناير ١٩٦٩ ، ومرة واحدة فى كل من مارس ١٩٦٩ ، وينـاير ١٩٧٠ . أى أن تسع فترات من المطر الغزير قد حدثت فى خلال عشرين شهرا . وقد حدثت الأمطـار فى ست من هذه الفترات خلال الليل . وقد جفت معظم السيول خلال يوم أو يومين . ويقدر متوسط الأمطار السنوى بكمية تتراوح بين ١٠٠ و٢٥٠ ملليمتر .

**(جـ) التضاريس والطبقات الأرضية :**

تحيط بوادى فاطمة سلسلة من النتوءات الصخرية والجبال ، مثل جبل داف ، وجبل مكسر ، وجبل أبو غوره،وتبلغ ارتفاعاتها على التوالى ٨٨١ متر ، و٧٧١ مترا ، و ٦٢٠ مترا فوق سطح البحـر . ويوجد خام الحديد بوادى فاطمة ، لدرجة تبشر بأن تصبح هذه المنطقة احدى المصادر الرئيسية لتنميـة صناعة الصلب فى المملكة . ففى فبراير عـام ١٩٥٤ تم اكتشاف رواسب حديد بعمق خمسة أمتار تبلغ نسبة الحـديد بهـا ٤٦٪ ، وذلك على قمة جبل رملى على طريق الجموم ـ عسفان فى الجزء الشمالى من وادى فاطمـة . وهذا الاكتشـاف أعقبته سلسلة اخرى من الاكتشافات الهـامة فى أجزاء أخرى من الوادى . ويجـرى حفر منـاجم فى منطقتين متباعدتين بمسافة ٢٥ كيلو مترا . وتقع احدى هاتين المنطقتين على بعـد ٢٠ كيلو مترا شمال قرية الهدا ، والأخرى تقع على بعد حوالى عشرة كيلو مترات شرق الهدا على طريق مكة ـ جده . وتحتوى منطقة خام الحديد الأولى على حوالى ٢٦ مليون طن من الخام . أما المنطقة الثانية فانهـا تضم حوالى٢٢مليون.ويقدر متوسط الحديد فى هذه الخامات بنسبة ٤٧٪.

**(د) النبـاتات :**

تكثر فى هذه المنطقة أنواع من الأشجار البرية مثل شجر السلم.وهى أشجار ذات أهمية خاصة . حيث تستخدم فروعها سياجا لحمـاية المزارع من الأغنام والماعز ، وكذا لحمـاية الأخيرة من الذئاب والثعالب والقطط البرية . كما توجد بالمنطقة أيضا أشجار السدر . التى يبلغ ارتفاع الواحدة

منها عشرة أمتار • وهى من أشجار الظل • وينمو فى المنطقة أيضا أشجار الليمــون والعنب والجوافة وأنواعا من الخضروات كالشـمام والبطيـخ والطماطم والباذنجان والباميـة والملوخيـة • وغيرها من المحاصيل التى سنتحدث عنها عند تناولنا للجانب الاقتصادى •

(هـ) حيوانات المنطقة :

توجد بهذه المنطقة حيوانات برية كالقطط والثعالب والذئاب • وهى التى تشـكل خطرا على الأغنـام والماعز والدجاج • ولذا فان المزارعين والأهالى يعمدون الى تربية الكلاب لحماية حيواناتهم • كمـا تشاهد فى المنطقة أنواعا من الغزلان ، الا أنها قد تناقصت وفى طريقها الى الانقراض بسبب أعمال الصيد • هذا فيما عدا بعض أنواع من الزواحف كالثعابين ، والعقارب ، والعناكب السامة • أما الطيور ، فمنها الهدهد ، والعقاب •

٢ ــ لمحة تاريخيـة :

يحتل وادى فاطمة مكانة هامة منذ العصر الجاهلى • فقد كان مركزا هاما لمرور القوافل التى تمر بين مكة والمدينة ، وكانت المنطقة التى بهـا الوادى منطقة مزدهرة ومنطقـة سـكنية عامرة نظرا لأنها تضم ينابيـع متدفقة • وهناك اسم قديم يطلق على وادى فاطمة وهو «مر الظهـران» أى منطقة المرور بين سلاسل الجبال •

ولا يدرى أحد متى أطلق على الوادى اسم «وادى فاطمة» • ومن المحتمل أن يكون ذلك بعد سقوط الحـكم التركى العثمانى • وكثـيرا من الشيوخ المعمـرين بوادى فاطمـة يرجعون التسمية الى قصة فتـاة تدعى «فاطمة» • وهى فتاة صغيرة تبلغ من العمر أربعة عشر عاما ، من قبيـلة خزاعة ، احدى القبائل الرئيسية بوادى فاطمة • فقد كانت فاطمة ، على الرغم من حداثة سنها ، فارسة شجاعة ، دافعت عن قبيلتها ومنطقتها بكل قوة وبسالة،وكان لها فضل مساعدة قومها على الانتصار فى كثير من المعارك والغزوات وصد المغيرين • ومما يذكر أن كلا من الفريقين المتحاربين يدعى نسبها اليه • وحتى هذا اليوم ، فان قبيلة خزاعة التى تقطن قرية «دف خزاعة» معروفة بقوتها الفائقة وبشجاعتها • وجدير بالذكر أن اسم «وادى فاطمة» لا علاقة له باسم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم •

٣ ـ النظـام الاقتصـادى :

( أ ) تدل الشـواهد على أن هناك اتجـاها متزايدا نحو استقرار البدو،ومن ثم فان منطقة وادى فاطمة تضم ثلاثة أنماط عمرانية اقتصادية تتفاوت فيما بينها من حيث درجة البداوة والاستقرار،وهى،النمط البدوى، والنمط شبه البـدوى ، والنمط الريفى . ويمكن الوقوف عـلى الملامح الاقتصاديةلكل من هذه الأنماط الثلاثة على نحو ما يبدو منالجدولالتالى:

جدول (٦)

أنماط الحياة لدى الجماعات البدوية ، وشبه البدوية ، والريفية

| النمط المعيشى | وسائل المعيشة | المنتجات التى يمكن بيعها | الحيوانات التى تربى |
|---|---|---|---|
| النمط البدوى | • رعى الغنمورعىالابل (قطعان متجولة فى الصحراء بحثـا عن الماء والعشب) . | • السـمن<br>• الصوف ، والوبر<br>• الجمال ، والغنم | • الابل (أكثـر من ٢٠ رأسـا)<br>• الغنم (أكثر من مائة رأس) |
| النمط شبه البدوى | • اعتماد جزئى عـلى الزراعة التى تنمـو على مياه الأمطار<br>• ممارسة اعمال أخرى غير رعوية ، كالعمل الزراعى بأجر(عمال زراعيون)<br>• صيد الطيور للغـذاء<br>• تربية نحل العسـل<br>• رعى الغنم | • الخضروات كالبطيـخ والشمام وغيرها .<br>• عسل النحل .<br>• اللحـوم . | • الابل (لا تقـل عن ثلاثة رؤوس) .<br>• الغنـم (لا تقـل عن خمسين رأسا) .<br>• الأبقـار (رأس أو رأسين) . |
| النمط الريفى | • اعتماد أساسى على الزراعة باسـتخدام مياه الآبار<br>• ممارسة أعمال أخرى كصناعة منتجـات الخوص<br>• العملكعمالزراعيين، والعمل بالمصـانع بالمدن | • الخضروات كالبطاطا والملوخية ، والبصل الأخضر والطمـاطم والبامية ..<br>• الفـواكه ، كالبلح ، والليمون ، والجوافة<br>• اللحـم ، البيض ، الحمام .<br>• الحمـير . | • غنم(٢ ـ ١٠رؤوس)<br>• حمـير (رأس واحـدة أو اثنين) .<br>• بقر (رأس واحدة أو رأسـين) .<br>• حمـام<br>• دجاج .<br>• أرانب . |

ويمثل النمط وبدوى ، البدو الرعاة ، وهم أهل القبائل ويعيشون فى خيام مجاورة لوادى فاطمة ، ويعتمـدون على تربية الحيوانات كنشـاط

اقتصــادى رئيسى • وجماعات هذا النمط هى جماعات مرتحلة ، تتجول بحثا عن الماء والمرعى ، وتتحرك كل قبيلة بدوية فى نطاق معين يصل الى حوالى أربعين كيلو مترا • وتمتلك كل عائلة بدوية حوالى مائة رأس من الغنم وحوالى ٢٤ جملا • وتعيش هذه الجماعات على ما ينتــج من هذه الحيوانات •

أما النمط شبه البدوى ، أى الجماعات البــدوية شبه المستقرة ، فهى تسكن أكواخا من سعف النخيل • وتتجه نحو الاستقرار الدائم ، الا أنهــا يمكن أن تعود مرة أخرى الى حياة البداوة فى أى وقت•وتبلغ عدد رؤوس الغنم لدى العائلة فى هذا النمط نصف عدد الرؤوس لدى العــائلة فى النمط البدوى•وتقوم الجماعات شبه البدوية بالزراعةالمعتمدة على مياه الأمطار• كما يعمل كثير منهم عمالا زراعيين لدى الجماعات القروية المستقرة •

وأما البدو المستقرون ، أو جماعات النمط الريفى ، فانهم يقيمون فى قرى لها مساجد ومقابر لدفن الموتى•كما أنهم يزاولون الزراعة التى تعتمد على مياه الآبار • وفضلا عن ذلك ، فانهم يزاولون أعمالا وانشطة أخرى للحصــول على دخل اضــافى ، كصناعة المراوح ، والزنابيــل ، والفــرش المصنوعة من سعف النخيل ، والتى تباع فى المدن ، وخاصة فى مكة للحجاج فى مواسم الحج •

(ب) مصادر الماء :

لا يمثل الماء السطحى الذى ينشا عن السيول والمتدفق لوادى فاطمة سوى نسبة ضئيلة •فاغلبه يتحرك فى شكل فيضانات تصب فى البحر الأحمر• أما المياه الجوفية فانهــا تمثل المصــدر الأســاسى للوفاء بحاجة المنطقة • ويتراوح منسوب المياه الجوفية بوادى فاطمة بين عشرة أمتار وثلاثين مترا تحت ســطح البحر • وقد سجلت البيــانات فى عام ١٩٦٩ وجود عدد من العيون والينابيع يبلغ أربعين •

غير أن الدولة قد قامت بسحب الميــاه من هذه الينــابيع والعيــون وتحويلها الى مدينــة جدة فى خطوط للانابيب بمســاعدة بعض الشركات الأجنبية • ففى عام ١٩٥٠ تم انشاء أول خط للمياه من الوادى الى جده

بواسطة شركة انجليزية ، وكانت المياه تصل عبر أنابيب قطرها عشر بوصات ٠ وتصب فى خزانات من الخرسانة سعتها ٤٣١٨ مترا مكعبا ، تقع على بعد ١٤ كيلو مترا شرقى جده علـى طريق جده ـ مكة ٠ ومن هذه الخزانات يتم ضخ المياه فى شبكة مواسير أصغر طبقا لاحتياجات المدينة ٠ ثم توالى بعد ذلك قيام شركات ايطالية ، واسترالية بالتوسع فى مد خطوط المياه من الوادى الى جده ، ثم جاءت شركة عين العزيزية وأتمت فى عام ١٩٦٥ مزيدا من التوسعات فى مشاريع المياه بين وادى فاطمة ومدينة جده٠

وقد تعلم المزارعون كيفية الاستفادة من مياه السيول والاحتفاظ بها فى خزانات ٠ واستغلالها فى نظام للرى ، مما ساعدهم على تطوير أساليب الزراعة بصورة أفضل ٠.

**(جـ) الزراعة :**

تزرع بمنطقة وادى فاطمة مجموعة من المحاصيل والخضروات تشمل نبات الحناء ، والبلح ، والكرات ، والبصل الأخضر ، والبطاطا ، والملوخية ، والبامية ، والطماطم ، والقثاء ، والباذنجان، والفلفل الحار، بالاضافة الى البطيخ والشمام ، والليمون ، والجوافة ، والعنب ٠

وهناك ثلاثة أساليب معروفة لدى المزارعين لاكساب التربة خصوبة ٠ وهى رش الأرض بسماد عضوى حيوانى ، أو تركها بدون زراعة لفترة قد تصل الى عام كامل، أو رشها بسماد كيميائى يتم الحصول عليه من الجهات المختصة بالزراعة ٠ وقد ظن بعض البدو أن الافراط فى استخدام السماد الكيميائى يمكن ان يحسن من الانتاج ويزيد كمية المحصول ٠ ولكن ترتب على ذلك نتائج عكسية ، مما ترتب عليه بالتالى تشكك كثير من المزارعين فى فاعلية الأسمدة الكيميائية ٠.

**(د) ملكية الأرض :**

يتسم نظام ملكية الأرض فى وادى فاطمة بشىء من التعقيد٠اذ تتداخل مجموعة من المتغيرات فيما يتعلق باستغلال الأرض والانتفاع بها ٠ فقد أدى انشاء شركة مياه عين العزيزية الى احداث تحول خطير فى الأمر ٠ اذ أن الشركة تعهدت بدفع مبلغ اثنا عشر الف ريال مقابل نصف الماء لكل

عين ، يتقاضاه مالك العين . وترتب على ذلك حدوث ثراء مفاجىء لكثير من ملاك العيون ،وهم فى الوقت نفسه من ملاك الأراضى الزراعية . وهنا ظهرت حركة نزوح الى المدينة ، حيث غادر الملاك الأغنياء قراهم واتجهوا للعيش فيها تاركين مسئولية زراعة الأرض للناظر . ويقوم الأخير بالاشراف على زراعتها فى نظير حصوله على حصة من الانتاج . كما ظهرت فئة من الملاك وهم «الملاك الغائبون» ، الذين يقيمون بالمدينة ويؤجرون أراضيهم لمستأجرين يدفعون اليهم الايجار سنويا بانتظام.ولايزال هناك بعض الملاك الذين يعيشون بجوار العين والأرض التى يمتلكونها،ويتقاسمون أرباحها مع المزارعين الذين يقومون بزراعتها .

وقد يقوم المستاجر أحيانا بالاقتراض لانشاء بئر ارتوازى عندما لا يستطيع مالك الأرض تدبير المال الكافى لذلك . ويقوم المستاجر بادارة زراعة الأرض.وهو الأمر الذى لا يستطيع المالك القيام به . وجدير بالذكر أن ملاك الأراضى اليوم بوادى فاطمة ليسوا كلهم أغنياء . ففى الحقيقة أن بعضهم ترك الأرض وهاجر الى المدينة لعجزه عن توفير الأموال اللازمة لحفر الآبار بعد جفاف العيون . كما تحول بعضهم الى مزارعين تحت المستاجرين . ولكن بعض المزارعين ظلوا محتفظين بأرضهم على الرغم من ضعف انتاجها.ورفضوا بيع أرضهم لأحد بسبب المكانة الكبيرة التى يخلعها المجتمع على من يرث أرضا .

**(هـ) توزيع الدخل .**

يرتبط توزيع الدخل ارتباطا أساسيا بنظام التسويق . وهو نظام معقد يضم شبكة من العلاقات،تشترك فيها أطراف عديدة ، يمثلها المالك، والمزارع ، والسائق ، والدلال ، .. الخ . فالمستأجر يدفع لمالك الأرض مبلغا يتراوح بين ألفين وثمانية آلاف ريال سنويا ، حسب مساحة الأرض ، ويتم توقيع عقد اتفاق بين الطرفين على ذلك . ويكون المستأجر مسئولا عن صيانة الآبار الخاصة بالأرض ، واقامة آبار جديدة اذا لزم الأمر .

وعندما يحصد المزارع محصوله ، يقوم بعمل أقفاص لنقل المحصول فيها على ظهور الجمال الى الطريق . ويتولى سائق الشاحنة نقله الى

السوق بالمدينة . ويعمل الجمال مع سائق الشاحنة ، ويقوم بتسجيل المحصولات المسلمة له على الطريق والتى ترسل الى المدينة . ويتقاضى الجمال ثلث ريال عن كل قفص ينقله الى الطريق . كما يتقاضى السائق ثلثى ريال عن كل قفص ينقله الى جده أو مكة فى حالة امتلاكه للشاحنة ، أو يتقاضى راتبا شهريا اتراوح بين ٢٥٠ و ٥٠٠ ريالا شهريا طبقا للخبرة .

وفى حالة زيادة الطلب على المنتجات ، تزيد المبالغ المعطاة للجمال والسائق ، ويكون الوسطاء بالسوق على علم بتقلب الاسعار لمختلف المنتجات . ويتقاضى الوسيط عمولة قدرها ٥ر٧٪ على بيع الخضروات ، و٥٪ على بيع الفاكهة .

ويتراوح أجر العامل الزراعى فى اليوم بين خمسة ريالات وعشر ريالات اذا كان العامل من خارج القبيلة . وأما اذا كان العامل من أبناء القبيلة نفسها فان أجره يتراوح بين ثمانية وثلاثة عشر ريالا فى اليوم طبقا للخبرة .

ويتم توزيع الدخل بين المزارعين والمستاجر والناظر طبقا لقواعد معينة . اذ يتم توزيع الدخل بين المزارع والمستاجر بالتساوى فى حالة عدم اشتراك الناظر . ويكون المزارع مسئولا عن شراء البذور والاسمدة واستئجار العمال . واذا كان الناظر مشتركا ، توضع شروط خاصة ، كأن يحصل المزارع على نصف الدخل مع تحمله مصاريف البذور والاسمدة وأجور العمال ، ويحصل كل من الناظر والمستاجر على الربع . أو يحصل كل من المزارع والناظر والمستاجر على أنصبة متساوية . ويتحمل المزارع البذور فقط ، ويتحمل الناظر باقى المصروفات .

**(و) نظام الوقف :**

الأراضى الموقوفة هى التى لا يجوز التصرف فيها بالبيع أو التوريث . ويوجه الدخل العائد منها للمصلحة العامة ، أو لجهة يحددها مالك الأرض الذى أوقفها . وفى حالة الوقف الخيرى ، يقرر صاحب الأرض ، لأسباب معينة ، وضع ملكيته تحت تصرف وزارة الحج والأوقاف . وبهذه الطريقة يستطيع المالك أن يحمى الأرض من التفتت والتدهور ، حيث لا تورث لأبناء لا يستطيعون ادارتها . أو لا يرغبون فى ذلك ، مما يترتب عليه ضعف انتاجها وبوارها .

(ز) تقسيم العمل طبقا للسن والنوع :

توكل الى الأطفال الصغار بعض المهام التى تتناسب مع سنهم ، وعادة ما تكون هذه المهام هى مراقبة الحيوانات . وعندما يبلغ الأطفال سن الثامنة يكلفون بجلب الماء من العين أو البئر الى المنزل مرتين يوميا . ويحمل الأطفال اوعية الماء على ظهورهم سيرا على الأقدام ، أو ركوبا على ظهور الحمير . ويقتصر ركوب الحمير على الأطفال الذكور فحسب . أما البنات فمن العيب ركوبهن الحمير ، ويمكن لهن ركوب الجمال .

وتتعلم البنات أعمال المنزل ، بما فيها طهى الطعام وترتيب المكان، واعداد القهوة والشاى ، .. الخ . ويقوم الأولاد فى سن المراهقة باطعام الحيوانات ، كما يقومون بالاشتراك فى مختلف العمليات الزراعية ، بما فيها الحصاد . وهناك أعمال يؤديها الجنسان ، أى الذكور والاناث ، مثل صناعة منتجات الخوص . وهناك أعمال يؤديها الرجال ويكونون مسئولين عنها ، مثل طهى الطعام واعداده فى مناسبات الأفراح والأعياد . وفى الوقت الذى لا تشارك فيه المرأة الريفية فى اعمال الحقل ، فان المرأة البدوية تشارك فى رعى الأغنام والابل . ويستثنى من ذلك مواسم الحج ، حيث تضطر المرأة الريفية الى مزاولة بعض أعمال الحقل بدلا من الرجال الذين يكونون فى مكة ومنطقة المشاعر خلال فترة الحج .

٤ ـ الملامح السكانية .

ينتمى معظم سكان وادى فاطمة الى قبائل قريش ، وحرب، ولحيان، وشوف ، وخزاعة . وتشعر الجماعات التى تنتمى الى القبيلة الأولى بالاعتزاز، حيث انها من أعظم القبائل العربية نسبا ، وينتمى اليها رسول الله ﷺ . ولقب التعظيم لأبناء هذه القبيلة هو «الأشراف» . ويفخر أبناء قبيلة الشوف بانتسابهم للأنصار (وهم أفراد قبيلتى الأوس والخزرج الذين ناصروا رسول الله واصحابه المهاجرين من مكة الى المدينة) .

ويتألف البناء العمرانى والسكانى لوادى فاطمة من احدى وثلاثين قرية ، تتضح خصائصها من الجدول التالى :

جدول (٧) قرى وادى فاطمـــــة

| رقم | اسم القرية | عدد السكان تقديرى | عدد وحدات المعيشة (تقديرى) | عمر القرية (تقديرى) | الجماعه القبليه الرئيسية |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ | الهـدا | ١٤٠٠ | ٣١٤ | ١٣٠٠ | حليط |
| ٢ | الريكانى | ٦٠٠ | ١٣٠ | ٨ | المحمدى |
| ٣ | صروعه | ٥٠٠ | ٩٥ | ١٠٠٠ | المفالجة |
| ٤ | المرشدية | ١٠٠٠ | ٢٠٠ | ٣٥٠ | بنو مسعد |
| ٥ | الخمـايمة | ١٠٠٠ | ٢٠٠ | ٢٠٠ | الشايف |
| ٦ | الجـديدة | ١٨٠ | ٤١ | ٦ | بنو سليم |
| ٧ | الصمــد | ٢٥٠ | ٥٣ | ٧ | بنو سليم |
| ٨ | القصــر | ٣٠٠ | ٦٨ | ٨ | بنو سليم |
| ٩ | البرابر | ٥٠٠ | ٩٠ | ٧٥٠ | معبدى بشرى |
| ١٠ | البحـرين | ٥٠٠ | ٩٣ | ٩٠٠ | سـعده |
| ١١ | الدوح الصغير | ٧٠٠ | ١٥٠ | ١٠٠٠ | المفالجة |
| ١٢ | الدوح الكبير | ٦٠٠ | ١٢٣ | ١٠٠٠ | المفالجة |
| ١٣ | دفخزاعة | ٨٠٠ | ١٦٠ | ١٤٠٠ | خزاعة |
| ١٤ | دف زينى | ٧٣١ | ١١٤ | ٣٥٠ | الشايف |
| ١٥ | بشـور | ٢٠٣ | ٤٦ | ١٥ | بشرى |
| ١٦ | أبو شعيب | ١٠٠٠ | ٢١٤ | ١٠٠٠ | بنو حسين |
| ١٧ | الجمـوم | ٣٠٠٠ | ٦٠٠ | ٣٠ | حرب |
| ١٨ | أبو عروه | ٧٥٠ | ١٣١ | ١٠٠٠ | بنو حسين |
| ١٩ | البركه | ٢٠٠ | ٤٠ | ٩٠٠ | بنو حسين |
| ٢٠ | الصمــد | ٢٨٠ | ٦٨ | ٨٥٠ | بنو حسين |
| ٢١ | المندسة | ٢٤٨ | ٨٥ | ٢١ | لحيـان |
| ٢٢ | عين شمس | ٤٣٣ | ٩١ | ٢٦ | لحيـان |
| ٢٣ | الخيف | ١٢٠٠ | ٢٤٠ | ١٠٠٠ | العواج |
| ٢٤ | التنـدب | ٢٠٠ | ٤٠ | ١٤ | يمنى ، بشرى |
| ٢٥ | أبو حصانى | ٢٥٠ | ٥٠ | ١٥ | عتيبه |
| ٢٦ | الخلص | ١٩٠ | ٣٨ | ٨ | عتيبة |
| ٢٧ | القشاشية | ٢٥٠ | ٤٨ | ١٠ | يمنى ، مسك |
| ٢٨ | الدبا | ٢٠٠ | ٤٠ | ١٣ | الحازمى |
| ٢٩ | الطرفه | ٥٠٠ | ٩٢ | ٨٠٠ | المناعمة |
| ٣٠ | الريان | ٦٠٠ | ١٢٠ | ٨٠٠ | المناعمة |
| ٣١ | المبــارك | ٦٠٠ | ١١٠ | ١٠٠٠ | المناعمة |

ومفهوم القرية يقصد به التجمع العمـرانى الذى يشتمل على مسجد مبنى ، ومقابر لدفن الموتى • لأن وجود المسجد والمقبرة يعنى اكتمـال مقومات أن يطلق على التجمع العمرانى اسم قرية معينة • ووجودهما يدل ـ من جهة أخرى ـ على الاستقرار والارتباط بالمكان ارتباطا دائما •

ويمكن ملاحظة بعض الشواهد التى تدل على نمو القرى أو تدهورها بوادى فاطمـة • فهنـاك أطلال لقرى مهجورة ، كانت مأهولة فى الماضى ولكن أهلها هجروها لأسباب متعددة • ففى نهاية الخمسينات وخلال عقد الستينات زادت حركة نزوح السكان من بعض القرى بعد أن نضبت كثير من العيون وانقطعت موارد المياه بالنسبة لسكانها • فارتد كثير منهم الى حياة البـداوة مرة أخرى،كما هاجر آخرون الى المدن للالتحاق بالعمل فى الشركات والمصانع المنشأة حديثا •

ولكل قرية من القرى ما يعرف «بمجلس القـرية» ، وهو يتألف من كبار رؤوس العائلات،الذين يمثلون العشائر والقبائل المختلفة التى تتكون منها القرية • ويختص هذا المجلس بمناقشة أمور القرية ، وحل الخلافات والمنازعات التى تدب بين الأفراد بها • ويتألف المجلس من أفراد يتراوح عددهم بين خمسة وتسعة أفراد تبعا لحجم القرية وطبيعة التركيب القبلى بها • ويتم اختيار هؤلاء الأعضاء بالانتخاب •

### ٥ ـ المؤسسات الحكومية :

يضم وادى فاطمة عددا من المؤسسات الحكومية التى تقدم خدماتها لأهالى المنطقة فى مختلف المجالات • ومن هذه المؤسسات :

#### ( أ ) مركز التنمية الاجتماعية :

أنشىء هذا المركز فى عام١٩٦١ضمن ستة عشر مركزا آخر ثم انشاؤها بمختلف انحاء المملكة العربية السعودية • وقد انشئت هذه المراكز نتيجة للجهد المشترك لوزارات العمل والشئون الاجتماعية ، والزراعة والميـاه ، والتعليم ، والصحة • ويهدف مركز التنمية الاجتماعية الى تحسين أحوال المنطقة من النواحى الاجتماعية والثقافية والصحية والزراعية • كما يهدف أيضا الى تنمية روح القيادة بين السكان المحليين ، حتى يمكنهم مسـايرة

التطور الحديث ، وتطوير العادات والتقاليد التى تمثل عائقا أمام تطوير المجتمع المحلى ، وأمام تحديث أساليب الانتاج فى المجال الزراعى،وغيره من المجالات الاقتصادية الأخرى • هذا الى جانب تنمية الوعى الصحى لدى أبناء المنطقة ، وتشجيعهم على التعليم ، واكسابهم بعض المهارات والخبرات فى عدد من المجالات ، كالكتابة على الآلة الكاتبة ، وبعض الصناعات البيئية ، والخياطة والتطريز ، •• الخ •

ويوجد مقر مركز التنمية الاجتماعية بقرية الجموم ، كبرى قرى الوادى • ويقوم موظفوا هذا المركز بدور حلقة الوصل بين المركز وبين الوزارات المعنية وخبراتها ، وكذا بين المركز وغيره من المراكز الأخرى •

(ب) المدارس :

توجد ثلاث عشرة مدرسة ابتدائية للأولاد فى قرى الهدا ، والريكانى ، والمرشدية ، ودف خزاعة ، ودف زينى ، وأبو شعيب،وأبو عروه،والخيف، وعين شمس ، والطرفة ، والدوح الصغير ، والمبارك ، وخمس مدارس ابتدائية للبنات فى قرى المرشدية ، وبشور ، وأبو شعيب ، والجموم ، وأبو عروه • ومدرسة متوسطة (اعدادية) للأولاد فى قرية الجموم•واربع فصول لمحو أمية النساء فى بشور ، وابو عروة ، والخيف ، وعين شمس •

وهناك اقبال على التعليم ، ويلاحظ ان أهالى الأطفال يظهرون مشاعر الفخر بأبنائهم عندما يحققون نتائج طيبة فى الامتحانات • وكثير منهم يولموا الولائم عندما يسمعوا بنبأ نجاح ابنائهم • وعندما يحصل طفل فى وادى فاطمة على المركز الأول فى فصله ، تقام حفلة كبيرة على شرفه ، يحضرها أقاربه من مكه • وبعد وليمة حافلة ، يلقى الطفل كلمة فى الحاضرين يشكرهم فيها قائلا : «ان نتائجى فى الامتحانات هى بفضل الله ثم أهلى وأصدقائى» •

وتقام دروس محو الأمية للنساء عادة فى الصباح ما بين الساعة العاشرة والساعة الثانية عشر ظهرا • اما الدروس الخاصة بالرجال فموعدها بين الرابعة والسادسة مساء • ويستأنف تلاميذ المرحلة الابتدائية تعليمهم فى مدارس ثانوية ومدارس فنية بمدينة جده • ويمنح الطالب الذى يلتحق

بهذه المدارس مكافاة شهرية تبلغ ما بين ٢٥٠ و ٣٠٠ ريالا شهريا،بالاضافة الى توفير السكن ونفقات الاقامة ٠

(جـ) الرعاية الصحية ، والمعتقدات المتصلة بعلاج الأمراض :

يتجه أهالى وادى فاطمة نحو الطب الرسمى الحديث ، جنبا الى جنب مع الطب الشعبى٠وقد تكونت لدى افراد الجيل الحديث من الأفراد صغار السن معلومات حول أسباب المرض ، حيث يفسر كثيرون منهم حدوث المرض بانه نتيجة الاصابة بالميكروبات ٠ فى حين أن كثيرين من الأهالى يعتقدون بأن المرض يرجع الى أسباب أخرى من بينها السحر ، أو الجن ٠

ويوجد مركز طبى بقرية الجموم ، يقوم عليه طبيب وعدد من المساعدين الطبيين ٠ وقد لوحظ ان هناك اقبالا على هذا المركز٠ولا تتحرج النساء من التردد عليه طلبا للعلاج٠وقد دلت بيانات هذا المركز علىآن عدد المترددين عليه خلال عام ١٩٦٨ قد بلغ ١٤٠٥٥ مترددا ٠ وكانت الأمراض التى عولجوا منها تشمل أمراض الصدر ، وسوء الهضم ، والجروح ، وأمراض العيون ، وأمراض سوء التغذية ٠ كما دلت البيانات أيضا على أن نسبة المترددين على المركز خلال أشهر الصيف تصل الى ضعف نسبتهم خلال أشهر فصل الشتاء٠أما من حيث النوع والسن ٠ فقد دلت بيانات عام١٩٦٨ على أن نسبة المترددين من الرجال قد بلغت٣١٪من اجمالى عددالمترددين٠ فى حين بلغت نسبة النساء ١٣٪ ، ونسبة الأطفال ٣٦٪ ٠

ولا يزال الطب الشعبى مزدهرا فى وادى فاطمة ، ويستخدم فى علاج كثير من الأمراض ٠ ومن أهم وسائل العلاج المستخدمة فى هذا المجال ، الكى بالنار ٠ ويستخدم فى ذلك قطعة من الحجر المحمى ، أو قضيب حديدى محمى ٠ وبالرغم من احتراق البشرة وحدوث ندوب بها بعد الكى، فان الأهالى يؤكدون على فعالية هذا الأسلوب فى شفاء المرض ٠ ويلاحظ أن حوالى ستين فى المائة من سكان وادى فاطمة تحتوى أجسامهم على ندوب من أثر الكى ٠ وقد أصيب رجل فى كتفه بكسر ذات مرة على أثر اصابته فى حادث سيارة ، وقد تم علاجه بالكى ، وشفى تماما ، ويتقاضى القائم بعملية الكى أجرا يصل الى عشرة ريالات فى كل مرة ٠

وتعالج اضطرابات المعدة والأمعاء بما يعرف «بالعلاج بالحمية» ، حيث يمنع المريض عن تناول الطعام ليوم أو يومين ، ويقتصر غذاؤه على الشاى المغلى بالنعناع ، أو منقوع البابونج . أما مريض **الاسهال** فيعالج بتناول الشاى مع منقوع عشب الحرمل (والحرمل نبات مر ، لدرجة أن الحيوانات تنفر منه وتتحاشى أكله لشدة مرراته) . وعندما **تلدغ العقرب** أحدهم ، فانه يتم قطع الجزء الملدوغ بواسطة خنجر صغير ، ثم يوضع ثوم نيىء على البقعة المصابة ، وتكوى بالنار،ثم توضع عليها أوراق الحنة كما توضع على اليد أو القدم . وفى علاج **آلام الأسنان** ، يوصى بكتابة آية من القرآن على الرمال.فتذهب الألم.وفى حالة **الاصابة بالجنون** يستخدم الكى ، أو يعرض المريض على «شيخ» لاعطائه «تعويذة» تنقع مع الشاى ويشربه المجنون . كما يستخدم «الزار» كعلاج فى هذه الحالة .

ويعتقد أهالى المنطقة ، وخاصة البدو ، فى فاعلية «التمائم» وقدرتها على الوقاية من الأمراض . والتميمة عبارة عن كيس صغير من القماش يحتوى على عشرة أنواع مختلفة من المواد والحبوب ، والصبر ، والحلبة، .. الخ . وتعلق التميمة حول رقبة الطفل الصغير لحمايته من الأمراض ومن لدغات العقارب . كما أن بعضهم يرتدى حول رقبته سلسلة بها مصحف فى داخل علبة أو جراب من الجلد . ويعتقد أن هذا «الحرز» يحمى من الكوارث .

ومن المعتقدات الخاصة بالمرض أيضا ، أن المرأة التى تضع فى عينيها كحلا خاصة بامرأة أخرى عقب ولادتها مباشرة ، تكتسب مناعة ضد الاصابة بأمراض العيون ، والمرأة التى تعانى من العقم أو عدم الانجاب ، عليها أن تزور المقابر سرا وتترك وسادتها هناك.واذا حملت بعد زيارتها للمقابر فانها تحضر طفلها لزيارتها سنويا الى أن يكبر .

### ٦ ـ عادات دورة الحياة ، وبعض الظواهر الأخرى :

#### ( أ ) عادات الميلاد :

عندما تحمل الزوجة للمرة الأولى ، فانها لا تخبر أحدا بذلك سوى والدتها ، التى تنصحها بشرب لبن الماعز . وفى كل قرية توجد داية أو

اثنتين لتوليد النساء . وفى حالة تعسر الولادة تقوم الداية بطلب الحكيمة المولدة من المركز الطبى بالجموم لاتمام الولادة . وتقوم والدة المرأة وحماتها ، وخالاتها ، وفى بعض الأحيان السيدات الكبيرات فى القرية ، بالمساعدة حتى يتم الوضع بسلام . ولا يسمح للفتيات غير المتزوجات بحضور مشهد الولادة .

وتضاء الشموع خلال عملية الولادة . وبعد نزول المولود تقوم الداية بقطع الحبل السرى ، ثم تلقى به بعيدا . ثم تغسل المولود فى ماء فاتر ، وتجففه ، وتلفه ، وتنقله مع أمه الى «القاعة» ، أى حجرة النوم .

وتقوم الأم بارضاع المولود ، وفى حالة جفاف لبنها فانها تكلف سيدة أخرى من القبيلة بارضاعه . واذا لم توجد مثل هذه المرضعة ، فان المولود يتغذى على لبن الماعز أو اللبن الصناعى .

وطول فترة النفاس ، أى طول أربعين يوما.تظل الأم داخل المنزل. وتتغذى على لحم الماعز والدجاج ، والقطايف ، والعسل ، والينسون . وتتوافد نساء القرية عليها للتهنئة . واذا كان المولود ذكرا فان عبارة التهنئة تكون «مبروك جاك الولد».أما اذا كانت المولودة أنثى فان عبارة التهنئة تكون «الحمد لله على سلامتها» . وفى اليوم التالى للولادة ، يدعو الأب الرجال المتزوجين فى القرية لحفل يقام بجوار المنزل . ومن المعتاد الا يدخل الرجل ولا الأبناء مكان الوالدة لمدة أسبوع بعد الولادة . ويجلس الرجال فى حلقة على الرمال ، ويضعون هدية من المال للطفل المولود فى وسط صينية .

وفى اليوم السابع للولادة ، يسمى الطفل بمعرفة أمه ، وبمساعدة قريباتها . ويحمل الجد المولود ويهمس فى أذنه بعبارة «الله أكبر» ، ثم يعطيه لأبيه فيفعل الشىء نفسه . ثم تحمل الأم طفلها وتهمس فى أذنه باسمه . فمثلا ، اذا كان اسمه محمدا ، تقول «يسميك الله محمد».وتأتى النساء لحفل التسمية ، ويحضرن الهدايا ، ريالا أو ريالين لكل واحدة . أما اللائى لهن أبناء أو بنات يحملون نفس اسم المولود ، فمن المتوقع أن يدفعن مبلغا أكبر . وعند دخول كل واحدة منهن الى غرفة المولود ، فانها تصلى على النبى ، ثم تكبر ، ثم تقبل الوالدة قائلة لها عبارة التهنئة التى تلائم نوع المولود .

ثم تقدم القهوة العربية والشاى الى السيدات،وتقوم كل واحدة منهن بحمل الطفل مرة أخرى قائلة ، ما شاء الله تبارك الله ، اللهم صلى على النبى» ، ثم تقبله فى وجنتيه ، وتضع الكحل فى عينيه وعلى جبينه ، وفى عينيها ايضا قائلة «بركه» . ومن المعتاد فى قرية بشور بوجه خاص ، وضع شىء لونه فيروزى أو أزرق فوق صدر الطفل ، كقطعة من القماش ، أو قطعة من المجوهرات المقلدة . اعتقادا بأن هذا اللون يجلب الحظ للمولود ويحميه من الحسد . ويتم ذلك أثناء تلاوة آية من القرآن .

ويظل الطفل يتغذى على اللبن لمدة عام ونصف أو عامين ، وعندما تريد الأم فطامه ، فانها تدهن حلمة ثديها بنبات مر ، او تضع عليها بعضا من الفلفل الحار ، أو تغطيها بشعرها الطويل . ولا يسمح للزوج بالعودةالى حياته الزوجية العادية ، وممارسة الجنس الا بعد مرور اربعين يوما على الولادة .

(ب) الزواج :

يتم الزواج على أسس من التعارف المسبق بين عائلتى الفتى والفتاة. وعندما يلتقى الشبان والفتيات عند آبار المياه ، أو فى المراعى مع الحيوانات،فان فكرة الزواج تتبلور فى خواطرهم،وطبقا للعادات العربية ، فان الاختيار المفضل للزواج يكون بين أبناء العمومة وابناء الخئولة على النحو التالى : بنت عم أو ابن عم ، ثم بنت خال أو ابن خال ، ثم بنت عمه أو ابن عمه ، ثم بنت خالة أو ابن خالة . ومنذ مدةطويلة قبل الزواج يكون الشابأو الفتاة قد حدد رغبته فى بنت العم أو الخال التى يرغب فى الزواج منها . ومن العيب ان يتطلع الشباب الى وجوه النساء عند مرورهم بعضهم ببعض . فالنساء يكن محجبات ، ومع ذلك فان الشباب يديرون وجوههم الى الجهة الأخرى .

وعندما يرغب الشاب فى الزواج ، يذهب والده أو والدته الى أهل الفتاة التى يرغب فى الزواج منها ليطلب يدها . ويطلب والدها مهلة من الوقت للتفكير فى الأمر . وقد تستغرق هذه المهلة أسبوعا . وقد جرت العادة على أن يكون الرد بالايجاب بعد أن يتم التشاور فى الأمر ، ومعرفة رأى الفتاة .

وبعد الموافقة على الزواج ، يتم الاتفاق على المهر ٠ وهناك مستوى متعارف عليه فى المنطقة يراعى فى هذه المناسبات ٠ ويبلغ متوسط قيمة المهر فى وادى فاطمة خمسمائة ريال ٠ غير أن هذا المتوسط يرتفع فى المدن حيث يصل الى ثلاثة الاف ريال ٠ وقد يصل فى بعض الحالات الىستة آلاف ٠ وفى بعض القرى،يدفع مبلغ من المال بالاضافة الى المهر،يطلقعليه «الجارية»٠ وهذا طبقا لعادة قديمة وهى أن يقدم العريس لعروسه خادمة لتقوم بخدمتها ، وذلك بعد الغاء الرق فى عام ١٩٦٦ ٠ وبدلا من الجارية أو الخادمة ، فان العريس يدفع بدلا عن ذلك مبلغا وهو مائة ريال ٠

يبلغ متوسط سن الزواج بالنسبة للشباب فىوادى فاطمة سبعةعشرعاما، وبالنسبة للفتاة أربعة عشر عاما ٠ وقد دلت الشواهد على أن سن الزواج يكون مبكرا كلما كان المجتمع المحلى أقرب الى النمط البدوى ٠

وموسم الزواج فى المنطقة هو آخر فصل الصيف وأول فصل الخريف ، وخاصة فى شهرى سبتمبر وأكتوبر ، بعد انتهاء حصاد البطيخ والبلح ، وتوفير المال اللازم للمهر ونفقات الفرح ٠ كما يكون الجو أكثر اعتدالا بعد مرور أشهر الصيف الحارة ٠ ويفضل أن يتم الزواج فى غير شهر رمضان ٠

وهناك احتفالات تقام فيما قبل الموعد المحدد للزفاف ٠ فقد جرت العادة على أن تحتفل أسرة العروس خلال الأسبوع السابق لعقد القران بما يسمى «قطع الستارة» ٠ وتقوم والدة العروس باعداد قطعة قماش كبيرة لهذه المناسبة ، وعادة ما تكون حمراء اللون ، ومطرزة ببعض المشغولات فى بعض الأحيان ٠ وفى أحد الأيام ، ودون سابق انذار ، تطرح الأم هذه القطعة منالقماش على رأس ابنتها العروس على حين غرة وبشكل مفاجىء ٠ عندئذ تصرخ الأخيرة ٠ ويعتبر ذلك اعلانا للزفاف المرتقب الذى تستعد له الفتاة وأسرتها ، ومن المهم جدا أن تصرخ العروس عند القاء القماش عليها ، فمن العيب الا تصرخ ٠ عندئذ تطلق الأم زغرودة،وتحضر الجارات والصديقات للمعاونة فى ترتيبات الفرح ٠

فى اليوم التالى ليوم قطع الستارة،تقوم عائلة العريس بعمل احتفال كبير تذبح فيه رؤوس من الأغنام والماعز ، وتولم الوليمة لأهالى القرية ، ويساهم أهل العروس بتقديم الشاى والقهوة فى هذا الاحتفال ٠

وقبل موعد الزفاف بيومين تقيم والدة العريس حفل آخر يسمى «هادو» ، تدعو فيه نساء القرية المتزوجات ، وتقدم لهن القهوة والشاى ، ويقمن بتحيتها وذلك باشتراكهن فى الرقص والغناء واظهار البهجة .

وبعد ظهر اليوم السابق ليوم الزفاف ، تقوم والدة العروس بعرض كل ما تلقته العروس من هدايا ، بما فى ذلك الحلى والملابس وغيرها . وتدعو نساء القرية لمشاهدة هذه الهدايا .

وفى مساء يوم الزفاف يقام احتفال مزدوج بمنزل اهل العروس .حيث يقام احتفال فى مكان مخصص للرجال ، واحتفال آخر فى مكان مخصص للنساء ، ويكون الاخير عادة أكثر بهجة وصخبا . ويتولى رجال القرية فى هذه الليلة اعداد الطعام والقهوة والشاى . بينما تستمتع النساء بالغناء والرقص .

يدخل العريس بعروسه فى منزل أسرتها ، وفى الصباح تعرض والدة العروس منديلا يحمل بقعا من دم البكارة كدليل على عذرية العروس وعفتها وشرفها ، ويظل العروسان لدى أهل العروس لمدة أسبوع بعد الزفاف ، ثم ينتقلان الى منزل العريس ، الذى يكون بالقرب من منزل أهل العروس عادة .

(جـ) الوفاة :

يعتبر البكاء والنواح على المتوفى وسيلة للاعلان عن حدوث الوفاة . وعندئذ يتجمع الناس عند أسرة المتوفى ، ويحضرون النعش من المسجد ، ويستدعون المغسل أو المغسلة طبقا لنوع المتوفى . تتم عملية الغسل ، وفى هذه الأثناء تتلى آيات من القرآن الكريم . وبعد تعطير الجثمان وتكفينه ، تتم عملية الدفن .

والقبر عبارة عن حفرة يسجى فيها الجثمان وتغطى بالتراب ، ولا توجد علامات تدل عليها . وكثيرا ما تطمس معالم القبور بفعل الرياح .

وبعد الوفاة يمكث أهل القرية لمدة ثلاثة أيام فى حالة حداد ، تسمى «العزاء» . وخلالها يمتنعون عن الاستماع للراديو ، كما تمتنع النساء عن تكحيل اعينهن . ويقدم الجيران لأهل المتوفى أنواعا من الأطعمة .

تعرف الليلة الأولى للعزاء «بليلة الواحدة»،وفيها تذبح الغنم لتقديم الطعام لعائلة المتوفى وللمعزين.ويعرف اليوم الثالث بيوم «قطع العزاء». وبعده تنتهى فترة الحداد وتعود الحياة فى القرية الى طبيعتها . ولا تعتبر المقابر من الأماكن المقدسة . ولذا فان أحدا لا يذهب لزيارتها .

(د) الطـــلاق :

دلت البيانات على أن ظاهرة الطــلاق منتشرة بشكل بارز فى وادى فاطمة . فالطـــلاق حق مشروع للزوجين فى حالة تعـــذر استمرار الحيـــاة الزوجية . وقد تبين أن ٤٨٫٢٪ من اجمالى حالات الطلاق فى قرية بشور، يكون المبادرة بطلب الطلاق فيها من جانب الزوجة . وعندما ترغب المرأة فى الطلاق فانها تحصل عليه،ويساعدها فى ذلك أهلها وأقاربها ، كما أنهم يقدمون لها كل مساعدة نفسية .

ويؤخذ الطلاق ببساطة شـديدة . ولا يجد الأهالى فيه أى عيب أو حرج . فهو مجرد فسخ لعقد الزواج . وفى بداية الأمر توجه النصائح الى الزوجين من جانب شـيخ القــرية وبعض السيدات الكبيرات كمحـــاولات للاصلاح . واذا لم تثمر هذه المحاولات ، فان الطلاق يحدث .

واذا وقع الطلاق بناء على رغبة الزوجة،فان حقها فى مؤخر الصداق يسقط.أما اذا وقع بناء على رغبة الزوج فانه يلتزم بدفع مؤخر الصداق . ولا يسمح للمرأة المطلقة بمغادرة منزلها أربعة أشهر وعشرة أيام الا لزيارة أقرب الأقارب.وتسمى هذه الفترة بفترة العدة المنصوص عليها فى القرآن. والهـــدف من هذه الفترة شرعا ، هو التأكد من خلو المرأة من الحمـــل . وخلال فترة العدة ترتدى المطلقة ثوبا أبيض يسمى «حكيم» (أى علامة على ان المرأة تحت الحكم) . وفى اليوم الأخير من فترة العدة ، تقيم المطلقة حفلا لنساء القرية ، ويذبح أقاربها خروفا لهذه المناسبة . واذا لم تقم المرأة بهذا الحفل فانها تستبعد من جماعة الحريم .

(هـ) احتفالات الأعيـــاد :

يحتفل الأهالى بعيدين رئيسيين هما عيد الفطر ، وعيد الأضحى فى كل عام ، ويعرف عيد الفطـــر «بعيـــد البنـــات» . وهذه التسمية الأخيرة

محلية تتعلقبسلوك الاهالى فى بعض القرى أثناء احتفالهم بعيـد الفطر .

وفى اليوم الأول لعيد البنـات يجتمع الرجال والأولاد تحت سـفح الجبل لصلاة الفجر وصلاة العيد ، وتبقى النساء بالمنازل للصلاة . وبعد انقضاء الصلاة تلبس الملابس الجديدة ، ويذهب النـاس لتبادل التهنئة . وفى كل عيد تختار سيدة تسمى «شيخة» وتختار من أكبر قبيلة فى القرية ، وتكون هذه الشيخة قائدة لعيد البنات . ويشترط فى هذه السيدة المختارة أن تكون قد مرت بظروف مرض منـذ وقت قريب ، أو تكون فقـيرة جدا لدرجة أنها لا تستطيع اقامة حفل لأهل القرية . عند الغـروب تذهب كل فتيات القرية بصحبة شيخة العيد لزيارة بيوت القرية،وعند عتبة كل منزل يغنين ويتلقين المساعدة من سـيدة المنزل ، ويتراوح مبلغ المسـاعدة التى يتلقينها بين ريال واحد وعشرة ريالات ، تبعا للحالة الاقتصـادية للأسرة صاحبة المنزل .

وفى اليوم الأخير من شهر شوال تقيم شيخة العيد احتفالا لكل نسـاء القرية ، ويمكن لها استخدام النقود التى جمعتها فى اقامة هذا الاحتفـال ، والاحتفاظ لنفسها بباقى المبلغ . وتجسد هذه العادة فى حقيقة الأمر رغبة فى المشاركة الاجتماعية ، ومساعدة الفقراء والمساكين .

وهناك عادة أخرى فى الاحتفال بعيد البنات تعرف «بالعدوة».حيث تجتمـع مجموعة من النساء وتذهبن الى أحد المنازل ، ويبـدأن باغاظة صاحبته بالقاء قصيدة من اللوم بمصاحبة موسيقى . وعندما تسمع صاحبة المنزل ذلك ، فانها تظهر عند الباب وترد عليهن بنفس الأسلوب . وعندما تسمع النساء فى البيوت المجاورة صوت الموسيقى،فانهن يسرعن بالحضور، ويطلبن ايقاف هذه المباراة . عندئذ تبتسم صاحبة المنزل وتدعو الجميـع للدخول ، وتقدم اليهن القهوة والشاى والمرطبات . وفى هذه الأثناء تقوم احدى النساء بالرقص حتى يصيبها الدوار وتسقط على الأرض .

وأما فى عيد الأضحى . فان أغلب الرجال والأولاد يذهبون الى مكة للمشاركة فى موسم الحج . وتبقى النساء فى القرية . وفى المساء يجتمعن وينتظمن فى حلقات للغناء والرقص . وفى بعض الأحيان تتنافس أكثر من

حلقة واحدة فى هذا المجـال • كمـا أن هذه الحلقات تشهد ايضـا تصفية للخلافات والخصومات ، وتتم فيها المصالحات ، وتتردد عبـارات التهنئة بالعيد ، مثل : «من العايدين» و «السـالمين» • «بعوده ان شـاء الله» ، و «عاد الله علينا وعليكم بخير وسلامه» •

★●★

## ثانيا ـ الدراسة المتعمقة لقرية بشور

لقد وقع اختيار الباحثة كاتاكورا على قرية بشور لتناولها بالدراسة المتعمقة ، وقد دفعها الى هذا الاختيار أن هذه القرية ذات حجم مثـالى بالنسبة للدراسة الأنثروبولوجية • فهى قرية صغيرة الحجم لا يتعدى عدد المنـازل بها ستة وأربعون منزلا • وهى قرية حديثة فى الظهـور الى حيز الوجود ، حيث تاسست فى عام ١٩٥٣ ، وكان عمرها وقت اجراء الدراسة خمسة عشر عاما • ومن جهة أخرى ، فانها تمثل نمط الجماعة البـدوية التى تمر بمرحلة تحول من النمط البدوى الى النمط الريفى• وبينما يمكن التنبؤ بمستقبل القـرى القديمـة مثل «ابو عروه» أو «دف زينى» ، فان حاضر بشور متغير ، ومستقبلها لا يمكن التنبؤ به • فالناس بها لديهم رغبة قوية فى الاسـتقرار ، ولكن علامات القلق وعدم الارتياح يمكن ملاحظتهـا عليهم بسهولة • فمثلا ، بالرغم من أن النساء كن ومازلن يرتدين البرقع ، فان بعض نساء القبيلة قد تركن البرقع خلفهن ، وسافرن الى خارج القرية مرتديات النقـاب الأسود على وجوههن • وبالرغم من اعتماد البشوريين المتزايد على الزراعة ، فان نساءهن مازلن يرعين قطعان الحيوانات كما هو الحال فى مجتمعات البدو الرعاة • ولهذا فان هذه القرية مثال واضح للقرية المتحولة كما ذكرنا قبل قليل •

### بعض الملامح المنهجية فى دراسة القرية :

بدات الباحثة بزيارة كل منازل بشور • فكانت تنتقل من منزل الى آخر • وكانت قادرة على مخاطبة جميع الأهالى ، من أصغر طفل الى أكبر جـد • وكانت تمكث فى المنزل خـلال الزيارة لـمدة عشر دقائق فى بعض الحالات،بينما كانت تقضى اليوم بأكمله فى حالات أخرى،حسب الظروف•

ولم تكن تكتفى بالحديث مع الأهالى ، وانما كانت تلهو مع الأطفال وتساعدهم فى عملهم.وقد اختلفت التكهنات من جانب أهالى القرية بشأنها. فمنهم من ظن أنها أخصائية اجتماعية ، ومنهم من اعتقد أنها مدرسة أو مندوبة حكومية ، أو مساعدة طبية .

وبعد مرحلة التعارف الأولى ، وقبول الأهالى لها قبولا مبدئيا،قامت باعداد دليل للبحث ليكون بمثابة مرشد لتنظيم العمل الميدانى . ولكنها لم تكن تستعمل هذا الدليل خلال مقابلاتها وزياراتها للأهالى . ولم تلجأ الى أسلوب الكتابة أو تدوين البيانات خلال المقابلات حتى لا تؤثر على تلقائية الحديث وعفويته . وحتى لا تقاطع المتحدث وتدعه يسترسل فى حديثه بحرية . وبعد انتهاء المقابلات كانت تذهب الى بيت الأرملة،حيث كانت تقيم خلال دراستها للقرية ، وتستأذن فى الدخول الى غرفتها ، ثم تقوم على الفور بتسجيل كل البيانات التى جمعتها .وكانت تسجل ملاحظاتها وانطباعاتها عن كل مظاهر الزيارة . فقد كانت مغرمة ، مثلا ، بملاحظة وجوه السيدات للوقوف على مشاعرهن فيما يتعلق ببعض الأمور ، وكانت تلاحظ أنهن لا يشعرن بأى خجل أو مهانة عندما يخبرنها بأنهن سبق أن طلقن . وكانت تضطر فى بعض الأحيان لزيارة المنزل الواحد عدة مرات عندما تشعر بأنها لم تجمع منه كل المعلومات ، أو أنها لم تقف فيه على كل التفاصيل .

وعلى الرغم من أن الاستمارة أو الدليل كان مفيدا جدا ، فان بعض عناصره كانت تثير بعض المشكلات وتخلق بعض الصعوبات . فقد لاحظت الباحثة أن سؤال الأب عن أسماء الاناث بالمنزل يسبب له نوعا من الضيق والحرج ، وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بزوجته أو ببناته المقبلات على الزواج . لأن تصريحه بأسمائهن يعد انتهاكا لمسئوليته فى حمايتهن.ومن ثم فقد عدلت الباحثة من مسلكها ، حيث امتنعت عن توجيه مثل هذا السؤال للآباء والأزواج ، وكانت تسأل الاناث مباشرة عن أسمائهن خلال مقابلاتها لهن ، وكن يخبرنها بالأسماء بلا حرج أو غضاضة . كما أن الأهالى كانوا يحجمون عن الحديث فيما يتعلق بموقفهم المالى ، والتزاماتهم وما عليهم

من ديون • ولذا فان أغلب البينات الخاصة بهذا الموضوع قد استمدتها الباحثة من بقال القرية ، ودلال المدينة •.

ولم تكتف الباحثة بالحديث مع الأهالى ، وانما لاحظتهم عن كثب خلال تفاعلهم بعضهم مع بعض فى مختلف المواقف •فلقد شاركتهم حياتهم، وكانت تعيش معهم وتطبق أسلوب الملاحظة المشاركة • وكانت تحرص على أن ترى بعينيها ما تسمع عنه من الاخباريين • فمثلا ، ركبت مع الجمال وسائق اللورى لتقف بنفسها على أسلوب عمل نظام النقل • وفى بعض الأحيان كانت تذهب الى الحقول فى منتصف الليل لترى بنفسها كيف يقوم المزارع برى حقله عندما يحل دوره فى الرى • وكانت حريصة على مقابلة جميع الأطراف التى لها علاقة بالقرية ونظامها الاقتصادى • فقد تعرفت على عدد من عمال تنظيف الآبار اليمنيين ، وأجرت معهم مقابلات عديدة• كما تتبعت عددا من الملاك الغائبين الأثرياء المقيمين بمدينة جده ، وأجرت مجموعة من القاءات معهم•كما فعلت الشىء نفسه مع عدد من المستأجرين• وكانت حريصة كل الحرص على جمع مادتها بدقة • فعندما وجدت صعوبة فى الحصول من أرباب الأسر على البيانات الخاصة باعداد رؤوس الحيوانات التى يمتلكونها ، لجأت الى تعليم أطفالهم الحساب ، وكانت تطلب اليهم حل تمارين عملية وهى حصر عدد الحيوانات التى لديهم بدقة • ولما لم تجد بيانات عن مساحات الأراضى التى فى حوزة الأهالى ، وتشككت فى صحة البيانات التى يدلون بها ، قامت بقياس مساحة كل مزرعة بنفسها ، وذلك عن طريق قياس طولها وعرضها بالخطوة • وقد ساعدها فى ذلك بعض التلاميذ ومجموعة من المتعلمين من أبناء المنطقة • هذا بالاضافة الى لقاءاتها العديدة بالمسئولين الرسميين فى المنطقة، وفى مدينتى جدة ومكه •

الملامح الاقتصادية للقرية :

لقد أجريت الباحثة مسحا شاملا للقرية ، ودرست كل منزل بها دراسة متعمقة • فاستطاعت أن تقف على تفاصيل دقيقة تتصل بحياة القرية وأهلها فى مختلف المجالات • وقد أولت الجانب الاقتصادى اهتماما كبيرا

حيث أنه يبرز بدوره كثيرا من الخصائص الاجتماعية المتداخلة معه • ومن عناصر الجانب الاقتصادى ما يلى :

( أ ) المهن وتقسيم العمل :

تضم قرية بشور اثنين من المدرسين ، وطبيب أهلى يعمل فى جده ، وامام مسجد ، وداية ، وثلاثة وثلاثين مزارعا • وهناك أربعة رجال من المتقاعدين نظرا لكبر السن وعدم القدرة على العمل ، وخمسة من العمال• ويساعد الأبناء فوق سن العاشرة آباءهم فى الحقول ، ويشكلون مصدرا هاما للعمالة • ونظرا لرغبتهم فى التعلم على أمل الحصول على مؤهل دراسى يؤهلهم للحصول على عمل مناسب بمرتب جيد فى المدينة ، فان الأبناء ينتظمون فى دراستهم صباحا ، وينخرطون فى العمل الزراعى بعد الظهر • ولا تشارك المرأة فى أعمال الحقل الا فى موسم الحج ، حيث تضطر الى متابعة الحقل أثناء وجود الرجال فى مكة •غير أنها تزاول أعمالا تدر دخلا، وهى صناعات منزلية تجيدها ، كصناعة الحصير ، والمقاطف (الزنابيل) ، والمراوح،وفرش تناول الطعام (السفره)، • •وجميعها من خوص النخيل•

ويعمل طلاب المدارس عمالا زراعيين خلال العطلة الصيفية ، وعطلة عيد الفطر وعيد الأضحى ، كما أن بعضا منهم يعملون «كتبه» بالمدن خلال العطلات ، وهؤلاء هم طلاب المدارس العليا • ويستاجر أحد عشر مزارعا فى بشور عمالا زراعيين ، وخاصة فى فترة الحصاد الشتوى للطماطم والفلفل والباذنجان (بين منتصف يناير وأوائل شهر مايو)،وفترة الحصاد الصيفى للشمام (من يناير الى يونيو) ، حيث تظهر الحاجة الى عمالة اضافية الى جانب الأبناء • ويتقاضى العامل الزراعى من نفس القبيلة عشرة ريالات يوميا ، بالاضافة للغذاء اليومى لعائلته من ناتج الحصاد • ويتقاضى العامل من خارج القبيلة ثمانية ريالات • أما الطلاب الذين يعملون فى حقول غير حقولهم ، فانهم يتقاضون من خمسة الى ثمانية ريالات فى اليوم بالاضافة لبعض الخضروات •

ويقضى مزارعو بشور معظم أوقاتهم فى العناية بحقولهم وريها • ومن ثم فلا يكون أمامهم متسع من الوقت لمزاولة أعمال اضافية بالمدن •

ولكن نظرا لحاجتهم الى زيادة دخولهم ، فانهم يعملون فى جده أو مكه خلال فترةالحج . فمن يجيدون القراءة والكتابة منهم يعملون بالمطار لتسجيل أسماء الحجاج القادمين . ومنهم من يعملون مرشدين سياحيين . وأما المزارعون فانهم يأخذون حيواناتهم الى المدينة لبيعها .

(ب) الدخل والانفاق :

يبلغ أقل دخل فى القرية ما بين خمسين وأقل من مائة ريال . أما اعلى دخل فانه يقع فى الفئة من ٩٥١ الى أقل من الف ريال . ويمكن الوقوف على مزيد من التفاصيل حول الدخل وبنود الانفاق فى كل منزل من منازل القرية البالغ عددها ستة وأربعون منزلا فى الجدول التالى :

جدول (٨) الدخل والانفاق الشهرى فى وحدات المعيشة بقرية بشور

| رقم | عدد الأفراد | مهنة رب الأسرة | الدخل الشهرى بالريال | الانفاق الشهرى (بالريال)(*) | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ |
| ١ | ٥ | مدرس | ٥١٠ | ٢٦٠ | ١٥ | ٨٠ | ٣٠ | ١٠٠ |
| ٢ | ١١ | مزارع،ناظر | ٩٨٠ | ٦٠٠ | ٢٠ | ٦٠ + ٦٠ | ٤٥ | ١٠٠ |
| ٣ | ٨ | مزارع | ٢٠٠ | ١٥٠ | ١٥ | ٦٠ | ١٥ | ٢٠ |
| ٤ | ٧ | مزارع | ٢١٠ | ١٥٠ | ١٥ | ١٥ | ١٠ | ٥٠ |
| ٥ | ٧ | مزارع | ١٥٠ | ١٢٠ | ١٥ | ٥٠ | ٢٠ | ١٥ |
| ٦ | ٤ | مزارع | ١٥٠ | ١٠٠ | ١٥ | ٢٥ | ١٠ | ١٠ |
| ٧ | ٧ | مزارع | ١٥٠ | ٨٠ | ١٥ | ٢٥ | ١٠ | ١٠ |
| ٨ | ٥ | مزارع | ١٩٠ | ٨٥ | ١٥ | ٣٠ | ١٠ | ٥٠ |
| ٩ | ٩ | مزارع | ١٨٠ | ١٢٠ | ١٥ | ٢٥ + ٢٥ | ١٥ | ٢٠ |
| ١٠ | ٣ | مزارع | ١٠٠ | ٧٥ | ٨ | ١٠ | ٢٥ | ٢٥ |
| ١١ | ٤ | عامل | ١٢٠ | ٦٥ | ١٥ | ٣٠ | ١٠ | ١٠ |
| ١٢ | ٦ | مزارع | ١٢٠ | ٨٠ | ١٥ | ٣٥ | ١٠ | ١٥ |
| ١٣ | ٤ | مزارع | ٨٠ | ٦٥ | ١٥ | ٣٠ | ١٠ | ٨ |
| ١٤ | ٤ | مزارع | ٩٠ | ٦٠ | ٥ | ٥ | ٠ | ٣٥ |
| ١٥ | ٢ | مزارع | ١٠٠ | ٤٠ | ١٥ | ١٥ | ٠ | ٥ |
| ١٦ | ٦ | مزارع | ١١٠ | ٩٠ | ٥ | ١٨ | ١٠ | ٣٠ |
| ١٧ | ٩ | مزارع | ١٢٥ | ١٠ | ٥ | ٤٠ | ١٥ | ٤٠ |
| ١٨ | ٢ | مزارع | ٨٠ | ٤٠ | ٥ | ١٠ | ٠ | ٣٥ |
| ١٩ | ٧ | مزارع | ١٢٠ | ٧٠ | ١٥ | ٤٥ | ١٥ | ٤ |
| ٢٠ | ٢ | مزارع | ١٠٠ | ٥٠ | ١٥ | ٢٠ | ٠ | ٤ |

(*) ١ = الطعام . ٢ = القهوة والشاى . ٣ = الملابس .
٤ = التعليم والمصروفات المدرسية . ٥ = ايجار الارض، نفقات العلاج ، وقود ، بذور ، دعم للأقارب ، ونفقات أخرى .

| رقم | عدد الافراد | مهنة رب الاسرة | الدخل الشهرى بالريال | الانفاق الشهرى (بالريال) | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ |
| ٢١ | ٧ | مزارع | ١٢٠ | ٩٠ | ١٥ | ١٥ | ١٠ | ٣٠ |
| ٢٢ | ٢ | مزارع | ١٠٠ | ٥٠ | ٥ | ١٥ | ٠ | ٤ |
| ٢٣ | ٣ | مزارع | ١٠٠ | ٧٥ | ٢٧ | ٢٠ | ٠ | ٤ |
| ٢٤ | ١ | معتزل | ٥٠ | ٣٠ | ٥ | ١٠ | ٠ | ٠ |
| ٢٥ | ٤ | عامل | ١٠٠ | ٦٠ | ٢٨ | ٢٥ | ١٠ | ١٠ |
| ٢٦ | ١ | — | ٠ | | | | | |
| ٢٧ | ٣ | مزارع | ١٢٠ | ٥٥ | ٣٠ | ٢٠ | ٠ | ١٠ |
| ٢٨ | ٣ | مدرس | ٥٦٠ | ٥٥ | ٢٥ | ٢٠ | ١٠٥ | ١٢٠ |
| ٢٩ | ٥ | امام | ٢٠٠ | ٧٥ | ٢٤ | ٢٥ | ٢٠ | ٢٠ |
| ٣٠ | ٥ | مزارع | ١٥٠ | ٩٠ | ٢٥ | ١٠ | ٠ | ٥٥ |
| ٣١ | ٣ | معتزل | ٩٠ | ٤٠ | ٢٠ | ٥ | ٠ | ١٠ |
| ٣٢ | ٦ | عامل | ٢٤٠ | ١٤٠ | ٣٥ | ٤٥ | ١٠ | ٣٥ |
| ٣٣ | ٢ | مزارع | ٦٠ | ٥٠ | ٢٠ | ٥ر٠ | ٠ | ١٥ |
| ٣٤ | ٢ | عامل | ١٠٠ | ٦٠ | ٢٠ | ٥ر٠ | ٠ | ٢٠ |
| ٣٥ | ٢ | مزارع | ١٠٠ | ٧٠ | ٢١ | ٢٠ | ٠ | ٤ |
| ٣٦ | ٣ | مزارع | ٨٠ | ٥٥ | ٢١ | ٢٥ | ٠ | ٢٠ |
| ٣٧ | ٢ | مزارع | ١٢٠ | ٥٠ | ٥٠ | ٥ | ٠ | ٢٥ |
| ٣٨ | ٣ | مزارع | ١٢٠ | ٧٤ | ٢٠ | ١٠ | ٠ | ٢٠ |
| ٣٩ | ٦ | مزارع | ١٢٠ | ٨٨ | ٢٠ | ١٨ | ٠ | ٥ |
| ٤٠ | ٢ | مزارع | ١٠٠ | ٧٢ | ٢٠ | ٢٠ | ٠ | ٥ |
| ٤١ | ٢ | مزارع | ١٠٠ | ٦٥ | ٢٧ | ٢٠ | | ٥ |
| ٤٢ | ٢ | معتزل | ٠ | | | | | |
| ٤٣ | ٤ | مزارع | ١٢٠ | ٨٥ | ٣٢ | ٣٠ | ٠ | ١٥ |
| ٤٤ | ٥ | مزارع | ١٢٠ | ٦٥ | ٣٧ | ٢٥ | ٠ | ١٠ |
| ٤٥ | ٤ | عامل | ١٤٠ | ٨٠ | ٢٨ | ٢٥ | ٠ | ١٠ |
| ٤٦ | ٢ | مزارع | ؟ | ؟ | ؟ | ؟ | ؟ | ؟ |

وبالنظر فى بيانات هذا الجـدول ، يمكن الوقوف على توزيع لأسر القرية على فئات الدخل ، كما يلى :

جدول (٩)

فئات الدخل وتوزيع أسر بشور عليها

| فئة الدخل بالريال | عدد وحدات المعيشة |
|---|---|
| ٠ ـ ٥٠ | ٣ |
| ٥٠ ـ ١٠٠ | ١٦ |
| ١٠١ ـ ١٥٠ | ١٧ |
| ١٥١ ـ ٢٠٠ | ٤ |
| ٢٠١ ـ ٢٥٠ | ٢ |
| ٥٠١ ـ ٥٥٠ | ١ |
| ٥٥١ ـ ٦٠٠ | ١ |
| ٩٥١ ـ ١٠٠٠ | ١ |

كما يتبين أن متوسط الدخل الشهرى يبلغ ١٣٦ ريالا ،ومتوسط الدخل السنوى ١٦٣٢ ريالا للأسرة .

أما بالنسبة للانفاق ، فان متوسط الانفاق الشـهرى للأسرة فى بشـور هو ١٦٤ ريالا ، ومتوسط الانفاق السنوى لهـا هو ١٩٦٨ ريالا . ومن ثم فان لانفاق يزيد عن الدخل . وعلى هذا فان كثـيرا من وحدات المعيشـة تظل فى وضـع المدين فترة من العام . حيث أن العـادة قد جرت على أن تحصل الأسرة على احتياجاتها من البقال بالآجل لحين حصاد المحصـول وبيعه . ولكى تواجه الأسرة بنود الانفاق المختلفة ، فانهـا توفر السيولة النقدية اللازمة لذلك عن طريق الاقتراض أو الاسـتدانة من الدلال فى جده أو مكة . ويكون هناك حساب مفتوح لدى الدلال بالنسبة لكل أسرة،بحيث تتم تصفية هذا الحساب فى نهاية كل موسم زراعى . حيث تحـدد أثمان المحاصيل التى تسلمها الدلال ، وتخصم منها المبالغ التى اقترضها.وتكون نتيجة التصفية اما بتسليم الفائض لرب الأسرة ، أو أن تظل الأسرة مدينة.

(جـ) الميراث :

عند وفاة رب الأسرة ، فان تركته توزع على ورثته طبقا للشريعة الاسلامية ، حيث يكون للذكر مثل حظ الأنثيين . وفى الواقع لا يوجدشىء كبير يورث سوى المنزل ، والحيوانات ، والمحاصيل ، والمجوهرات . وتواصل الأسرة حياتها بالمنزل بعد حدوث الوفاة . وفى حالة النزاع ، يلجأ الورثة الى المملكة الشرعية . وفى المحكمة يتم تقدير الميراث ويقسم بين الورثة طبقا للشريعة . ويقدر البيت الطينى عادة بحوالى مائة ريال . وبالنسبة للحيوانات ، فان القطيع لا يقسم عادة ، وانما يقرر أحد الورثة أن يأخذه جميعه أو الجزء الرئيسى منه ، ويدفع لباقى الورثة مقابلا ماديا لأنصبتهم . وبالنسبة للمحاصيل ، يدعى أحد الثقاة ليقوم بتقدير قيمة المحصول ، وبناء على ذلك يتحدد نصيب كل من الورثة فيها . وفى حالة المصوغات الذهبية ، التى تورث عادة من الأم للبنات ، فانه عند حدوث نزاعات بشأنها ، تباع هذه المصوغات فى سوق البدو بجده أو مكه . ويوزع ثمنها على الورثة . وفى بعض الأحيان يتم تقدير قيمة المصوغات والمجوهرات بصفة رسمية فى المحكمة الشرعية .

(د) استخدام المياه فى الزراعة :

فى الماضى ، كان ملاك الأراضى بوادى فاطمة هم ملاك العيون التى تمد المزارع بالمياه . وعندما استلزم الأمر حفر آبار عميقة ، وشراء طلمبات لتوفير ماء كاف ، فادرك كثير من الملاك أنهم لا يستطيعون تدبير النفقات اللازمة لذلك . وهنا ظهرت فئة المستأجرين . وهم طائفة من التجار تستطيع استثمار المال المطلوب ، وتحقيق استثماراتها فى المزارع . ولا يملك المستأجر مصدر المياه ويتحكم فيه فحسب ، بل انه يلعب أيضا دور المخطط والمستشار الزراعى . اذ أنه يقدم توصياته عما اذا كانت محاصيل الصيف أو الشتاء أكثر ربحا لمزرعة معينة ، وذلك بحساب كميات المياه اللازمة لانضاج المحصول خلال الموسم . ويدخل الماء ضمن حساب التكلفة، فكلما كان المحصول يتطلب كميات أكبر من المياه،كان الربح العائد منه أقل.

ويتبع المزارعون فى بشور نظاما للرى ، يراعى فيه تحقيق العدالة بالنسبة للمزارعين فى الحصول على احتياجاتهم من المياه خلال فترتى

النهار والليل · ويتقيد الجميع بجدول محدد ينص على موعد حصول كل مزارع على حصته من الماء ، باليوم والساعة · كان يقال ، مثلا ، ان فلانا سيحين موعد حصته يوم كذا ، من الساعة كذا الى الساعة كذا · وينفذ هذا الجدول بصورة دقيقة وملزمة ، بحيث يحصل كل مزارع على حقه فى الماء كاملا ، واذا كان المحصول فى حاجة الى مزيد من المياه،فان تنسيقا يجرى فى هذا الشان لتدبير الأمر ·

وتسمى فترة الرى لمدة ١٢ ساعة «وجبه»،ولمدة ٢٤ ساعة«وجبتين»، ولمدة ست ساعات «نصف وجبة» ، وهكذا · ويشرف على آبار المياه اثنان من الملاحظين ، تعهد اليهما مسئولية صيانتها وتشغيلها ، وتنفيذ جدول استخدام الماء على نحو دقيق ·

وفى الماضى ، قبل ظهور المضخات ، ووسائل معرفة الوقت كالساعة، والراديو الترانزستور ، كان أبناء القبائل فى وادى فاطمة يتبعون نظاما خاصا للتحكم فى توزيع المياه من العين على مختلف المزارعين · فقد كانت توضع «طاسة قلى» وفى أسفلها فتحة صغيرة أو ثقب فوق سطح الماء فى حوض كبير · وعندما يتسرب الماء من الثقب الى داخل الطاسة ، وتمتلىء، وتغطس تماما فى قاع الحوض ، هنا يقول احد المزارعين بصوت عال : «الطاسة الآن فى الأسفل · الدور دورى لرى حقلى» · وكان امتلاء الطاسة بالماء وسقوطها فى قاع الحوض يستغرق حوالى خمس عشرة دقيقة·وصارت هذه وحدة قياسية لاستخدام الماء وتوزيعه · وكان الماء يباع أحيانا فى المزاد عند الاحتياج اليه · وكان كل مزارع يعرض مبلغا من المال فى مقابل استخدامه للماء عددا من المرات ·

**(هـ) الانتاج الزراعى والتسويق :**

تنتج القرية أنواعا من الخضروات والفاكهة · منها البامية ، واللفت، والملوخية ، والكسبرة ، والبطاطا ، والكرات ، واللفت ، والطماطم ، والبطيخ ، والشمام ، والبلح ·

وفى الماضى ، كان الجمال يقوم بجمع الخضروات والفاكهة من المزارعين ، ونقلها على ظهور الجمال لأسواق جده ومكه · أما الآن،وعلى

الرغم من حلول السيارة محل الجمل كوسيلة للنقل ، فان الاسم مازال مستخدما • ويقوم الجمال ، على فترات متقاربة ، بتسليم المزارعين عددا من الصناديق الفارغة التى تستخدم فى نقل الخضر والفاكهة • ويقوم المزارعون بملء هذه الصناديق بما لديهم من محاصيل •ويمر عليهم الجمال لاستلامها منهم بموجب ايصالات تتضمن عدد الصناديق التى تسلمها من كل مزارع ، ونوعها • ثم يقوم بنقلها الى أسواق الجملة فى جده ومكه •

يقوم الدلال ببيع هذه الصناديق فى نظير عمولة محددة • فهو يتقاضى عمولة نسبتها ٧ر٥٪ على الخضروات ، و ٥٪ على الفواكه • وقد ذكرنا فى موضع سابق أن الدلال لديه كشوف حسابات خاصة بكل مزارع فى القرية • وأنه يتولى تسوية هذه الحسابات مع أصحابها فى نهاية كل موسم •

**الملامح السكانية لقرية بشور :**

( أ ) يوضح الجدول التالى توزيع سكان بشور حسب السن والنوع • وجدير بالذكر أن هناك اتجاها فى القرية يدعو الصغار اذا سئلوا عن أعمارهم أن يذكروا سنا أقل من سنهم الحقيقى • وأن يذكر الكبار سنا أكبر من سنهم • ولا يتم تسجيل ميلاد الطفل فى كثير من الاحيان الا عندما يلتحق بالمدرسة لأول مرة ، وتكون شهادة ميلاده من بين المستندات اللازمة لقبوله • عندئذ يبادر الوالد بقيده فى سجلات المواليد واستخراج شهادة ميلاده •

(ب) واما عن تركيب وحدات المعيشة وبنائها • فان الجدول التالى يوضح التفاصيل الخاصة بذلك • وبقراءة بيانات هذا الجدول يتضح أن ٣٢ وحدة معيشية (بنسبة ٦٩ر٦٪) لها أبناء • وهناك ثمانية من الأزواج المسنين يعيشون حاليا بمفردهم ، بعد أن كبر أبناؤهم وتزوجوا وانتقلوا للعيش فى منازل مستقلة خاصة بهم • كما يلاحظ وجود سبع وحدات معيشة ذات طابع معقد ، حيث تضم الى جانب الأزواج والزوجات بعض الاقارب الآخرين •

ويبلغ متوسط عمر رب الأسرة فى بشور ٤٧ر٥ عاما ، أما متوسط عمر الزوجة فهو ٣٧ر٦ عاما • وبالرغم من أن فى وادى فاطمة لا يهتمون بفارق

## جدول (١٠)

## توزيع سكان بشور طبقا للسن والنوع

| فئة السن | ذكور | | اناث | | المجموع | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | العدد | ٪ | العدد | ٪ | العدد | ٪ |
| ٠ – ٤ | ١٠ | ٥ر١ | ٢١ | ١٠ر٧ | ٣١ | ١٥ر٨ |
| ٥ – ٩ | ١٨ | ٩ر٢ | ١٦ | ٨ر١ | ٣٤ | ١٧ر٣ |
| ١٠ – ١٤ | ١٤ | ٧ر١ | ١١ | ٥ر٦ | ٢٥ | ١٢ر٧ |
| ١٥ – ١٩ | ٨ | ٤ر١ | ٨ | ٤ر١ | ١٦ | ٨ر٢ |
| ٢٠ – ٢٤ | ٢ | ١ر٠ | ٤ | ٢ر٠ | ٦ | ٣ر٠ |
| ٢٥ – ٢٩ | ٤ | ٢ر٠ | ٣ | ١ر٥ | ٧ | ٣ر٥ |
| ٣٠ – ٣٤ | ٣ | ١ر٥ | ٥ | ٢ر٦ | ٧ | ٤ر١ |
| ٣٥ – ٣٩ | ٦ | ٣ر١ | ٣ | ١ر٥ | ٩ | ٤ر٦ |
| ٤٠ – ٤٤ | ٢ | ١ر٠ | ٨ | ٤ر١ | ١٠ | ٥ر١ |
| ٤٥ – ٤٩ | ٤ | ٢ر٠ | ٣ | ١ر٥ | ٧ | ٣ر٥ |
| ٥٠ – ٥٤ | ٨ | ٤ر١ | ٧ | ٣ر٦ | ١٥ | ٧ر٧ |
| ٥٥ – ٥٩ | ٦ | ٣ر١ | ١ | ٠ر٥ | ٧ | ٣ر٥ |
| ٦٠ – ٦٤ | ٤ | ٢ر٠ | ٥ | ٢ر٦ | ٩ | ٤ر٦ |
| ٦٥ – ٦٩ | ١ | ٠ر٥ | ١ | ٠ر٥ | ٢ | ١ر٠ |
| ٧٠ – ٧٤ | ٣ | ١ر٥ | ١ | ٠ر٥ | ٤ | ٢ر٠ |
| ٧٥ – ٧٩ | – | – | ١ | ٠ر٥ | ١ | ٠ر٥ |
| ٨٠ – ٨٤ | ١ | ٠ر٥ | ٢ | ١ر٠ | ٣ | ١ر٠ |
| ٨٥ – ٨٩ | – | – | – | – | – | – |
| ٩٠ – | ١ | ٠ر٥ | ١ | ٠ر٥ | ٢ | ١ر٥ |
| الاجمالى | ٩٥ | ٤٨ر٥ | ١٠١ | ٥١ر٥ | ١٩٦ | ١٠٠ |

السن بين الجنسين عند الزواج ، فان الرجال فى بشور يفضلون الزواج بفتيات أصغر منهم·لأن معدل وفيات الزوجات عند الولادة مرتفع·ويعتقد الرجال أن الزوجة الأصغر سنا تكون أكثر تحملا للولادة ومخاطرها · وتكون بالتالى أقل تعرضا لخطر الموت فى هذه الحالات ·

ويلاحظ من الجدول أن حجم الأسرة فى بشور يتميز بالصغر·ويرجع ذلك الى أن الأبناء عندما يتزوجون فانهم يؤسسون أسرا زواجية خاصة بهم· ومن ثم فان الأسرة فى هذه القرية تكمل دورة حياتها بسرعة · ويبقى الزوجان وحيدان فى نهاية المطاف كما بدآ حياتهما معا عند زواجهما · ويكون الأمر أكثر حساسية عندما يتوفى أحدهما ويبقى الآخر وحيدا · وفى مثل هذه الحالة ، يترتب على الأبناء مسئولية أخلاقية واجتماعية ، وهى العناية بالوالدين المسنين أو بمن يبقى منهما بعد رحيل الآخر ·

ومن المعروف أن نمو السكان يعتمد على مصدرين هما المواليد ، والقادمين أى المهاجرين الوافدين · وجدير بالذكر أنه فى الفترة ما بين ١٩٥٨ وعام ١٩٧٠ كان عدد الأسر التى غادرت بشور أكبر من عدد الأسر التى جاءت اليها ·

(جـ) الزواج والطلاق :

يبلغ عمر الفتاة عند زواجها للمرة الأولى أربعة عشر عاما ، ويبلغ عمر الشاب سبعة عشر عاما·وقد كان الوضع فى قرية بشور من حيث الحالة الزواجية ، وقت اجراء الدراسة على النحو التالى :

لم يسبق له الزواج : ١٣ (١٠ ذكور ، ٣ اناث)

متزوج : ٨٨ (٤٣ ذكور ، ٤٥ اناث)

أرمل : ٣ (٢ ذكور ، ١ أنثى)

مطلق : ٣ (١ ذكر ، ٢ اناث)

المجموع : ١٠٧ (٥٦ ذكور ، ٥١ اناث)

وتبلغ نسبة الرجال المتزوجين ٤٣٪ من مجموع الأشخاص وعددهم ١٠٧ شخصا · وهناك رجلان من هؤلاء الرجال المتزوجين لكل منهما

جدول (١١)

بناء وحدات المعيشة فى قرية بشور

| بناء وحدات المعيشة | عدد وحدات المعيشة | ٪ |
|---|---|---|
| الزوج والزوجة الشابة ، بدون أطفال | ٣ | ← ٦ر٥ |
| الزوج والزوجة ، وطفل واحد | ٧ | ١٥ر٢ |
| الزوج والزوجة وطفلين | ٦ | ١٣ر٠ |
| الزوج والزوجة وثلاثة أطفال | ٤ | ٨ر٧ |
| الزوج والزوجة وأربعة أطفال | ٣ | ٦ر٥ |
| الزوج والزوجة وخمسة أطفال | ٤ | ٨ر٧ |
| الزوج والزوجة وستة أطفال | ١ | ٢ر٢ |
| الزوج والزوجة وسبعة أطفال | ١ | ٢ر٢ |
| الزوج وزوجتين ، وستة أطفال | ١ | ٢ر٢ |
| الزوج وزوجتين ، وثمانية أطفال | ١ | ٢ر٢ |
| الزوج والزوجة متوسطة العمر ،بدون أطفال | ٢ | ٤ر٣ |
| الزوج والزوجة (المسنين) | ٦ | ١٣ر٠ |
| امرأة أرملة | ١ | ٢ر٢ |
| رجل أرمل | ١ | ٢ر٢ |
| الأب ، وطفل واحد | ١ | ٢ر٢ |
| الزوجوالزوجة ،وطفلواحد ، واقاربالزوجة | ١ | ٢ر٢ |
| الزوج والزوجة ،وثلاثة أطفال ،وأم الزوجة | ١ | ٢ر٢ |
| الزوج والزوجة ، وأم كل منهما | ١ | ٢ر٢ |
| الزوج والزوجة ،وثلاثة أطفال ،وخالة وعمة | ١ | ٢ر٢ |
| المجموع | ٤٦ | ١٠٠ |

زوجتان . وتبلغ نسبة المتزوجين فى قرية بشور من الجنسين ٨٢٪.أما غير المتزوجين فتبلـغ نسبتهم ١٢٪ . وتبلغ نسبة الذين فقـدوا زوجاتهـم أو أزواجهم بسبب الوفاة أو الطلاق ٦٪ .

وكثـير من أبنـاء بشور يتزوجون أكثر من مرة . فهنـاك ١٥ رجلا تزوجوا مرتين . وهناك ستة رجال من بين هؤلاء الخمسة عشر قد تزوجوا للمرة الثانية بعد طلاق الزوجة الأولى ، وستة آخرون تزوجوا بعـد وفاة الزوجة الأولى . وأما الثلاثة الباقون ، فقد احتفظوا بالزوجة الأولى الى جانب الزوجة الثانية . وهناك رجلان تزوج كل منهما ثلاث مرات . أولهما تزوج للمرة الثالثة بعد وفاة زوجتيه . وثانيهما بعد وفاة زوجتـه الأولى وطلاق زوجته الثانية . وهنـاك ست نسـاء تزوجن مرتين . خمس منهن تزوجن للمرة الثانية بعد طلاقهن . وأما السادسة فقد تزوجت بعـد وفاة زوجها. وخلاصة القول . أن عدد الرجال فى بشور الذين تزوجوا للمـرة الثانية سبعة عشر رجلا ، تبلغ نسبتهم ١٦٪ من مجموع الرجال فى القرية. وعدد النساء اللائى تزوجن للمرة الثانية ست نساء ، تبلغ نسبتهن ٦٪ من مجموع النساء .

وأما فيما يتعلق بفارق السن بين الأزواج والزوجات . فقـد تبين أن عمر الزوج يزيد خمس سنوات عن عمر الزوجة فى أسرة واحدة . ويتساوى عمر الزوجان فى ثلاث أسر . ويزيد عمر الزوج بين أربع وست سنوات عن عمر الزوجة فى تسع أسر . ويزيد عمر الزوج بين سبع وتسع سـنوات فى أسرتين . ويزيد عمر الزوج بين عشر سنوات واثنتا عشرة سـنة فى احدى وعشرين أسرة . وفى أكثر من ثمانى أسر يزيد عمر الزوج عن عمر زوجته ثلاثة عشر عاما.وهناك أسرة واحدة يزيد عمر الزوج فيها عن عمر الزوجة اثنين وعشرين عاما . ويبلـغ متوسط فارق السن فى القـرية بين الزوجين عشر سنوات .

والزواج بين أفراد العشـيرة أو القبيلة الواحدة أمر مالوف ومتبع فى بشور . وهنـاك أربعون أسرة من مجموع أسر بشور البـالغ عددها ست وأربعون ، تنتمى الى قبيلة حرب . ويتزوج الرجل البذوى عادة بفتاة فى

نفس مستواه الاجتماعى . ومن الممكن أن يتزوج بفتاة من قبيلة يقل مستواها الاجتماعى عن مستوى قبيلته . أما الفتاة البدوية فلا يمكن لها مطلقا أن تتزوج برجل بدوى ينتمى الى قبيلة يقل مستواها الاجتماعى عن مستوى قبيلتها . ويمكن لها أن تتزوج برجل من نفس قبيلتها، أو من قبيلة ذات مكانة اجتماعية أعلى اذا أتيحت الفرصة لذلك . وتقاس المكانة الاجتماعية بأصل القبيلة ونسبها وحسبها. ومن ثم فان مكانة البدوى تقاس بانتمائه الى القبيلة فى هذا الاطار ، بصرف النظر عن كونه غنيا او فقيرا، منتجا نشيطا أو خاملا كسولا ، ناجحا فى عمله أو كان فاشلا. وهناك أمثلة عديدة تؤكد ذلك .

ويلاحظ أن نمط الزواج الشائع فى قرية بشور هو الزواج بأبناء وبنات العمومة والخئولة . ويؤكد الأهالى أن هذا من شانه تقوية أواصر الترابط بين العائلات . كما أنه ييسر من اجراءات الزواج ويقلل من حدة الأمور المالية اللازمة له،كالمهر والنفقات الخاصة بالاحتفالات ، حيث يكون هناك تسامح ومرونة فى هذا المجال .

ولا يعتبر الطلاق مصدرا للخزى أو الاحتقار على الاطلاق . فهو أمر عادى جدا ولا ينطوى على أى احساس بالمهانة او انتقاص الكرامة الشخصية أو العائلية . والدليل على ذلك أن هناك حالة ، على سبيل المثال ، قام فيها الزوج بتطليق زوجته ، ثم تزوج بشقيقتها بعد ذلك دون أن يحدث اعتراض من جانب عائلتها ، وأيضا دون أن يترتب على ذلك أى احساس بالعداوة بين الأختين .

وعند حدوث الطلاق ، فان الأطفال لا يشكلون عبئا فيما يتعلق باقامتهم ومعيشتهم. وقد جرى العرف على أن المرأة عندما تطلق ثم تتزوج برجل آخر ، فانها تترك بناتها عند والدهم ، حيث لا يليق أن تعيش البنات مع زوج الأم . وهناك قدر كبير من التعاون بين افراد العائلات فى تربية الأطفال والعناية بهم بعد الطلاق . ومن المألوف أن يتحرك أبناء الأزواج المطلقين ذهابا وايابا بين الأب والأم دون أن يشعروا بأى نوع من المعاناة أو الآلام النفسية .

**(د) التعليــــم :**

يعتبر التعليم من بين العوامل المهمة التى شجعت أهالى قرية بشور على الاستقرار بها واستيطانها • اذ أن قربها من قرية «دف زينى» التى تضم مدرسة ابتدائية ، يجعل بامكانهم تعليم أطفالهم بهذه المدرسة.ويبدو أن ثمة ادراكا لأهمية التعليم كوسيلة للحراك الاجتماعى وتحسين فرص الحياة ومستوى المعيشة • فالأولاد يطمحون الى الحصول على وظائف حكومية مريحة وذات راتب شهرى مجز • والسبيل الى تحقيق ذلك هو الحصول على مؤهلات دراسية مناسبة • والبنات لديهن حافز الى التعلم ، حيث أنه يساعدهن على قراءة القرآن • ولذا فان أطفال قرية بشور أغلبهم مقيدون بالمدرسة فى الدراسة • وقد شجع الأهالى على تعليم أطفالهم أيضا، أن الحكومة تتكفل بمعظم تكاليف ونفقات التعليم • بل ان هنـــاك بعض مدارس التدريب المهنى فى المدينة تدفع لتلاميذها مرتبات شهرية •

ويوضح الجدول التالى رقم (١٢) توزيعا للأفراد فى قرية بشور (ست سنوات فاكثر) طبقا لفئات السن ، والنوع ، من حيث حالتهم التعليمية :

جدول (١٢) التعليم فى قرية بشور طبقا للنوع وفئات السن

| الحالة التعليمية | أميــــون | | | يقرأون ويكتبون | | | الاجمالى | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| النوع / فئة السن | ذكور | اناث | المجموع | ذكور | اناث | المجموع | ذكور | اناث | المجموع |
| ٦ ــ ١٠ | ٧ | ٩ | ١٦٠ | ١٣ | ٦ | ١٩ | ٢٠ | ١٥ | ٣٥ |
| ١١ ــ ١٥ | ٠ | ٣ | ٣ | ١١ | ٤ | ١٥ | ١١ | ٧ | ١٨ |
| ١٦ ــ ٢٠ | ٠ | ٧ | ٧ | ٦ | ٠ | ٦ | ٦ | ٧ | ١٣ |
| ٢١ ــ ٢٥ | ١ | ٣ | ٤ | ٢ | ٠ | ٢ | ٣ | ٣ | ٦ |
| ٢٦ ــ ٣٠ | ٣ | ٥ | ٨ | ٠ | ٠ | ٠ | ٣ | ٥ | ٨ |
| ٣١ ــ ٣٥ | ٥ | ٢ | ٧ | ١ | ٠ | ١ | ٦ | ٢ | ٨ |
| ٢٦ ــ ٤٠ | ٠ | ٨ | ٨ | ١ | ٠ | ١ | ١ | ٨ | ٩ |
| ٤١ ــ | ٢٧ | ٢٣ | ٥٠ | ٢ | . | ٢ | ٢٩ | ٢٣ | ٥٢ |
| المجموع | ٤٣ | ٦٠ | ١٠٣ | ٣٦ | ١٠ | ٤٦ | ٧٩ | ٧٠ | ١٤٩ |

وفى بشور ٢٥ صبيا من الذين تتراوح أعمارهم بين سبع سنوات وتسعة عشرة عاما (والذين يبلغ عددهم ٣٥ صبيا) يذهبون الى المدرسة لتلقى التعليم٠أما العشرة الباقون فهناك ستة منهم يتطلعون الى الذهاب للمدرسة فى وقت قريب ٠ وهناك اثنان من هؤلاء العشرة لا يذهبان الى المدرسة لانهما يساعدان أبويهما فى عمل الحقل ٠ وأما الاثنان الباقيان من العشرة فهما أخوان تركا المدرسة بعد فترة قصيرة من التحاقهما بها،وذلك لكسلهما، بالاضافة الى أسباب أخرى ٠

وهناك احدى عشرة فتاة من الفتيات الثمانيــة عشرة اللائى تؤهلن أعمارهن للذهاب الى المدرسة يذهبن اليها بالفعل ٠ ويبدو أن الفتيات أقل اهتماما من الصبية فى الرغبة فى التعليم ، أو أن الأهل أقل حرصا على تعليم البنات ٠

ومن بين الفتيان الكبار الذين تزيد أعمارهم على ثلاثة عشر عاما ، (والبالغ عددهم ١٠٧ فتى) ، فقد اجتاز ٣٣ منهم المرحلة الابتدائية٠وهم يمثلون ٣٠ر٨٪ من اجمالى عدد الفتيان الكبار فى بشور ٠ وقد حصل سبعة أشخاص على الشهادة الاعدادية٠كما حصل اثنان على دبلوم معهد المعلمين٠

**الحيــاة اليومية فى بشــور :**

تستيقظ الأسرة فى بشور قبل الفجر بقليل ٠ وبعد أن يؤدى الوالدان صلاة الفجر ، يقوم أحدهما باعداد القهوة العربية ٠ ويكون صوت تكسير البن بعد تحميصه ووضعه على النار ، ورائحته الطازجة بمثــابة الدعوة الموجهة الى باقى أفراد الأسرة للاستيقاظ ٠ وبعد تناول القهــوة تقوم الأم أو الأب بارسال الأبناء الى البئر لاحضار الماء ٠ وبعد ذلك يقومون باطعام الحيوانات ٠

وعند شروق الشمس ، تتنــاول الأسرة طعــام الافطار ، ويتكون من القهوة والبلح والخبز واللبن٠وبعد الافطار يذهب الأب الى الحقل٠وتبدأ الأم فى ممارسة الأعمال المنزلية ، كالتنظيف والخياطة٠وتستخدم فى كنس المنزل مكنسة صغيرة مصنوعة من الليف ٠

وفى حوالى السابعة صباحا ، يذهب الأطفال الى المدارس التى تبدأ فيها الدراسة فى السابعة والنصف · وفى حوالى الحادية عشرة ينال الجميع قسطا من الراحة · وتسمى هذه الفترة «التلبيبة» ، فتوقف المرأة أعمالها المنزلية لتناول القهوة · ويتجمع الرجال فى الحقل تحت احدى شجرات السدر لتناول الشاى · وفى نفس الوقت يأخذ الأطفال فى المدرسة فترة راحة أو فسحة ، خلال اليوم الدراسى ·

وعندما يحين موعد صلاة الظهر ، يقوم الجميع بأدائها · وفى الساعة الواحدة والنصف يعود الأبناء من المدرسة · وبعد ذلك بقليل يعود الأب من الحقل · وما بين الساعة الثانية والساعة الثالثة بعد الظهر ، تتناول الأسرة طعام الغذاء ، وهى الوجبة الرئيسية ، وتتكون من الأرز الساخن والطماطم ، وسلطة الخضروات ، والبصل الأخضر الطازج ، والقهوة · وبعد ذلك تنام الأسرة قليلا ، حيث تكون الحرارة فى هذه الفترة مرتفعة · وبعد ذلك تقوم الأسرة لأداء صلاة العصر ، وذلك فيما بين الساعة الثالثة والساعة الرابعة · وقد يذهب الرجال بعد ذلك الى الحقول للعمل بها حتى وقت غروب الشمس، بينما يذهب الأطفال للعب أو أداء واجباتهم المدرسية، أو مساعدة الأم فى بعض الأعمال ·

وفى موسم الحصاد ، قد يظل الرجال يعملون فى الحقل طوال اليوم ولا يذهبون الى المنزل الا لفترة قصيرة فى منتصف النهار لتناول وجبة خفيفة · وحينما يعودون الى المنزل عند الغروب يكونون مرهقين تماما ·

ويؤدى الرجال صلاة المغرب بالمسجد ، أما النساء فانهن يؤدينها بالمنزل ، وبعد ذلك بقليل تتناول الأسرة طعام العشاء، وهى وجبة خفيفة تتكون من الطعام المتبقى من وجبات أخرى ، وقهوة ، وخبز ، ومربى · وبعد العشاء يتجمع الناس فى مجموعات صغيرة ، فى عدد من المنازل لفترة قصيرة · وفيها تسعد النساء بمقابلة بعضهن بعضا ، لأنهن يقضين معظم اليوم بالمنزل وحدهن، كما يستمتع الرجال بالجلوس معا ويتجاذب أطراف الحديث · وفى تلك الجلسات المسائية يحرق البخور وتقدم القهوة والشاى، كما يرش ماء الورد على الأقارب والأصدقاء الذين يتوافدون على منازل اقاربهم وأصدقائهم ·

ومن المعتاد أن يخلد الأهالى للنوم فى وقت مبكر، أى بين الساعة التاسعة والساعة العاشرة مساء . وهناك حالات استثنائية لا يكون النوم فيها مبكرا، وذلك عند استقبال ضيوف من خارج القرية ، أو فى المناسبات الخاصة ، كالأعياد ، حيث تستمر التجمعات المسائية لفترة أطول، يقوم فيها الأهالى بتناول وجبة كبيرة فى الساعة الحادية عشرة والنصف قبل منتصف الليل . وتشير تلك الوجبة الى قرب انتهاء المجلس ، وأن الوقت قد حان لانصراف الضيوف . وتتكون هذه الوجبة من «السليق» وهو طبق الأرز الشهى المطبوخ باللبن واللحم .



**تعقيب :**

وبعد هذا العرض الموجز لدراسة كاتاكورا . يود كاتب هذه السطور أن ينوه الى أن المجتمع السعودى قد شهد تغيرات كبيرة خلال الفترة التى أعقبت اجراء الدراسة . وقد شملت هذه التغيرات المجتمع بأسره فى كافة الأنحاء والمناطق . وبطبيعة الحال فان منطقة وادى فاطمة وقرية بشور ينطبق عليهما نفس الشىء . فبعد عام ١٩٧٣ ازدادت عوائد البترول ، وأخذت المملكة العربية السعودية فى اعداد خطط خمسية للتنمية. استطاعت من خلالها أن تحقق انجازات تنموية للمجتمع السعودى لا يستطيع مجتمع آخر أن يحققها خلال نفس هذه الفترة . وشهد المجتمع السعودى نهضة كبرى فى مختلف مجالات الحياة الاقتصادية ، والاجتماعية والثقافية .

لقد تحضرت كثير من القرى السعودية، وانفتحت على العالم الخارجى وتمتعت بالخدمات المتطورة فى مجالات عديدة كالاتصالات ، والمواصلات وشبكات الطرق الحديثة ، والمياه ، والكهرباء ، والرعاية الطبية المتقدمة، ومؤسسات التعليم بمختلف مراحله . ولم تعد منطقة وادى فاطمة وقرية بشور فى الوقت الحاضر كما كانت وقت أن قامت الباحثة بدراستها . وقد قام كاتب هذه السطور ، بالاشتراك مع زميله الدكتور اسماعيل بن خليل كتبخانة رئيس قسم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجده ، باجراء دراسة تتبعية لمنطقة وادى فاطمة وقرية بشور.

وهى دراسة ميدانية تتبعية أجرياها فى عام ١٩٨٩ . وكان الهدف منها هو الوقوف على التغيرات التى شهدتها المنطقة والقرية بعد مرور عشرين عاما على دراسة كاتاكورا . وقد كشفت الدراسة التتبعية الجديدة عن تغيرات واسعة النطاق شملت مختلف جوانب الحياة فى وادى فاطمة وقرية بشور(٢).

## الحواشى والمراجع


1. Motoko Katakura, **Bedouin Village. A Study of a Saudi Arabian People in Transition,** University of Tokyo Press, 1977.

(٢) يمكن الوقوف على تفاصيل هذه الدراسة فى :

اسماعيل بن خليل كتبخانه ، وحسن أحمد الخولى ، **التغير والتنمية الاجتماعية • دراسة تتبعية ميدانية لقرية بدوية بمنطقة وادى فاطمة فى المملكة العربية السعودية** ، تحت الطبع •

# الفصل السابع

## الدراسة الانثروبولوجية المتعمقة
## لعدد من القرى والاحياء الحضرية
## بواسطة فريق بحث أنثروبولوجى ميدانى

مقـــــــدمة :

أجرى فى مصر لأول مرة انجاز ضخم فى مجال البحث الأنثروبولوجى . ففى الفترة من ١٩٨١ وحتى عام ١٩٨٤ ، شـاركت مصر فى مشروع دولى تشرف عليه منظمة العمل الدولية بجنيف ، حول أدوار المرأة والتغـيرات الديموجرافية فى عدد من بلدان العـالم الثالث ، شملت مصر ، والهنـد ، وبنجلادش ، وجمهورية طشقند بالاتحاد السوفيتى . ويهدف هذا المشروع الكبير الى تحقيق خطوة متقدمة على طريق فهم أوضاع المرأة فى هذه البلدان من حيث أنشطتها ، ومكانتها ، وطبيعة أدوارها ، وتفاعلها مع أعضـاء أسرتها ، ودورها فى صنع القررات التى تتخذ داخل الأسرة ، وعلاقة هذا كله بصحتها وخصوبتها ، وسلوكها الانجابى بوجه عام .

وتقوم استراتيجية هذا المشروع على أن يتشكل فريق علمى متخصص ، بكل بلد من البلدان المذكورة ، ليقوم باجراء الدراسات الخاصة به فى بلده ، مع الاستعانة بدليل للعمل يتضمن الخطوط العريضة والعنـاصر الرئيسية التى ستتم على أساسها المقارنات التى ستجرى بعـد اتمام العمـل ، بين أوضاع المرأة فى هذه البلدان بعضها وبعض . وقد كان مركز بحوث التنمية والتخطيط التكنولوجى بجامعة القاهرة ، هو الجهة الرسمية فى مصر التى تولت التنسيق فى هذا المجال مع منظمة العمل الدوليـة . ومن خلال هذا المركز ، ثم تشـكيل فريق علمى من المتخصصين فى علـوم الاجتمـاع ، والأنثروبولوجيا ، والاقتصاد ، وعلوم الحاسب الآلى ، تكون مهمته اجراء هذا المشروع فى مصر .

وعلى المستوى الاجرائى ، تقوم استراتيجية هذا المشروع على أساس المزاوجة بين أسلوب الدراسة المسحية السوسيولوجية ، وأسلوب الدراسـة الأنثروبولوجية المتعمقة . أى الجمع بين الأساليب والوسائل المختلفة التى تتيح امكانية جمع المادة وتحليلها على المستويين الكمى والكيفى . وعلى هذا الأساس ، فقـد تم جمع بيـانات مسحية من عينة قوميـة باستخدام

استبيان طبق على ثلاث فترات وفقا للدورة الزراعية،حيث تتنوع الأنشطة فى الريف وتتباين وفقا لذلك . وعلى الجانب الآخر ، تم اجراء دراسة أنثروبولوجية متعمقة فى ثلاث قرى بمحافظة الفيوم ، وثلاثة أحياء حضرية أحدها بمدينة الفيوم ، واثنان بمدينة القاهرة هما حى الخليفة وحى العباسية.وقد وقع الاختيار على مائة اسرة تمثل انماطا مختلفة من الأسر فى هذه القرى والأحياء الحضرية ، وفقا لعدد من محكات الاختيار بما يتناسب وطبيعة الموضوع .

وقد تولت الاشراف على الجانب الأنثروبولوجى فى هذا العمل الكبير، الأستاذة الدكتورة علياء شكرى ، وعاونها فى ذلك كاتب هذه السطور . ونظرا لاتساع نطاق العمل المطلوب انجازه،والأمل المعقود عليه فى الوصول الى حقائق علمية أكثر دقة ، فقد تم وضع خطة يراعى فيها تشكيل فريق للبحث الميدانى الأنثروبولوجى لأول مرة فى مصر.على أن يتم تدريب هذا الفريق ويعد اعدادا جيدا للعمل الميدانى وانجازه خلال عام .

وقد روعى فى وضع خطة الدرسة الأنثروبولوجية المتعمقة هذه ان يتم تناول الموضوع من منظور جديد فيما يتعلق بمنهج دراسة الحالة . اذ أن انجاز هذا العمل يضعنا وجها لوجه أمام **عدد متداخل من «الحالات» التى تتفاوت فيما بينها من حيث المستوى . فالاخبارية الرئيسية فى الأسرة** تمثل مستوى لدراسة الحالة يركز على الفرد ويجعله محورا تدور حوله الدراسة المتعمقة لوحدة المعيشة . **ووحدة المعيشة** تمثل مستوى آخر لدراسة الحالة يركز على الأسرة فى ضوء خصوصيتها من جهة ، واشتراكها فى نمط معين مع غيرها من الأسر الممثلة لهذا النمط من جهة أخرى . **والقرية ، أو الحى الحضرى**،كل منهما يمثل مستوى ثالثا لدراسة الحالة يركز على طبيعة كل منهما ، وما يتسم به من سمات اقتصادية واجتماعية وثقافية ، تشكل حياة الناس فيه ، وقد تميزهم عن غيرهم من أبناء القرى أو الاحياء الحضرية الأخرى . **والمجتمع المصرى** يمثل مستوى رابعا لدراسة الحالة ، مقارنا بغيره من المجتمعات الأخرى التى سبق ذكرها ، والتى تشترك معه فى دراسة الموضوع ذاته .

ان انجاز هذه الدراسة المتعمقة بواسطة فريق للبحث الميدانى ، يمثل

اطارا جديدا للبحث الأنثروبولوجى ، ويفتح آفاقا جديدة امام المشتغلين بالعلم الاجتماعى لتطوير اساليبهم فى دراسة الظواهر والقضايا الاجتماعية المختلفة على أسس منهجية أدق ٠ وسوف نقتصر فى حديثنا هنا على فريق البحث وتنظيم العمل الميدانى ٠ أما فيما يتعلق بالتفاصيل والنتائج التى انتهت اليها الدراسة ، فيمكن الوقوف عليها فى كتاب بعنـوان : المرأة فى الريف والحضر ، دراسة لحياتها فى العمل والأسرة ، تاليف الدكتورة علياء شكرى وزميليها ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ، ١٩٨٨ ٠

*•*

**فريق البحث الأنثروبولوجى الميدانى**

**(الاطار الجديد للبحث الأنثروبولوجى المتعمق ، ومنهج دراسة الحالة) :**

**مقـــــدمة :**

الشائع فى البحوث والدراسات الانثروبولوجية انها تعتمـد فى أغلب الاحيان على جهود الباحثين الافراد،سواء على مستوى الدراسات الاكاديمية للحصول على درجة علمية ، أو المساهمات الفردية البحثية الأخرى٠ وان كانت هناك دراسات انثروبولوجية اعتمدت على فريق البحث فهى دراسات قليلة يعرفها تاريخ العلم الاجتماعى٠وقد أجريت هذه الدراسات فى الخارج وفق مفهوم معين لصيغة «فريق البحث»٠أما فى مجتمعنا المصرى فقد ظلت الدراسات الانثروبولوجية تجرى على المستوى الفردى ٠ ولم تكن هنـاك حتى قبيـل دراستنا الانثروبولوجيـة هذه حول أدوار المرأة والتغـيرات الديموجرافية سوى محاولتين لاستخدام صيغة فريق البحث الانثروبولوجى الجديدة قام بهما الدكتور محمد الجوهرى ، والدكتورة علياء شكرى على نحو ما سيتضح فى الصفحات التالية ٠ أما دراستنا هذه فقد اعتمدت على صيغة جديدة متطورة لفـريق البحث تختلف عن تلك الصيغة التقليـدية المستخدمة فى البحوث السوسيولوجية وكذا فى الدراسات الانثروبولوجيـة الاجنبية المعروفة ٠ وسوف نقدم تجربتنا الميدانيـة لاستخدام هذه الصيغة المتطورة التى مارسناها فى بعض المنـاطق الريفية والحضرية بمحافظتى الفيـوم والقاهرة طوال عام ونصف ٠ أى منذ بداية ديسمبر ١٩٨١ وحتى

نهاية شهر مايو ۱۹۸۳ ۰ مع توضيح الفرق بينها وبين الصيغ المعـروفة فى الدراسات المصرية السابقة وملامح هذه الصيغة الجديدة والصعوبات التى تواجه استخدامها ، ثم سماتها الايجابية ۰

**أولا ـ الصيغة التقليدية لمفهوم «فريق البحث» من واقع الدراسات المصرية:**

لقد وردت بعض الكتابات حول فريق البحث كأسلوب للعمل الميدانى فى مجال البحوث الاجتماعية وخاصة ميادين علم الاجتماع والانثروبولوجيا. فقد تناول الدكتور عزت حجازى هذا الموضوع فى مقال بعنـوان : «فريق البحث : دراسة فى سوسيولوجيا التنظيم» ، صدر فى عام ۱۹۷۳(۱) .كمـا تناوله أيضا الدكتور على محمود اسـلام الفار فى مقـال بعنوان : «بـحث الفريق كطريقة لدراسة المجتمع» صدر عام ۱۹۷٥(۲) ۰ وقد تناول الدكتور حجازى هذا الموضوع من زاوية خاصة فى ضوء ملاحظـاته المستخلصة من تجربة اشتغاله بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية لسنوات طوال، ومشاركته فى عدد من البحوث التى كانت تجرى من خلال «هيئة بحث» تتخذ شكل «فريق للبحث» ذو طابع تنظيمى رسمى.وقد اقتصرت معالجته على ما يعرف «بهيئة البحث» فى البحوث الاجتماعيـة أى الجماعة التى تتولى التخطيط للبحث والاشراف على تنفيذ الخطة والمشاركة فى تنفيذها أحيانا ۰ ولم تتطرق المعالجة للمشكلات المتعلقة بالباحثين الميدانيين ۰ وقد جاء تنـاول الموضـوع على نحو يبرز ملامح فريق البحث عـلى المستوى التطبيقى ، وأخيرا امكانات فريق البحث وحدوده ۰

ففى الفقرة الأولى الخاصة بالفريق على المستوى النظرى يوضح أن فريق البحث باعتباره أحد التنظيمات الرسمية له مقومات عدة أهمهـا :

( أ ) أن يقوم لتحقيق عدد من الأهداف العامة التى تتحـدد مسبقا فى وثيقة ۰

( ب ) أن يضع نظاما لتقسيم العمل وتوزيع الادوار بما يحقق انجاز الهـــدف ۰

( جـ ) أن يضع نظاما للاتصال يحدد أساليب تبادل الرسائل ۰

( د ) أن يتبنى مجموعة من القواعد لاختيار الأعضاء واحلال محلهم أو استبدالهم ۰

( هـ ) أن يعتمد على نظام واضح للجزاء .

كما يوضح بالاضافة الى ذلك بعض الأمور الأخرى المتصلة بديناميات عمل الفريق فى ضوء نظام الاشراف الكفء ، ونظام الاتصال الفعال . ومن ذلك أن المناقشة الجماعية تعمل كميكانيزم لتصحيح الأخطاء الفردية،وأن رغبة الأعضاء فى الحصول على تقدير الآخرين يدفعهم الى العمل والتفكير المستمر ، وأن التنافس بين الأعضاء يدفعهم الى تعبئة طاقاتهم واستغلالها. بالاضافة الى ذلك يحدد الكاتب صيغة فريق البحث التى يتحدث عنها قائلا : «فريق البحث ليس مجرد عدد من الأشخاص ، وانما هو عدد من الأعضاء يمثلون تخصصات مرتبطة بالموضوع محل الدراسة،يلعبون أدوارا متكاملة نقطة الأساس والارتكاز فيها هى انجاز الهدف من تكوين الفريق». كما يتأكد هذا المعنى أيضا بتعبير آخر حيث يقول : «ويفرض منطق البحث من تخصصات متعددة interdisciplinary قيودا هامة على تشكيل فريق البحث ، فهو ليس مجرد عدد من الأفراد يختارون كيفما اتفق ، وانما هو العدد من الأفراد الذين يمثلون مجالات معينة لها علاقة بالموضوع محل الدراسة،والذين يسمح عملهم معا بدراسة المشكلة من أبعادها المختلفة»(٣).

ثم يتحدث عن كثير من الشواهد الواقعية التى تقلل من قيمة أسلوب فريق البحث وكفاءته.ومن ذلك ما يتصل بصراع الأدوار وتعارض الأهداف الشخصية لأعضاء الفريق مع الأهداف العامة التى يسعى الفريق ككل الى تحقيقها . والمشكلات المتصلة بأعضاء الفريق أنفسهم ـ أى أعضاء هيئة البحث بالمعنى السابق ـ كانتماءاتهم الى تخصصات مختلفة ، وتبنيهم لأفكار متباينة ، واستعمالهم لمفاهيم ومصطلحات بدلالات مختلفة وخاصة.

وأما الدكتور على اسلام فقد تناول موضوع فريق البحث فى اطار نفس الصيغة التى وردت عند الدكتور عزت حجازى على النحو السابق . ويظهر ذلك بوضوح من أمثلة الدراسات الحقلية التى ذكرها . فقد اعتمدت كل من هذه الدراسات الحقلية على فريق للبحث يتألف من رئيس مشرف وعدد من الأعضاء الذين ينتمون الى تخصصات علمية مختلفة . وجدير بالذكر أيضا أن الكاتب قد أورد عددا من العيوب التى يتسم بها أسلوب بحث الفريق ،

كتعذر الحصول على الباحثين الاكفاء اللازمين للاشتراك فى فريق البحث ، وضياع الوقت فى المناقشات التى قد تطول اكثر مما ينبغى،وانعدام التوافق بين أعضاء الفريق ، وسوء التنظيم وعدم وجود التمويل الكافى لاجراء البحث . كما قدم عددا من التوصيات الكفيلة بتوفير امكانية نجاح هذه الطريقة كتوفير الأموال والمعدات اللازمة للبحث ، والتدقيق فى اختيار الباحثين الأكفاء.ومشاركة المشرفين فى العمل الميدانى الى جانب الباحثين، واتباع العلاقات الانسانية كاطار للتفاعل بين أعضاء الفريق .

هكذا جاء تناول كل من هذين الكاتبين للموضوع . والواضح ان كلا منهما قد تناول الموضوع من وجهة نظر تتفق مع ميدان للاهتمام يتمز عن الآخر . فالأول تحدث عن مفهوم «هيئة البحث» بالمعنى المستخدم فى البحوث السوسيولوجية والمسوح،وهو أسلوب متبع فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . أما الثانى فقد تحدث عن أسلوب «بحث الفريق» على النحو المستخدم فى بعض الدراسات الحقلية الأجنبية فى مجال الأنثروبولوجيا . والملاحظ أن الكاتبين لم يميزا بين هذين المفهومين أو هاتين الصيغتين ، فقدم كل منهما معالجته للموضوع ، دون تفرقة بين الصيغتين . أى أن كلا منهما لم يأخذ الصيغة الأخرى فى اعتباره عند تناوله للموضوع . وعلى الرغم من أن الدكتور الفار قد أورد أمثلة عديدة لدراسات أنثروبولوجية أجنبية اعتمدت على أسلوب بحث الفريق،الا انه لم يذكر دراسة واحدة اعتمدت على هذا الأسلوب فى مجتمعنا المصرى . ولعل ذلك يرجع الى أن استخدام هذا الأسلوب فى الدراسات الأنثروبولوجية لم يكن متبعا فى مصر حتى ذلك الوقت ، حيث لم تكن هناك سوى دراسة واحدة هى «دراسة بعض مظاهر التغير فى مجتمع غرب أسوان» التى أشرف عليها الدكتور محمد الجوهرى»(٤) .

**ثانيا ـ صيغة «فريق البحث» فى دراستنا الأنثروبولوجية المتعمقة :**

حتى قبيل دراستنا هذه لم تكن هناك فى مصر ـ فى حدود علمى ـ محاولات لانجاز دراسات علمية أنثروبولوجية بالاستعانة بفريق لابحث . وانما كانت الدراسات الأنثروبولوجية تعتمد على جهود الباحثين الأفراد سواء على مستوى الرسائل الجامعية الأكاديمية ، أو المساهمات البحثية

الفردية الأخرى . ويستثنى من ذلك بعض الأعمال القليلة كدراسة غرب أسوان التى ذكرناها منذ قليل،ودراسة أخرى لجمع عناصر التراث الشعبى فى بعض قرى الريف المصرى،يجريها قسم الاجتماع بكلية البنات ـ بجامعة عين شمس باشراف الدكتورة علياء شكرى(٥) .

وجدير بالذكر ان دراستنا الأنثروبولوجية المتعمقة لأدوار المرأة والتغييرات الديموجرافية فى مصر قد استعانت بفريق للبحث يتخذ صيغة أو شكلا تنظيميا يختلف عن تلك الصيغ المعروفة فى الدراسات الأخرى ، على نحو ما ذكرنا من قبل . وقبل أن نعرض لتشكيل هذا الفريق وتنظيم العمل الميدانى ، نود أن نلفت النظر الى عدد من الاعتبارات ، منها :

( أ ) أن هذه هى المرة الأولى التى تتوفر فيها لدراسة أنثروبولوجية فى مصر امكانية الاستعانة بفريق للبحث الميدانى يقيم بالميدان اقامة دائمة ومستمرة طوال فترة العمل الميدانى التى تجاوزت العام وامتدت الى قرابة عام ونصف .

( ب ) أن فريق البحث الأنثروبولوجى يتميز بالتجانس بين أعضائه مشرفين وباحثين ـ من حيث الاطار العام للتخصص والانتماء العلمى الأكاديمى ، بغض النظر عن التفاوت فى الدرجة العلمية أو التخصص الدقيق(٦) .

( جـ ) أن هذا الفريق يعمل مسترشدا بدليل للعمل الميدانى يوجه الدراسة الأنثروبولوجية ، ويمثل اطارا عاما يشترك جميع الأعضاء فى فهم عناصره وقضاياه المختلفة(٧) . وفى ذلك ضمان لعدم امكانية وجود صراع أو تنافر بين أعضاء الفريق نتيجة لاختلاف الرؤى أو المفاهيم أو المنطلقات الفكرية . فالدليل يحقق وحدة الفهم والرؤية المشتركة لدى أعضاء الفريق فيما يتعلق بجوانب الموضوع وطبيعة العناصر مجال الدراسة . وفضلا عن ذلك ، فان صيغة فريق البحث على النحو المتبع فى دراستنا تتيح امكانية كبيرة لاثراء العمل الميدانى والحصول على أكبر قدر من المادة العلمية التى تتسم بالصدق والواقعية . ذلك أن كل عضو من أعضاء الفريق يتعامل مع نفس العناصر أو الموضوعات الفرعية،ويقدم حولها تقارير يومية وملاحظات

وأفكار جديدة . وتقوم مجموعة الاشراف والمتابعة بعقد اجتماعات تناقش فيها هذه التقارير والملاحظاتمناقشة جماعية منضبطة يشارك فيها جميع الأعضاء . عندئذ تتولد معان جديدة أقرب الى الصدق والواقعية ، وتعمل المناقشات الجماعية ـ الجادة والمستمرة ـ على تطوير أفكار جديدة خصبة تثير فضول أعضاء الفريق وحماسهم لمتابعتها والتحقق منها.وتتهيا الفرصة الملائمة لانطلاق القدرات الابداعية الفردية وتعبئتها.كما تتيح هذهالمناقشات الجماعية للتقارير والملاحظات الفردية امكانية تصحيح الأخطاء الفردية ، وتوفير الحلول الملائمة لمختلف المشكلات التى تستجد اولا باول . وتتحقق من خلال ذلك ثمار متجددة فى كل يوم . حيث تؤدى هذه المناقشات وما يستتبعها من متابعة ميدانية ، الى تطوير الدليل من واقع الخبرة الميدانية المباشرة . وكلما ازداد الدليل نضوجا واحكاما بمرور الوقت ، كلما ازداد بالتالى فريقالبحث مقدرة على فهمالواقع وتفسير حقائقه تفسيرا موضوعيا وصادقا(٨) .

( د ) فنحن اذن أمام صيغة متطورة لفريق البحث الميدانى فى الدراسات الأنثروبولوجية المتعمقة . وهى صيغة تحقق درجة من الشمول والعمق فى آن معا . أى أنها تتيح امكانية الدراسة المتعمقة لعدد كبير من الحالات التى لا يستطيع باحث بمفرده دراستها ومتابعتها . وفى نفس الوقت تتميز الدراسة بالعمق والسعى الدءوب نحو التحقق من صدق المادة العلمية واستقراء الواقع فى صبر وأناة . وعندما نعرض لتشكيل الفريق وتنظيم العمل الميدانى،سنرى كيف أن هناك ارتباطا وثيقا وتفاعلا مستمرا فى الميدان بين مجموعة الاشراف والمتابعة ومجموعة الباحثين الميدانيين . فالمجموعتان تتفاعلان معا من خلال المناقشات الجماعية كما ذكرنا،وأيضا من خلال الاشتراك فى العمل الميدانى يدا بيد . وغنى عن البيان أن هذا التفاعل يحقق ميزة غاية فى الأهمية ، وهى الانصهار والتكامل بين المجموعتين فى كل واحد منسجم . وغنى عن البيان ايضا أن هذه الميزة تؤتى ثمارا محققة على مستويات عدة : فهى تهيىء الفرصة والمناخ الملائم للحوار العلمى الديموقراطى ، وتشجع على تعبئة الجهود والطاقات والقدرا تالابداعية الفردية التى تقنن بعد ذلك وتؤدى الى ظهور نوع من

الابداع الجماعى ـ ان جاز هذا التعبير ـ حيث يؤدى ذلك كله الى ظهـور أفكار ومعان جديدة تفوق امكانيات الباحث الفرد مستقلا • وهذه الأفكار والمعانى الجديدة تتسم بالصدق والواقعية ، فعندما تطرح الأفكار للمناقشة بين أعضاء الفريق حول نقطة أو قضية معينة ، وتتعارض بعض التفسيرات مع بعضها الآخر ، عندئذ يتم الرجوع الى الواقع والاحتكام اليه من خلال مزيد من المتابعة والتحقق الميـدانى من المادة المتعلقة بهـذه النقطـة أو القضية • وهكذا يتحقق الصدق فى التناول ، والدقة فى جمع المادة العلمية من خلال هذه الصيغة الجديدة لفريقالبحث الأنثروبولوجى•وهكذا يتحقق أيضا تطوير الدليل وتعديله على نحو ما ذكرنا من قبل •

**ثالثا : ـ ملامح الصيغة الجديدة لمفهوم فريق البحث :**

لعلنا نكون قد اتفقنا على أن فريق البحث الانثروبولوجى على النحو المتبع فى دراستنا هذه يمثـل صيغة جديدة لمفهـوم فريق البحث • وهى صيغة تلائم مستوى معينا من مستويات تناولالظواهر الاجتماعية والثقافية يمكن أن نطلق عليه ـ اصطلاحا ـ «مستوى المشروع الكبير» • وصفة الكبير هنا يقصد بها أن مشروع البحث الذى ينتظم من أجله الفريق انما يتم فى اطار تنظيمى أو مؤسسى • أى أن تتـولى احدى مؤسسات البحث العلمى مهمة تنظيم مشروع البحث والانفـاق عليه ، حيث يتطلب هذا المسـتوى نفقات كبيرة نسبيا لا يقدر على الوفاء بها سوى مثـل هذه المؤسسات(٩) • ومن جهة أخرى،فان صفة الكبر يقصد بها أيضا اتساع نطاق العمل الميدانى الأنثروبولوجى ، حيث لا يقتصر على مجمتع محلى صغير وانما ليشـمل عددا من المجتمعات المحلية • وثمة علاقة تناسب طردى ايجابى بين حجم فريق البحث وبين اتساع نطاق العمل الميدانى ، والتكلفة اللازمة • فكلما اتسع نطاق العمل ، ازداد حجم الفريق ، وازدادت تبعا لذلك التكلفة(١٠)• وتصدق نفس هذه العلاقة أيضا فيما يتعلق بالاشراف والمتابعـة • اذن أن اتساع نطاق العمل الميـدانى وازدياد حجم الفريق يتطلب جهودا اضافية من جانب مجموعة الاشراف والمتابعة • حيث تصبح هناك حاجة الى مزيد من التنسيق والمشاركة والتوجيه ومواجهة المشكلات يوما بيوم •

( أ ) فريق البحث وتنظيم العمل الميدانى :

بعد الانتهاء من تحديد الأماكن واختيار الأسر للدراسة المتعمقة ، بدأت مرحلة العمل الميدانى المنظم لجمع المادة العلمية . والحديث حول هذه المرحلة يشمل فريق العمل الميدانى ، ودليل العمل الميدانى . وعلى الرغم من أن الفريق ودليل العمل الأنثروبولوجى يشكلان وحدة منهجية واحدة ، فان الحديث يتركز حول فريق البحث من حيث تشكيله ،وتدريبه ، وكيفية أدائه لعمله ، وطبيعة العلاقات وأشكال التفاعل التى توجد بين أعضائه بعضهمويعض،وكذا بينهم وبين المجتمعات المحلية والأسر المختارة للدراسة ، الى جانب مجموعة الاشراف والمتابعة . فضلا عن الخبرات الميدانية المكتسبة والصعوبات الناجمة عن استخدام هذا الأسلوب فى شكله المتطور .

١ ـ تشكيل الفريق :

روعى فى تشكيل فريق البحث أن يضم أعضاء من الحاصلين على درجات علمية أكاديمية فى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ،فضلا عن الخبرة فى مجال العمل الميدانىالأنثروبولوجى .ويتالفالفريق من مجموعتين هما:

أ ـ مجموعة الاشراف والمتابعة :

وتتكون من ثلاثة أعضاء هم الأستاذة الدكتورة علياء شكرى (مشرف) ، ويعاونها الدكتور حسن الخولى . كما اشترك الدكتور أحمد زايد فى هذه المهمة لفترة .

ب ـ مجموعة الباحثين الميدانيين :

وتتكون من أحد عشر عضوا (٩ من الاناث ، ٢ من الذكور) ثلاثة منهم حصلوا على درجة الماجستير فى الأنثروبولوجيا ، أما الباقون فانهم من الحاصلين على درجة الليسانس فى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع . وتتوفر لدى هؤلاء الأعضاء جميعا خبرات ميدانية متراكمة فى مجال الدراسات الأنثروبولوجية .

٢ ـ اعداد الفريق وتدريبه :

من المعروف أن هناك أساسا مشتركا لدى أعضاء الفريق ، ويتمثل

ذلك فى استيعاب أصول الدراسة الميدانية بما فيها من تكنيكات ووسائل لجمع المادة الميدانية ، والتوافق مع المجتمع المحلى ، والاعتبارات التى يجب مراعاتها خلال فترة الاستعداد لبدء العمل الميدانى ، والقدرة على الملاحظة ، والتكيف مع المجتمع المحلى والأسر خلال فترات الملاحظة بالمشاركة ، واجادة فن المقابلة ، واختيار الاخباريين والتعامل معهم والتحقق من صدق المادة العلميــة التى يستقيها منهــم • الى جانب القدرة على استخدام بعض أدوات التسجيل الصوتى والفوتوغرافى ، الخ(١١) • غير أن هذا الأساس المشترك بين أعضاء الفريق لا يغنى عن التدريب والاعداد اللازم بما يتناسب وطبيعة موضوع الدراسة •

ولقد بدأت عملية تدريب مجموعة الباحثين الميدانيين خلال مرحلة اختيار القرى والأسر أثناء اجراء الدراسات الاستطلاعية • وذلك بهدف خلق لغة مشتركة بين جميع أعضاء الفريق بمجموعتيه السابقتين ، ففى أثناء هذه المرحلة كان يطلب الى الباحثين القيام بتطبيق الدليل وذلك لتحقيق هدف مزدوج فى نفس الوقت • اذ كان المراد حينئذ هو اختبار مدى كفاءة الدليل وتطويره ليناسب الواقع من جهة واكساب أعضاء الفريق امكانية تدارس هذا الدليل والتعرف عليه ومناقشة عناصره واستيعابها من جهة أخرى • وكان يطلب الى كل باحث أن يدون بعض التعليقات التى يرى تدوينها خلال تطبيقاته التجريبية للدليل • وكانت تعقد اجتماعات مكثفة تضم هيئة الاشراف ومجموعة العمل الميدانى لمناقشة تعليقات الباحثين على نقاط الدليل وعناصره ، والاتفاق حول كل نقطة وعنصر بما لا يدع مجالا للغموض أو اللبس أو عدم الاتفاق بين جميع أعضاء الفريق حول هذه النقطة أو ذلك العنصر • وقد تولد أثناء هذه المرحلة لدى جميع أعضاء الفريق فهم مشترك لعناصر الدراسة وقضاياها المختلفة • وبالاضافة الى ذلك ، كانت تعقد اجتماعات يتم خلالها الاتفاق على أسلوب موحد لاجراء المقابلات مع أعضاء الأسر المختارة للدراسة ، وتوجيه التساؤلات حول الموضوعات والعناصر التى تدور حولها المقابلة ، بالاضافة الى توحيد الأسلوب المتبع فى تدوين المادة العلمية المجموعة وحفظها فى الملفات الخاصة وفقا لترتيب معين • وبناء على ذلك • اتفق على أن يلتزم كل باحث بما يلى:

أ ـ تخصيص ملف لكل أسرة من الأسر المختارة للدراسة ، يحمل ارقاما كودية لها دلالات عن القرية ، والنمط الذى تنتمى اليه الأسرة ، ورقم الأسرة فى داخل النمط . على أن يتولى الباحث متابعتها بالدراسة المتعمقة واجراء المقابلات معها بانتظام على امتداد عام كامل يبدأ بعد اقامة العلاقات الوثيقة مع الأسر . كما اتفق على تقسيم ملف الأسرة الى أقسام تحمل نفس الأرقام والعناوين المدرجة بالدليل طبقا لترتيب ورودها، مع الاحتفاظ بفاصل بين كل قسم وآخر .

ب ـ أن يتضمن صدر كل ملف صحيفة للبيانات الأساسية الخاصة بكل أسرة تتضمن بيانات عن الحجم،ودرجات القرابة،والتركيب النوعى، والخصائص التعليمية ، والمهنة ، والأحوال الزواجية . مع وضع علامة مميزة باللون الأحمر أمام اسم الاخبارية الرئيسية فى الأسرة . بالاضافة الى بيانات عن الحيازة الزراعية للأسرة وممتلكاتها الأخرى . على أن تدرج هذه البيانات الأساسية فى شكل جدول يتخذ فيه كل فرد من أفراد الأسرة رقما مسلسلا ثابتا لا يتغير لكى يدل عليه فى مختلف مواضع التعامل مع المادة العلمية النوعية الخاصة بالأسرة .

جـ ـ أن يدون كل باحث على الملف الخاص بالأسرة بيانا بتواريخ اجراء المقابلات الدورية التى تجرى مع هذه الأسرة .

د ـ أن يخصص لكل بند من بنود الدليل حيزا متسعا ، مع مراعاة أن يبدأ كل سؤال فى صفحة مستقلة . بحيث تتاح للباحث امكانية اضافة ما يستحق الاضافة الى هذه الأسئلة من مادة ميدانية جديدة بمرور الوقت. وأن يدون تواريخ جمع المعلومات الجديدة المضافة ، أو تصحيح المعلومات السابقة .

هـ ـ أن يقوم كل باحث بتدوين ثلاثة أنواع من الملاحظات ، يحتفظ ببعضها فى مواضع معينة بملف الأسرة ، كما يحتفظ ببعضها الآخر فى نوتة خاصة والأنواع الثلاثة أوالفئات الثلاث للملاحظات التى يدونها الباحث هى:

١ ـ ملاحظات تتعلق ببنود أو أسئلة أو جداول معينة فى الدليل وهذا النوع من الملاحظات (التى يقف عليها الباحث خلال المقابلات ، أو خلال اجراء الملاحظة بانواعها المختلفة ، أو حتى بصورة عفوية خلال عمليات

التفاعل مع المجتمع المحلى والأسر ) يدون على أوراق مستقلة ترفق بجانب الصفحة بالسؤال أو العنصر المعين فى داخل الملف ٠

٢ ـ يوميات ميدانية يدونها الباحث فى «نوتة يوميات» خاصة تشمل أولا بأول الخبرات الشخصية الميدانية المكتسبة ، والمشكلات الميدانية التى تستجد ، وكيفية التصرف ازاء هذه المشكلات والتغلب عليها ٠

٣ ـ الملاحظات المتعلقة بالأيام غير العادية التى تشهدها القرية أو الأسر المختارة ، كأيام الأفراح ، والموالد ، والمآتم ، والأعياد ، والختان، والسبوع ٠٠٠ الخ ٠ الى جانب أيام الزحام الشديد فى العمل ، وهكذا ٠ مع اعطاء عناية خاصة لأنشطة المرأة خلال هذه الأيام وما يطرأ عليها خلالها من تغيرات ملحوظة بخلاف الأيام العادية ٠

وهكذا تتاح للباحث امكانية الابداع الشخصى واضافة المادة العلمية الجديدة ، وتعديل ما يلزم تعديله من مادة سابقة ٠

ولقد اتفق خلال هذه المرحلة أيضا على توزيع أعضاء الفريق على أماكن الدراسة فى القرى الثلاث والمناطق الحضرية ، بحيث يختص بكل قرية أو منطقة حضرية اثنان أو ثلاثة من الباحثين الميدانيين تبعا لحجم المجتمع المحلى وعدد الأسر المختارة للدراسة المتعمقة فيه ٠ وكذا يتم توزيع الأسر المختارة على الباحثين ليتولى كل منهم متابعة ما يخصه منها طوال فترة العمل الميدانى على امتداد العام ٠ بما فى ذلك متابعة الجداول التى تستوفى مادتها بصورة دورية منتظمة ٠ وجدير بالذكر أن بعض أعضاء الفريق ممن يقيمون أصلا بمدينتى القاهرة والفيوم ويترددون على قرى البحث للاقامة الميدانية بها لمدة ثلاثة أيام أسبوعيا طوال العام ، كانوا يتابعون العمل على الجانبين (الريفى والحضرى) حيث كانوا يتابعون مجموعة من الأسر بالمناطق الحضرية خلال أيام الأسبوع التى يقضونها بالمدينتين المذكورتين ٠

٣ ـ الاشراف والمتابعة الميدانية :

بعد انتهاء عملية التدريب والاعداد ، وتوزيع الباحثين على الأماكن

وكذا توزيع الأسر المختارة عليهم،بدأت عملية الجمع المنظم للمادة العلمية الميدانية • وقد ذكرنا من قبل بالتفصيل كيف أن هناك تفاعلا وثيقـا بين مجمـوعة الاشراف والمتابعـة ومجمـوعة الباحثين الميـدانيين من خلال الاجتماعات والمناقشات والمشاركة فى العمل الميدانى كانت المجموعة الأولى تخصص يومين من كل أسبوع تقضيهما بالميدان ، مع أفراد المجموعةالثانية للوقوف على تقدم العمل ومراجعة المادة المجموعة،ومناقشة تقاريرالباحثين وملاحظاتهم ، وتذليل الصعوبات التى قد تظهـر فى بعض الأحوال من خلال التفاعل مع المجتمع المحلى.والأسر وكان تذليل الصعوبات يجـرى بالتعاون بين أعضاء الفريق من المجموعتين،أى أن أعضاء مجموعةالاشراف والمتابعة كانوا يشاركون أعضاء المجموعة الثانية كثيرا من المواقف الميدانية على الطبيعة • كما كان يعقد اجتماع شهرى بالميدان أيضا (بقرية فيديمين) يضم أعضاء الفريق بمجموعتين بما فيهم باحثى المناطق الحضرية • وذلك لتبادل الخبرات الميدانية بين الأعضاء ، وامكانية عقد المقارنات بين الريف والحضر فىنقاط أو عناصر معينة بحيث يكفل ذلك اثراء للتحليل والتفسير• كما كانت تكتب تقارير دورية من واقع هذه الاجتماعات لتقييم الانجازالذى تحقق ، ومناقشة المشكلات ووضع الحلول لها ، والاتفاق على الخطوات التالية ، •• وهكذا • وجدير بالذكر أن مجمـوعة الاشراف والمتابعـة لم يتطرق الى فكرها لحظـة واحدة أنها تؤدى مهمـة تمـارس من خلالها صلاحيات رئاسية ، وانما كان نصب أعينها دائما البذل والعطـاء العلمى السخى فى اطار من العلاقات الانسانية،والحرص على نجاح العمل وتحقيق الأهداف •

٤ ـ الصعوبات :

هناك صعوبات تواجه فريق العمل الأنثروبولوجى وتتطلب جهـدا اضافيا لمواجهتها والتغلب عليها حتى يتمكن الفريق من أداء مهمته عـلى الوجه الأكمل • ومن الصعوبات التى واجهتنا فى البداية ، نذكر ما يلى :

أ ـ أماكن الاقامة وترتيبات الاعاشة :

يتعين توفير مكان ملائم للاقامة ، وكذا توفير امكانيات ومتطلبـات الاعاشة كى يتمكن أعضاء الفريق من أداء أعمالهم الميدانية بكفاءة • فقـد

دلت الشواهد الواقعية على أن معدل أداء الفريق الميـدانى يزداد ـ كمـا ونوعا ـ كلما كان الفريق مستقرا ومستريحا فى الاقامة ولا يبدد جانبا من الوقت والطاقة فى تدبير أمور الاعاشة بما فيها تجهيز الطعام . ولقد اتبعنا طريقين للتغلب على مشكلة الاقامة والاعاشة، أحدهما طريق رسمى مؤسسى، والآخر أهلى غير رسمى أى تطوعى ، ففى قرية فيـديمين ـ كبرى قرى البحث ـ يوجد مقر للوحدة الاجتماعية التابعة لمديرية الشئون الاجتماعية ـ يضم مركزا لتدريب الرائدات الريفيات ، وجمعية لتنمية المجتمع المحلى . وتتوافر فى هذا المقر امكانية الاقامة والاعاشة الميسرة لمجموعة من اعضاء الفريق الميدانى فاتبعنا مدخلا رسميا استطعنا من خلاله الحصـول على موافقـة المسئولين بمديرية الشئون الاجتماعية بالفيـوم ، وكذا بالوحدة الاجتماعية بالقرية ، على تسهيل مهمة فريق البحث وتدبير مكان للاقامة وشئون الاعاشة . وقد تم لنا ذلك بالفعل ، فحصلنا على مقر ملائم تتوافر فيه الشروط اللازمة لكى يتفرغ الباحثون تفرغا كاملا للعمل الميدانى دون اضاعة الوقت أو الجهد فى تجهيز الطعام حيث يوجد بالمركز عمال يتولون عنهم هذه المهمة. وقد ساعد ذلك بشكل واضح على سرعة استقرار الباحثين وعلى بدء العمل وانتظامه فى وقت مبكر وبكفاءة عالية مع تحقيق المزيد من الانجاز والتقدم فى كل يوم(١٢) . ومما ساعد على ذلك ايضا وجود اشراف رسمى مستمر من جانب مديرية الشئون الاجتماعية ممثلة فى رئيسة الوحدة، اذ أنها تقيم اقامة دائمة مع أسرتها فى داخل نفس الوحدة، وتتمتع بشخصية قيادية قوية وطيبة .

وأما بالنسبة لقرية ترسا، فلم يكن أمامنا سوى اتباع المدخل الأهلى . حيث استطعنا عن طريق الاتصال بأهالى القرية الحصول على مقر للاقامة بمنزل أحد الأهالى الذى عرض علينـا امكانيـة استضافة باحث أو أكثر للاقامة بمنزله . وقد قبلنا هذا العرض حيث لا يوجد هناك بديل آخر . وبناء على ذلك ، اقام أحد أعضـاء الفريق (من الذكور) فى هذا المنزل . اما بالنسبة لباقى الأعضاء المختصين بهذه القرية فقد كانت الأمور عادية ، حيث أنهما باحثتان من نفس القرية . وبذلك تغلبنا على مشـكلة الاقامة بالنسبة لباحثى تلك القرية . خاصة وأن التقاليد المصرية لا تسمح باقامة

باحثــة أنثى فى مكان للاقامة غير رســمى وبدون اشراف مستمر · غير أن العمل فى هذه القرية قد بدأ متأخرا نسبيا ـ عنه فى القرية الأولى ـ نظرا لقضاء بعض الوقت فى التوصل الى حل لمشكلة الاقامة بها · وجدير بالذكر أن الباحث المقيم فى هذهالقرية كان يعانى صعوبات فيما يتعلق بالاعاشة · وقد فرض ذلك عليه أن يستقطع جانبا من وقته وجهده لتدبير احتيــاجاته المعيشية وتجهيز طعامه ، ولو أنه قد استطاع أن يوطد علاقاته مع كثير من الأسر التى كانت تستضيفه نظرا لعدم وجود مطاعم أو خدمات بالقرية ·

ب ـ الانتقال ووسائل المواصلات :

اذا كانت الاقامة والاعاشة لها خطورتها فيما يتعلق باستمرار العمل ونجاح الفريق فى تحقيق أهدافه · فان تسهيلات الانتقال وتوفير الوسائل اللازمة تعد مطلبا غاية فى الأهمية أيضا · وقد عانينا من صعوبات الانتقال وخاصة بالنسبة للباحثين المختصين بدراسة قرية التوفيقية · فنظرا لعــدم وجود مقر للاقامة بهذه القرية ، ونظــرا لعزلتها النسبية ، فان الباحثين كانوا يترددون عليها يوميا حيث يقيمون بمقرالاقامة بقريةفيدمين على مسافة ثلاثة كيلو مترات ، وكانوا يكابدون المشــاق يوميــا عند الذهاب الى تلك القرية والعودة منها · فعلى الرغم من قصر المسافة نسبيا الا أنهــم كانوا كثيرا ما يقطعونها سيرا على الأقدام ، هناك سيارات للركوب تمر على هذه القرية ولكنها غير منتظمة ، وكثــيرا ما كان الباحثون ينفقون الســاعات الطوال فى انتظار قدوم سيارة لتقلهم الى القرية أومنها · وكثــيرا ما كان أعضاء مجموعة الاشراف يشاركون الباحثون فى الذهاب الى تلك القــرية سيرا على الأقدام رفعا للروح المعنوية لهؤلاء الأخيرين ، وشحذا لهمتهم ، وفى الوقت نفســه ملاحظة ما يجــرى على الطريق من ظواهر : كعمــالة الأطفال،وأنشطةالمرأة مثلا·وتسجيل بعضالمشاهد التى تحمل دلالات علمية فى هذا المجال بتصويرها فوتوغرافيا ، فلدينا مجموعات من الصور التى تخدم كثيرا فى التعبير عن أنماط عديدة لعمالة الأطفال وأنشطتهم فىمختلف المجالات · وكذا بالنسبة للمرأة ، فى مختلف الفئات العمرية ، وفى مختلف مجــالات العمل والنشــاط بما فيها الأعمال الزراعية ، وأعمال التجــارة الصغيرة ، ····الخ ·

جـ - بعض الصعوبات الخاصة بالباحثين انفسهم :

ومن الصعوبات التى لها تاثيرها ايضا ما يتصل باعضاء الفريق أنفسهم • ومن ذلك مثلا ما يتعلق باقامة الباحثات فى الميدان بعيدا عن أسرهن ، سيما وأن الاقامة الميدانية دائمة ومستمرة طوال الوقت•فالعثور على باحثة لا تكون مرتبطة بظروف شخصية أو اجتماعية تحول بينها وبين امكانية الاقامة فى الميدان لمدة طويلة يعتبر من الأمور الصعبة الى حد ما • وعندما يتم تشكيل الفريق ، وتبذل الجهود المضنية فىسبيل تدريبه واعدآده على أرفع مستوى ، لا يستبعد أن تستجد بعض الظروف التى تحول دون استمرار بعض أعضائه وخاصة من الاناث • من ذلك مثلا ما يتصل بالخطبة أو الزواج أو الحمل والولادة • ولا شك أن الاستمرار فى العمل الميدانى والحرص عليه من جانب بعض الباحثات الاناث اللائى فى حالة حمل مثلا يجعلهن يبذلن جهودا مضاعفة • ومما كان يجدد من حماس الباحثات ويشد من أزرهن فى مثل هذه الظروف أن هناك مواقف ومشاهد كثيرة فى الميدان كانت الباحثات تشهدنها فى كل يوم ، خاصة عندما يلاحظن كثيرا من النساء القرويات وهن يمارسن أعمالهن فى مختلف المجالات ويزاولن مختلف الأنشطة وهن حوامل • بل ان كثيرا من النساء يحتفظن بنفس الدرجة من المشاركة فى الانشطة - ومنها ما هو شاق نسبيا - حتى لحظة الولادة • ومن هنا فقد كان لزاما علينا أن نوفر «احتياطيا» من الباحثين والباحثات تحسبا لمثل هذه الظروف بحيث تجرى عملية احلال اذا لزم الأمر•وبالفعل فقد أعددنا مجموعة من الأعضاء الأكفاء الملمين بفكرة وافية عن مشروع بحثنا «كفريق احتياطى» وكنا نشرك بعضهم فى الزيارات الميدانية من آن لآخر حتى يمكنهم تلبية دعوتنا اليهم بالانضمام الى العمل الدائم فى أى وقت اذا اقتضى الأمر • وقد نجحنا من خلال ذلك فعلا فى اجراء عملية احلال فورية فى بعض الأحوال التى اضطررنا فيها الى ذلك •

د - مشكلات التمويل والنفقات :

غنى عن البيان أن مشروع البحث الذى يعتمد على فريق ميدانى مقيم اقامة دائمة بالميدان لمدة عام على الأقل لابد وأن يوفر ميزانية مناسبة لمواجهة متطلبات هذا الفريق • ومنها ما يتصل بالاقامة والاعاشة•والانتقال

والمواصلات ، والأجهزة والأدوات اللازمة للعمل بما فيها أدوات ومواد الكتابة والتصوير والنسخ والترجمة ... الخ . وقد عانينا فى بعض الأحيان مشكلة نقص الميزانية . خاصة وأن اختلاف توقيتات بدء العمل بالقرى أدى الى التفاوت بالتالى فى توقيتات الانتهاء . أى أن العمل قد انتهى فى قرية ـ فيديمين مثلا ـ بينما ظل مستمرا فى القريتين الأخريين حتى يكمل عاما كاملا : وقد حرصنا على الافادة من هذا الموقف الى حد كبير . فقد عكفنا على كتابة التقارير الفرعية بالميدان ، وقد ساعدنا على الرجوع الى الأسر للتحقق من أى موقف او معلومة يلزم التحقق منها ، أو استكمالها او تعديلها . فهذه ميزة هامة لها وزنها فيما يتعلق بصدق المادة ودقتها ، وسلامة التحليلات التى تتضمنتها التقارير . كما ساعد ذلك أيضا مجموعة الاشراف والمتابعة على اصطحاب الباحثين فى كثير من الزيارات والمواقف الميدانية التقويمية . وقد ترتب على ذلك كله زيادة التكلفة نظرا لزيادة فترة العمل الميدانى،مما زاد من احساسنا بمشكلة نقص الميزانية واضطررنا الى انهاء العمل الميدانى .

٥ ـ الملامح الايجابية :

هناك ملامح ايجابية لصيغة فريق البحث الأنثروبولوجى على النحو الذى عرضنا له فيما سبق ، واذا كنا قد عرضنا لبعض الصعوبات ، فان هناك فى الوقت نفسه ايجابيات تبعث على الرضا والأمل والتفاؤل ومن ذلك مثلا :

أ ـ أن الصيغة الجديدة لفريق البحث كما عرضنا لها تتجاوز أوجه القصور التى تحدث عنها عزت حجازى ، كما أنها تتجاوز مجرد الاقتصار على مفهوم «هيئة البحث» . واذا كانت «هيئة البحث» تنعزل فى الغالب عن فريق العمل الميدانى المنفذ وتكتفى بوضع الخطة مكتبيا ، فان فريق البحث الأنثروبولوجى كما هو فى دراستنا لم يقبل هذه القسمة . اذ أن مجموعة الاشراف فى دراستنا الأنثروبولوجية ، هى واضعة الخطة ، وهى التى تتولى الاشراف ومتابعة التنفيذ ، وهى التى تشارك فى هذا التنفيذ جنبا الى جنب ويدا بيد مع مجموعة الباحثين الميدانيين .

ب ـ أن التفاعل بين أعضاء الفريق وفقا للصيغة الجديدة على النحو الموضح يحقق مستوى رفيعا من التوحد مع الأهداف العامة للفريق من جانب أعضائه . كما يبعث فيهم الروح المعنوية العالية،والرغبة فى الانجاز والتعاون الايجابى البناء . وينطبق نفس هذا المعنى أيضا على طبيعة التفاعل بين أعضاء الفريق وبين المجتمع المحلى والأسر المختارة للدراسة . فالاقامة الدائمة لفريق البحث فى الميدان ، والاختلاط بالأهالى لفترات طويلة مع الالتزام بالأخلاقيات والأصول والقواعد المرعية فى هذا المجال ، ساعد على جعل المجتمع يأنس الى فريق البحث ويطمئن اليه ، مما ساعد بالتالى على تدعيم روح التعاون المثمر بين الفريق وأبناء المجتمع المحلى بوجه عام ، والأسر المدروسة بوجه خاص . ونتيجة لذلك تراكمت لدينا مادة علمية واقعية على أعلى درجة من الصدق والواقعية . كما أن توطد العلاقة بين الباحثين وبين الاخباريين وأفراد الأسر على امتداد عام ونصف، كان له ابلغ الأثر فى الحصول على مادة ميدانية صادقة وواقعية .

جـ ـ ان الأمل معقود فى أن يستمر فريقنا منعقدا بنفس الروح الطيبة والرغبة والحماس للانجاز العلمى . وأن تظل العلاقات الطيبة وأواصر التعاون قائمة بينه وبين المجتمع المحلى والأسر المدروسة . بحيث يسهل فيما بعد اجراء دراسات جديدة حول موضوعات أخرى على نفس المجتمعات المحلية . فهذه الأسر التى جاوز عددها المائة تمثل بلا شك معملا ممتازا للبحوث المتعمقة ، خاصة وأنها تمثل عددا من الأنماط والمستويات المختلفة وفقا للأبعاد الطبقية والتعليمية ، والمهنية ، وكذا وفقا لانماط عمالة المرأة وأنشطتها ، .... الخ . ولا نبالغ عندما نذهب الى أن هناك ثمرة محققة لها قيمتها وأهميتها قد أثمرتها تجربتنا الميدانية فى اطار فريق البحث الانثروبولوجى بصيغته الجديدة.وهى المساهمة فى خلق نواة من الباحثين الميدانيين المدربين على أرفع مستوى من المهارة والكفاءة . فالتجربة على هذا النحو بمثابة «مدرسة» لتدريب واعداد الباحثين واكسابهم الخبرات والمهارات البحثية على الطبيعة وعلى أرض الواقع الحى . وفى نفس الوقت اتاحة الفرصة للأساتذة وأعضاء هيئة التدريس من الحاصلين على درجة الدكتوراه لكى يختبروا فى الواقع صدق ما لديهم من

تراث نظرى على مدار عام ونصف فى الميدان . مما يؤدى الى تنمية اخلاقيات جديدة للبحث العلمى لدى أعضاء هذه الفئة ، بحيث تشير لديهم الرغبة فى السعى نحو الحقيقة العلمية مهما كانت السبل اليها شاقة ومرهقة ومكلفة ، ولعل الاتجاه المنهجى فى البحوث الاجتماعية فى الفترة المقبلة يحبذ أسلوب الاستعانة بصيغة فريق البحث الانثروبولوجى المتعمق على النحو الذى اتبعناه فى تجربتنا الميدانية الطويلة هذه.ومن ثم يصبح اعداد أكبر عدد من الباحثين الأنثروبولوجيين الميدانيين المدربين الأكفاء مطلبا علميا وعمليا هاما .

د ـ ولعل الصيغة التى يعمل فريقنا الميدانى وفقا لها أن تكون نموذجا طيبا لاقامة الحوار بين الفكر النظرى والواقع . ولهذا الحوار ما له من ثمار وميزات . فكل منهما يثرى الآخر ويغذيه : الواقع يصحح الفكر ويعدل من مقولاته ، والفكر المتطور المحتكم الى الواقع هو أفضل الوان الفكر العلمى المستنير ، وأكثرها كفاءة وقدرة على خدمة الواقع والمساعدة فى سبيل تغييره الى الأفضل .

وبعد ، فهذه صيغة جديدة لأسلوب فريق البحث ، استعنا بها فى دراستنا المتعمقة لأدوار المرأة والتغيرات الديموجرافية فى مصر وهى دراسة أنثروبولوجية متعمقة ظل فريق البحث يزاول فى اطارها عمله الميدانى . المتصل والمستمر طوال عام ونصف . وكان طوال هذه المدة يقيم الحوار بين الفكر النظرى والواقع سعيا وراء الحقيقة العلمية الساطعة التى تحتكم احتكاما الى شهادة الواقع الحى المعاش . وسبيله الى ذلك هو التعاون الايجابى البناء ، والعطاء العلمى المخلص من أجل رفعة العلم والمساهمة فى تقدم الوطن والانسانية ، انها دعوة نوجهها ، الى زملائنا العاملين فى ميادين البحث العلمى الاجتماعى أن يتدارسوا معنا هذه التجربة بعمق ، وأن يسهموا معنا فى تطويرها ودفعها الى الأمام . فذلك فى نظرنا هو السبيل الحقيقى الى تقدم البحث العلمى الاجتماعى ، والاسهام فى خدمة الواقع الاجتماعى بالوقوف على مشكلاته بموضوعية وصدق ، والعمل على مواجهتها بالأسلوب المستنير جهد الطاقة .

## الحواشي والمراجع

(١) عزت حجازى : «بحث الفريق : دراسة فى سوسيولوجيا التنظيم» ، مقال منشور بالمجلة الاجتماعية القومية ، العدد الثالث ، المجلد العاشر ، القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٣ ، ص ص ٣١٧ – ٣٣٨ .

(٢) على اسلام الفار «بحث الفريق كطريقة لدراسة المجتمع» ، مقال فى كتاب دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا، تأليف مجموعة من اساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية (مهدى الى روح الاستاذ الدكتور أحمد الخشاب) ، دار المعارف ، القاهرة ط (١) ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٥٣ – ١٦٥ .

(٣) عزت حجازى ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

(٤) انظر : بعض مظاهر التغير فى مجتمع غرب أسوان ، فى : محمد الجوهرى ، الانثروبولوجيا . أسس نظرية وتطبيقات عملية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٣) ، ١٩٨٢ ، ص ص ٤٢٣ – ٥٢٧ .

(٥) بدات هذه الدراسة فى عام ١٩٧٩ وامتدت خمس سنوات ، وهى الآن فى مرحلتها الأخيرة . وجدير بالذكر أن تكثيف العمل الميدانى . يتم خلال الاجازات والعطلات الدراسية ، بحيث يجرى التنسيق بين ذلك وبين المهام الجامعية لأعضاء الفريق. وتدور عملية الجمع الميدانى حول عناصر التراث الشعبى الخاصة بدورة الحياة، وغيرها من عناصر التراث التى تدخل فى مجال العادات والتقاليد الشعبية، والمعتقدات والمعارف الشعبية فى نطاق بعض محافظات مصر وفق عينة أطلس الفولكلور المصرى ، أما فريق البحث فانه يتألف من خمسة اعضاء من الحاصلين على درجات الماجستير والدكتوراه فى الانثروبولوجيا وعلم الفولكلور .

(٦) لكى تتحقق لفريق البحث فى تجربتنا هذه امكانية الرؤية الموضوعية للظواهر عن طريق الافادة من التخصصات الأخرى ، وما تقدمه من امكانيات وخبرات تخدم موضوع الدراسة، فقد تم الاستعانة فى بعض الجوانب بخبراء ومستشارين فى عدة مجالات: كالجغرافيا، والزراعة، والاقتصاد ، وعلم النفس .

(٧) انظر :

Moni Nag, Richard Antrer and M. E. Khan; A Guide to Anthropolgical study of women's sroles and Demographic change in India, ORG/ILO study in uttar preadesh.

وقد ادخلنا تعـديلات على هذا الدليـل بما يتفق وطبيعة الواقع المصرى فضلا عن اننا قد عاونا فى اعداده قبل بداية البحث ، وذلك على نحو ما هو واضح بالملحق • وجدير بالذكر أيضا فى هذا المجال أن فكرة الدليـل على هذا النحو قد سبقتها جهـود مصرية منـذ سنوات،على يد الدكتور محمد الجوهرى والدكتورة علياء شكرى• فقد أفادا من الجهود الاوروبية التى بذلت فى مجال تطوير مناهج البحث الميدانى وأدوات جمع المادة العلمية ، التى بذلت بدءا من جهود فيلهلم مانهاردت Wilhelm Manhardt فى ألمانيـا (١٨٣١ ـ ١٨٨٠) ، حيث امتدت الى الامبراطورية النمساوية المجرية ودول اخرى • للوقوف علي مزيد من التفاصيل الوافية حول هذه الجهود المصرية وتطورها ، انظر :

محمد الجوهرى وزملاؤه ، الدراسـة العلميـة للعـادات والتقاليد الشعبية • القسم الأول من دليل العمل الميـدانى لجامعى التراث الشعبى ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩،وانظر أيضا، محمد الجوهرى (مشرف) ، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية • الجزء الأول من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى ، دار الكتاب للتوزيع ، ط (١) ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، عليـاء شـكرى ، عادات الطعام فى الوطن العربى ، دار المعارف ، القـاهرة ويمكن للقـارىء بالرجوع الى هذه المراجع الوقوف على فكرة وافيـة عن مفهوم الدليل وكيفية اعداده ، واهميته المنهجية ، ••• الخ •

(٨) انظر الملحق •

(٩) نتفق فى ذلك مع عزت حجـازى حيث يرى أن صيغة فريق البحث تستخدم عن طريق مؤسسة للبحث ـ كما نتفق أيضا مع على اسلام فى دعوته الى توفير الموارد المالية والأدوات اللازمة لاجراء البحث•

(١٠) تشـمل التكلفة عددا من بنـود الانفاق يدخل فيهـا.نفقات الاقامة والاعاشة.والانتقال والمواصلات،والأدوات والمعدات اللازمة للبحث،

فضــلا عن الأجور والمكافآت المستحقة لأعضــاء الفريق ، وللخبراء والمستشارين والمعاونين المحليين ، ٠٠٠ الخ ٠

(١١) انظر مزيدا من التفاصيل حول أصول الدراسة الميدانية الانثروبولوجية فى : محمد الجوهرى ، وزميله ، **مناهج البحث العلمى ٠ الجـزء الثانى ٠ طرق البحث الاجتماعى** ، دار الشروق ، جدة ، ط (٢)، الباب الثالث ص ص ٤٣٩ ــ ٥٠٤ ٠

(١٢) ســاعد هذا على اتمام العمــل فى هذه القــرية مبكرا عن القريتين الاخريين (التوفيقية ، وترسا) ٠ فقد بدأ العمل الميدانى مع بداية شهر ديسمبر ١٩٨١ وانتهى فى أغلب الأسر المختــارة خلال فبراير ١٩٨٣ ٠ وبدأ العمل فى قرية ترسا فى منتصف ابريل ١٩٨٢ وانتهى بنهاية مايو ١٩٨٣ ٠

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع جوده - إبس الشبه - الإسكندرية
تليفون ٨٠٣٢٥٠